

١٥
٢٠٠٦
٤٦



جامعة صنعاء
كلية الآداب
قسم التاريخ
(شعبة التاريخ القديم)

العلاقات بين جنوب الجزيرة العربية وشمالها خلال القرنين الخامس والسادس للميلاد

أطروحة مقدمة من
عبد الله عبده إسماعيل أبو الغيث
المدرس بقسم التاريخ - كلية الآداب
لنيل درجة الدكتوراة في التاريخ القديم وحضارته

إشراف:

الأستاذ الدكتور / عبد الله حسن الشيبه

أستاذ التاريخ والآثار القديمة
كلية الآداب - جامعة صنعاء

١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

((وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ)) .
(آل عمران / ١٠٣)

الإهداء

إلى أبي الغالي ..

إلى أمي الحنونة ..

إلى زوجتي العزيزة ..

إلى أبنائي الأحباء ..

مفتحم وسالي وملاك ..

إلهم جميعاً أهدي هذا الجهد المتواضع ..

موفائاً .. ووفاء .. وهبة ..

قائمة الاختصارات

AION	Annali dell'Istituto Orientale di Napoli
BSOAS	Bulletin of the <u>school of oriental and African studies</u>
CIH	Corpus Inscriptionum Semiticarum
GA	مجموعة نقوش جيوفاني جاريني
FA	مجموعة نقوش أحمد فخري
IN	مجموعة نقوش زيد عنان
IR	مجموعة نقوش مطهر الأرياني
JA	مجموعة نقوش البرت جام
JNES	Journal of Near Eastern <u>studies</u>
NNN	نشر نقوش سامية قديمة لخليل يحيى نامي
RES	Réprtoire d'Épigraphie <u>sémitique</u>
RY	مجموعة نقوش جونزاك ريكماتز
SH	مجموعة نقوش أحمد شرف الدين
ZM	مجموعة نقوش متحف ظفار

المقدمة

المقدمة

يأتي هذا البحث استكمالاً لما بدأه الباحث في رسالة الماجستير ، والتي تخصصت في دراسة العلاقة بين جنوب الجزيرة العربية وشمالها خلال القرنين الثالث والرابع للميلاد ، وفي إطار المنهج نفسه . بحيث ركز الباحث على العلاقات السياسية بدرجة أساسية ، نظراً لصعوبة تناول العلاقات الحضارية في زمن مجتزئ من عصر ما قبل الإسلام . فهي علاقات متواصلة الحلقات ، كل حلقة تأخذ برقاب الحلقة التالية لها ، ويصعب تقطيعها إلى مدد زمنية محددة .

وقد تمثلت مسوغات هذا البحث في مسوغات البحث السابق نفسه ، إلى جانب مسوغات أخرى تخصه من أهمها :

- ١- توسيع اللقب الملكي في عصر التابعة الثاني ليشمل الأعراب في الطود وقحمة ، والذي يقتضي معرفة المقصود بتلك الإضافة ، وعلاقتها بالحملة العسكرية للملوك الحميريين - خلال هذا العصر - في شمال الجزيرة .
- ٢- معرفة النظرة التي كانت تنظر بها قبائل شمال الجزيرة إلى حكم الدولة الحميرية لهم ، وامتداد سيطرتها إلى مناطقهم .
- مع محاولة تتبع الأسباب التي أدت إلى ثورة هذه القبائل ضد الوجود الحميري ، والتي تمثلت في بعض أيام العرب ، التي ساعدت على انحسار السيطرة الحميرية عن شمال الجزيرة العربية .
- ٣- تتبع العلاقة التي ربطت جنوب الجزيرة في ظل السيطرة الأجنبية (الحبشية والفارسية) مع شمال الجزيرة ، خصوصاً وقد حاول الأحباش التشبه بأسلافهم التابعة ، وقاموا بإرسال حملات استهدفت شمال الجزيرة ، وهذا فإن الباحث سيعمل على تتبع هذه الحملات ، محاولاً معرفة الأسباب الحقيقية التي كانت وراء إخراجها .

٤- ظهور دولة كندة في دهرها الثاني خلال هذه الحقبة من الزمن ، ولذلك فمن الطبيعي أن نعمل على معرفة دور الدولة الحميرية في إقامة هذه الدولة ، وطبيعة العلاقة التي ربطت بين الجانبين .

* * *

وقد تم تقسيم البحث إلى أربعة فصول : تسبقها مقدمة ومدخل ، وتنتهي بخاتمة . وقسّم كل فصل إلى فقرات متعددة ، مترابطة في مواضيعها ، ومتفاوتة في أحجامها ، بناءً على المعلومات المتوفرة في كل فقرة ، وقد توالى فصول البحث على النحو التالي :

- الفصل الأول :

(امتداد نفوذ الدولة الحميرية نحو شمال الجزيرة خلال عصر

التبابعة الثاني)

قدم الباحث فيه دراسة للعلاقات بين جنوب الجزيرة وشمالها خلال هذه العصر ، الذي حمل الملوك الحميريون فيه اللقب الملكي الأطول في تاريخ اليمن القديم (ملك سبأ وذئب ريدان وحضرموت وعمان وأعراس طوداً وقامة) . وقد شمل هذا العصر القرن الخامس الميلادي بكامله ، بالإضافة إلى الربع الأول من القرن السادس الميلادي . ويبدأ هذا العصر بتولي الملك الحميري أبي كرب أسعد (أسعد الكامل) صاحب الإضافة الأخيرة في لقب التبابعة الطويل (وأعراس طوداً وقامة) ، وينتهي في مطلع القرن السادس الميلادي بالملك (معدي كرب يعفر) آخر من حمل لقب التبابعة الطويل . وقد درس الباحث في هذا الفصل الحملات التي شنها الملوك الحميريون في هذا العصر على منطقة شمال الجزيرة العربية ، متبعاً أسبابها ، وأحداثها ، ونتائجها .

أما الملك يوسف أسار يثار (ذي نواس) فقد أدخل ضمن هذا العصر ، رغم تخليه عن اللقب المميز للوكة ، وحمله لقباً آخر خاصاً به (ملك كل الشعوب) ؛ وذلك لأن المادة العلمية التي تخص عهده لا تسمح بتخصيص فصل مستقل به ، ومن غير الممكن إدخاله في الفصل الخاص بالاحتلال الأجنبي لليمن .

- الفصل الثاني :

(امتداد نفوذ الدولة في جنوب الجزيرة نحو شمالها خلال عصر

الاحتلال الحبشي والفارسي)

يمتد العصر الذي خصص له هذا الفصل من دخول الأحباش إلى اليمن في الربع الأول من القرن السادس الميلادي ، إلى إسلام الوالي الفارسي الأخير على اليمن في الربع الأول من القرن السابع الميلادي ، ودخول اليمن ضمن الدولة الإسلامية الناشئة . وقد درس الباحث في العلاقات التي ربطت جنوب الجزيرة (اليمن) بشمالها خلال هذه الحقبة التاريخية . وكان أبرز ما درسه الباحث في هذا الفصل هو تلك الحملات العسكرية التي شنّها الأحباش في اليمن على شمال الجزيرة العربية ، إلى جانب دراسة العلاقة التي سادت بين جنوب الجزيرة وشمالها خلال احتلال الفرس لليمن ، الذين أصبحوا بذلك يفرضون نفوذهم على معظم أنحاء الجزيرة العربية .

- الفصل الثالث :

(دولة كندة في دهرها الثاني وعلاقتها باليمن)

خصص الباحث هذا الفصل لدراسة دولة كندة ، وطبيعة العلاقة التي ربطتها باليمن . وقد قدم فيه دراسة متكاملة عن قيام هذه الدولة ، وتاريخ ذلك ، ودور الحميريين فيه . ثم درس تطور تلك الدولة ، وانهارها . وقد حرص الباحث على تقديم نظرة عن توسع هذه الدولة وامتداد نفوذها ، ^{سواء} بصفته أنه يمثل بصورة أو بأخرى ، امتداداً لنفوذ الدولة الحميرية .

- الفصل الرابع :

(أيام العرب وأثرها على النفوذ اليمني في شمال الجزيرة)

قدم الباحث في مطلع هذا الفصل لمحة عامة عن أيام العرب ، ومن ثم انتقل لدراسة الأيام التي تخص موضوع البحث ، والتي تمثلت في تلك الأيام التي كان لها تأثير على نفوذ الدولة اليمنية في شمال الجزيرة ، سلباً وإيجاباً ، والتي كان أحد طرفيها مرتبطاً بتلك الدولة بصورة أو بأخرى ، مثل كعدة ، ومذحج ، وهمدان ، بغض النظر عن القسم الذي تنتمي إليه تلك الأيام .

* * *

أما المصادر والمراجع التي اعتمد عليها الباحث لإنجاز بحثه ، فقد تمثلت بالدرجة الأولى في النقوش المسندية القديمة ، وكان أبرز هذه النقوش ، هي تلك التي والتنا بأخبار أبرز ثلاث حملات عسكرية توجهت من جنوب الجزيرة العربية صوب شمالها ، وذلك في عهد الملوك : أبي كرب أسعد (Ry 509) ، ومعدى كرب يعفر (Ry 510) ، وأبرهة (Ry 506) .

أما كتب الرواية العربية ، فقد تكاملت فيما بينها لتكون المصدر الأساسي لكثير من المعلومات الواردة في هذا البحث ، خصوصاً في الفترات التي لم نعثر فيها على نقوش تخصها . وقد حرص الباحث على تنويع هذه المصادر ، بحيث يشتمل بحثه على أبرزها وأهمها .

تأتي بعد ذلك بعض المصادر البيزنطية والسريانية ، إلى جانب المراجع الحديثة التي أفاد منها الباحث في تغطية الحلقات التاريخية التي لم تتضح أحداثها من خلال المصادر النقشية والعربية .

* * *

وفي الختام ، أتوجه بعظيم الشكر والعرفان إلى أستاذي الفاضل ، الأستاذ الدكتور/ عبد الله حسن الشية ، على تفضله بالإشراف على هذه الأطروحة ، وعلى

ما شملني به من علمه الفزير ، وأخلاقه الكريمة ، وتوجيهاته السديدة التي كان لها
الفضل الأول — بعد الله — في إخراج هذا البحث بهذه الصورة التي هو عليها .
وكذلك أسجل بالغ الشكر والاحترام إلى أستاذي الفاضل ، الأستاذ الدكتور /
عبد الرحمن عبد الواحد الشجاع ، رئيس قسم التاريخ ، الذي غمرني بكرم أخلاقه ،
وأمدني بكثير من المصادر القيمة التي ترخر بها مكتبته العامرة .
ولا يفوتني أن أشكر هنا كل أساتذتي الأفاضل ، أعضاء هيئة التدريس في قسم
التاريخ ، على سؤا لهم الدائم عني ، ومتابعاتهم المستمرة لي .
وأخيراً أتقدم بشكري الجزير لكل من قدم لي عوناً أو أسدى لي معروفاً — أثناء
إعداد هذا البحث — من الأهل والزملاء والأصدقاء ، وهم كثر ولا يتسع المجال هنا
لذكرهم ، فأسأل الله أن يجزيهم عني خير الجزاء ، إنه على ذلك قدير ، وبالإجابة
جدير .

الباحث

مجلد

**العلاقات بين جنوب الجزيرة وشمالها
قبيل القرن الخامس الميلادي**

قبل الدخول في الحديث عن العلاقات خلال القرن الميلادي الخامس ، يتحتم علينا تقديم هذا المدخل الذي منعرض فيه بإيجاز لطبيعة العلاقة التي سادت بين جنوب الجزيرة العربية وشمالها قبل زمن موضوع البحث .

وبهذا الخصوص نعرف أن أول ذكر للعرب (الأعراب) في النقوش اليمنية القديمة — المعروفة لنا — يعود إلى القرن الأول ق . م (CIH 79) ، ثم جاء ذكرهم في نقش يعود إلى النصف الثاني من القرن الأول الميلادي ، في عهد الملك السبئي (نشأ كرب يهامن) (Ja 560) . أما المصادمات الأولى بين اليمنيين والأعراب فقد تعددت أطرافها من عهد (سعد شمس أسرع) وابنه (مرثد يهحمد) ملكي سبأ وذي ريدان (Ja 315) و (وهب إيل يحوز) ملك سبأ (Ja 361 bis) في مطلع القرن الثاني الميلادي . وقد بدأ البدو منذ هذا التاريخ يحاولون التغلغل داخل أراضي الممالك اليمنية القديمة ، خصوصاً سبأ وحضرموت ، حيث عملت المملكتان على مواجهة هذا التغلغل عن طريق دمج البدو بالحضر ، والاستفادة منهم في الجيوش المقاتلة ، سواء في ضمهم إلى الجند اغتربين ، أو في جعلهم محاربين متطوعين عند نشوب الحروب ، كما حدث في عهد الملك (علهان قفان) ملك سبأ (NNN 71,73) في نهاية القرن الثاني الميلادي تقريباً^١ .

وقد بدأت دولة سبأ في عهد ملكها (شاعر أوتر) — أواخر القرن الثاني بداية الثالث الميلادي — مرحلة جديدة في تعاملها مع عرب الشمال ، تمثلت في شن حملات عسكرية مباشرة على منطقة شمال الجزيرة العربية نفسها . حيث نجد العديد من

^١ روبان كرسنيان . انتشار العرب البعثة في اليمن من القرن الثاني إلى العاشر الميلادي ، مجلة دراسات بحية ، ص ٢٧ ، ١٩٨٧ م ، ص ٨٩ — ٩٥ — با فقيه (وآخرون) . عتبرات من النقوش اليمنية القديمة ، تونس ، ١٩٨٥ م ، ص ٢١٢ .

النقوش التي تحدثنا عن حملات قام بها قادة الملك (شاعر) على قرية ذات كهل (Ja 634, b35) ، الحاضرة الأولى لدولة كندة في دهرها الأول^١ .

أما في عهد الملك السبي (إل شرح يحضب) وأخيه (يازل بين) ، في منتصف القرن الثالث الميلادي ، فقد استمرت الحملات السبية على كندة وعاصمتها (قرية) (Ja 576) . ونستدل مما قام به الملكان (إل شرح) و (يازل) تجاه كندة ، وإرامها بتسليم الرهائن ، أن كندة قد أصبحت في هذا الوقت مجرد محمية سبية^٢ ، وكانت العلاقة التي تربطها بالدولة السبية ، شبيهة بتلك العلاقة التي ربطت البتراء وتدمر بالدولة الرومانية ، وكذلك الحضر بالدولة القرثية (الفارسية)^٣ .

وهناك نقشان آخران يعودان إلى عهد الملك (إل شرح) وأخيه (يازل) ، يتحدثان عن سفارات سبية إلى الكيانات القبلية في وسط الجزيرة العربية (كندة ، مذحج ، الأسد ، غسان ، نزار) (In 75 , Ja 2110) ، يتضح من خلالهما أن علاقة المملكة السبية مع هذه الكيانات القبلية ، قد تطورت إلى ما يشبه التحالف ، بحيث أصبح الملك السبي يرسل إليها السفراء بدلاً من الجيوش العسكرية .

وبالسبب لعهد الملك الحميري (شمر يهرعش) — الذي تمكن من توحيد جنوب الجزيرة العربية (اليمن) تحت حكمه في أواخر القرن الثالث الميلادي ، واتخذ لأول مرة لقب (ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت وبمالة) — فقد عثر على العديد من النقوش التي تحكي أن هذا الملك قد قاد عدة حملات ضد مناطق وسط الجزيرة (Ja 658 , 660 , Ir 17) إلا أن أشهر هذه النقوش هو ذلك النقش الذي يذكر مدونه . أن سيده (شمر يهرعش) قد أرسله إلى (مالك بن كعب) ملك الأسد

^١ الأنصاري . ج ١ . ابنه حنبلة على كندة من خلال آثار غربة القفار ونقوشها ، مصادر تاريخ الجزيرة العربية ، ج ١ ، الرياض ، ١٣٩٩ هـ ، ص ٩٠

^٢ روبان . انتشار العرب ، ص ٩٧ .

^٣ عبد الله . يوسف . لورين في تاريخ اليمن وآثاره ، بيروت — دمشق ، ١٩٩٠ م ، ص ٢٨٣ .

(الأزد) ، ثم مصى في رحله حتى وصل قطوصف وكوك* المدينتين المملوكتين للفرس ، وكذلك أرض توخ (12-18 sh 31) .

وإلى عهد (شمر بهر عش) هذا ، تعود الغزوة التي قام بها الملك اللخمي (امرؤ القيس بن عمرو) ضد مناطق وسط الجزيرة العربية ، والتي وصلت إلى أسوار مدينة نجران ، التابعة لشمر (RES 483)^٦ ولا يستبعد شهادته بأن تكون هذه الحملة بمثابة الرد على العمليات التي تحدث عنها نقش (Sh 31) سالف الذكر .

ويرى البعض أن لقب كبير الأعراب (ك ب ر / أ ع ر ب) - الذي كان صاحبه بمثابة قائد للجيوش البدوية التابعة للدولة الحميرية - قد ظهر في عهد هذا الملك^٧ ، وهو اللقب الذي ظهر بوضوح في نقوش العهد التالي لعهد مباشرة (Ir 32 , Ja 665) . وقد شملت قائمة الأعراب في هذه النقوش القبائل التالية : كندة ، مذحج ، حرم (حرام) ، باهل (باهلة) ، زيد إل ، الحداد ، رضا ، أظلم وأمير . وإلى هذا العهد (النصف الأول من القرن الرابع الميلادي) يعود نقش عبدان ، الذي يتحدث عن حملات واسعة قام بها الملوك الحميريون ، ضد مناطق شمال الجزيرة العربية (البمامة ، نجد ، البحرين)^٨ .

ويرى بافقيه^٩ أن هذه الحملات ، كانت بمثابة الرد الحميري على حملة الملك اللخمي (امرؤ القيس بن عمرو) ، التي أشار إليها نقش النمارة ، وأن تأخرها كان بسبب انشغال الحميريين بترتيب أوضاعهم الداخلية .

٧٠٤٦

* قطوصف وكوك : هما المدينتان المتناوستان اللتان عرفتا في العصر الإسلامي باسم اللدس .

(انظر : Al - Sheiba , Die Ortsnamem in den Altsudarabischen Inschriften , Mainz , 1987 , PP 48 , 49 .)

^٦ يعرف هذا النقش بنقش النمارة ، وهو موزع في ٧ كتلول (نوفمبر - ديسمبر) من عام (٦٦٣) من تاريخ تبصرى ، الموافق لعام (٣٢٨) .

^٧ حملة امرؤ القيس على نجران ، مصادر تاريخ الجزيرة العربية ، ج ١ ، الرياض ، ١٣٩٩ هـ ، ص ٧٥ .

^٨ Wiss Mann H.Himyar Ancient History, Le' Museon , LXXXVII, Louvain, 1964, PP 489 .

^٩ لتفاصيل أكثر عن نقش عبدان انظر : Robin , C . L'Inscription Du wadi Abdan, Ridan , Nob, 1994 , PP.113 - 136 .

^{١٠} حوده إلى نقش عبدان ، مجلة دراسات بحية ، ص ٥٤ ، العدد ٥ ، ١٩٨٨ م ، ص ٥٨ .

ونستطيع القول أن الحملات التي تحدث عنها نقش عبدان ، قد مهدت لظهور
الفترة اللاحقة لها ، في عهد الملك الحميري أبي كرب أسعد (أسعد الكامل) ، الذي
منبداً بعهدده حديثاً عن العلاقات بين جنوب الجزيرة وشمالها خلال القرن الخامس
الميلادي .

الفصل الأول

امتداد نفوذ الدولة الحميرية

نحو شمال الجزيرة

خلال عصر التبابعة الثاني

تمهيد :

قبل الحديث عن العلاقات في عصر التبابعة الثاني علينا أن نعرف بصورة موجزة عصر التبابعة ، وتقسيمه إلى أول وثاني .

والتيع هو لقب أطلقه الإخباريون العرب على ملوك حمير ، الذين امتد حكمهم ليشمل حضرموت والشحر^١ . وعوجب ذلك فقد عذ الملك (شمر يهرعش) - الذي ضم حضرموت وعمالة^٢ إلى الدولة الحميرية - بمثابة أول التبابعة الحميريين .

ويقسم عصر التبابعة إلى قسمين : أول وثاني ، يفصل بينهما إضافة الملك الحميري أبي كرب أسعد (أسعد الكامل) لعبارة (وأعرأهم طوداً وقامة) ، إلى اللقب الملكي الحميري^٣ .

ولعل كلمة (تبع) هي تحريف لكلمة (تبع) التي هي في الأصل اسم لإحدى قبائل سبعي اليمنية القديمة^٤ .

والتبابعة هؤلاء هم حميريون ، وكانوا يملكون اليمن كلها ، ومنطقة واسعة مجاورة لها . ولعل هذا هو سبب تسمية العرب لكل ما يتعلق بجنوب الجزيرة قبل الإسلام ، بالحميري .

^١ ابن خلدون - المعر ، مج ٢ ، بيروت ، ١٩٧٧ م . ص ٩٤ . ولقب (تبع) لم يثر عليه في النقوش المعروفة ، وقد أشار إليه التران الكرم في أكثر من موضع (الدعاء / ٣٧ ، ق / ١٤) .

^٢ عمالة : مثل قامة ، يقصد بها منطقة السواحل الجنوبية لليمن ، الواقعة على خليج عدن والبحر العربي ، والذي عرف معصه باسم الشحر في المصادر الإسلامية . انظر . الصري (وآخرون) . في صفة بلاد اليمن عبر العصور ، بيروت ، ١٩٩٠ م ، ص ١٩ .

^٣ بافقيه - موجز تاريخ اليمن قبل الإسلام ، مختارات من النقوش اليمنية القديمة ، تونس ، ١٩٨٥ م ، ص ٥٤ ، ٥٩ .

^٤ الشبي . دراسات في تاريخ اليمن القديم ، تعز ، ٢٠٠٠ م ، ص ٢٤ .

في عهد أبي كرب أسعد (أسعد الكامل) :

سوف نبدأ حديثنا عن العلاقات ، خلال القرن الخامس الميلادي^١ بجلوس الملك الحميري (أبي كرب أسعد بن ملكي كرب يهامن) - المعروف في المصادر العربية بأسعد الكامل - على عرش الدولة الحميرية . وذلك في أواخر القرن الرابع ، أوائل القرن الخامس الميلادي^٢ . وقد اتخذ الملك الأسعد الأطول في تاريخ اليمن القلبي وهو : (ملك سبأ ، وذئب ريدان ، وحصرموت ، وبعانة ، وأعرهم طوداً وقامة) . حيث اكتملت الوحدة اليمنية على يديه ، وأصبح عصره من أبرز عصور التاريخ اليمني قبل الإسلام^٣ .

وتذكر المصادر العربية ، أن هذا الملك ، قد أكثر من الغزو ؛ داخل الجزيرة العربية ، وخارجها . وأن غزواته قد شملت أراضي المشرقين والمغربين . وعن هذا الملك تحدث الحمداي في الجزء الرابع من اكليله وهو من الأجزاء المفقودة ، وعوانه (في السيرة القديمة إلى عهد أبي كرب أسعد الكامل)^٤ وما يهمنا هنا هو ما ذكرته تلك المصادر عن غزوات هذا الملك ضد القبائل والمناطق الواقعة في شمال الجزيرة العربية ، حيث تورد لنا العديد من القصائد المنسوبة إليه ، والتي يذكر فيها أنه قد أخضع معد ، وقيس ، ومرار ، واليمامة ، وحميم ، وكنانة ، وغيرها^٥ .

^١ لمعرفة تفاصيل العلاقات التي ربطت بين جنوب الجزيرة العربية وعمقها ، خلال الفترة السابقة ، لفترة بحثنا هذا . يتم العودة إلى رسالة الماجستير التي أعدها الباحث . وعرضت في دراسة تلك العلاقات خلال القرنين الثالث والرابع للميلاد . (أبو الهيثم . عبد الله . علاقة جنوب الجزيرة العربية بشمالها خلال القرنين الثالث والرابع للميلاد ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة صنعاء ، ١٩٩٨ م .

^٢ حول تاريخ حكم الملك (أبي كرب أسعد) . انظر : عبد الله . يوسف . لوراء في تاريخ اليمن وأنتوه ، بيروت - دمشق ، ١٩٩٠ م ، ص ٣٣٤ . ولمحمد البوننا خالداً ومن حكمه في الفترة الواقعة بين عيسى (٣٨٠-٤٤٠ م) . انظر : جنوب الجزيرة العربية موحداً تحت راية حمير (اليمن في بلاد ملكة سبأ) ، دمشق ، ١٩٩٩ م ، ص ١٨٨ . ويرى بعض الدارسين أن (أسعد الكامل) قد حكم قبل الإسلام بحوالي عشرة قرون ، مصححاً بذلك - حسب رده - الرأي القائل بأنه قد حكم قبل الإسلام بحوالي ثمان مائة سنة . انظر : الأنصاري . عبد القلوس ، الكعبة : أسماء ومعارف ومعبد ومعبوداً وتاريخاً قبل الإسلام ، (الجزيرة العربية قبل الإسلام) ، إشراف / عبد الرحمن الأنصاري ، الرياض ، ١٩٧٩ م ، ص ١٤١ . وذلك وهم كبير يتعارض مع ما جاء في النقوش البسيطة القديمة ، التي تحدد حكم هذا الملك خلال الفترة الممتدة من ١٢٣-١٢٥ م .

^٣ انظر : عبد الله . أوراق ، ص ٢٥٣ .

^٤ تم معرفة عناوين الأجزاء المفقودة من الاكليل من خلال فهرسة الأحرار التي نشر عليها ، خصوصاً الجزء الثاني ، ص ٩ ، تحقيق / محمد بن علي الأكرع ، بيروت ، ١٩٨٦ م .

^٥ الحميري . مشوان بن سعيد . طوك حمير وأقيال اليمن ، تحقيق / علي بن إسماعيل المزيدي وإسماعيل بن أحمد الجرائي ، بيروت ، ١٩٧٨ م ، ص ١٢٣-١٢٥ .

وتحكي هذه المصادر أن الملك أسعد كان قد مر بيثرب (المدينة المنورة) في مبدأ غزواته ، التي بلغت بلاد الصين ، وترك فيها ابناً له ، فقتله اليربيون غيلة . وبعد انتهاء الملك أسعد من غزواته عاد إليها وفي نيته إخراجها ، واستصال أهلها ، وقطع محلها ، انتقاماً لولده . فبدأ في مقاتلة أهل يثرب ، ولكن أثناء قتاله لهم ، خرج له حبران يهوديان فياه عن إخراجها وقتل أهلها ، وأخبراه أنه لن يستطيع دخولها ، لأنها مهاجر نبي كريم ، يخرج من قريش في آخر الزمان فكف عن ذلك . وأخذ الحبرين معه إلى اليمن بعد أن اعتنق اليهودية^١ .

وفي طريق عودته إلى اليمن مر على مكة ، فطاف بالبيت الحرام وحج عنده . وأقام فيها ستة أيام ، ينحر ويطعم الناس ، ويسقيهم العسل . ثم كسا اليتيم - وقيل هو أول من كساه - وجعل له باباً ومفتاحاً ، وأوصى به ولاته من جرهم ، ثم خرج من مكة ، متوجهاً إلى اليمن بمن معه من الجنود ، ومعهم الحبران اليهوديان^٢ .

وبالنسبة لغزواته خارج الجزيرة العربية ، فلاعتقاد الشائع بين المؤرخين أنها مجرد مبالغات أسطورية لا تمت إلى التاريخ الحقيقي بصلة ، خصوصاً ونحن لا نجد صدى يذكر - فيما نعرف - عن هذه الحملات ، في الوثائق التاريخية ، لتلك البلدان ، التي قيل إن الملك أسعد الكامل ، قد غزاها ، وأخضعها لحكمه . ابتداءً من العراق ، وانتهاءً بالصين كما سبق القول . بل إن بعض الرواة العرب أنفسهم يرفضون مثل هذه الأقوال. فهذا هو ابن الأثير مثلاً يعد ذلك " من النقل القبيح ، والغلط الفاحش ، وفساده أشهر من أن يذكر " نظراً لعدم امتلاك اليمن للأعداد الكبيرة من السكان التي يمكنها إخضاع كل تلك المناطق^٣ .

أما فيما يخص حملات هذا الملك ، في شمال الجزيرة العربية فالأمر يختلف كثيراً ، حيث أكدت الشواهد التاريخية أن منطقة شمال الجزيرة قد مثلت الامتداد الطبيعي

^١ ابن هشام . السيرة النبوية ، مج ١ ، ج ١ ، تحقيق / محمد شحقة إبراهيم ، القاهرة ، ١٩٩٠ م ، ص ٦٩-٧٠ - الطبري . تاريخ الأمم والملوك ، طبعة دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٧ م ، ص ١٠٥ .

^٢ ابن هشام . السيرة ، ص ٢٠-٢٢ - ابن منبه . كتاب التيجان في ملوك حمير ، تحقيق ومشر / مركز الدراسات والأبحاث اليمنية ، صنعاء ، ١٩٧٩ م ، ص ٣٠٦ .

^٣ انظر : الكامل في التاريخ ، ج ١ ، بيروت ، ١٩٨٣ م ، ص ٢٤٧-٢٤٩ .

والحيوي للدول التي قامت في جنوب الجزيرة ، وخصوصاً الدولة السنية الحميرية التي أثبتت النقوش أن جيوشها صالت وجالت في شمال الجزيرة خلال الفترة السابقة لعهد هذا الملك^١ .

أما في عهد الملك أبي كرب أسعد ، فقد عثرنا على نقش وحيد — حتى الآن — يتحدث عن صلات الدولة الحميرية ، في عهد هذا الملك ، بمناطق شمال الجزيرة العربية (RY 509) هذا نصه :

١- أب كرب / أسعد / وب ن وه و / ح م ن / ي ه ا م ن / م ل ك
ي / س ب ا /

٢- وذري دن / وح ضر م وت / اري م ن ت / اواع رب / طود / و
ت ه م ت /

٣- ب ن ي / ح م ن / م ل ك كرب / ي ه ا م ن / م ل ك / س ب ا /
و ذ /

٤- ري دن / وح ضر م وت / اري م ن ت / ارق دو / (ذ) ن / ارق دن /
ب و د /

٥- ي ن / ا م اس ل / ا ج م ح ن / ك س ب ا و / ا و ح ل ل و / ارض /

٦- م و د م ٢ / ص م و / ن ز ل م / ب ن / أشع ب ه م و / و ب ش
ع ب ه ا /

٧- م و ا ح ضر م وت / ا و س ب ا / [ا] ب ن ي / ا م رب / ا و ا ص غ ر ت /

٨- ا ق و ل ه م و / ا و ش غ ل م ٣ / [و ك ل] / ا م ق ت وت ه م و / ا و ا ت /

^١ انظر أبو العيث الملاقة ، ص ٥٢ ، ١٠٦ .

^٢ جاء هذا الاسم في نسخة أحدث حديثاً للنقش (ممد) (قطر : الأكلري (وآخرون) ، مائل ، الرباط ، ١٩٩٩ م ، ص ٢٦ . وهو انعمد لدى الدارسين .

^٣ يرجع البعض أن الكلمة هي (هـ ج ل م) . القسري (وآخرون) . صفة بلاد اليمن هو المصور ، بيروت ، ١٩٩٠ م ، ص ١٩ . ويرى آخرون — بناء على مطالعتهم للنقش — أنها (ر ج ل م) ، الأكلري (وآخرون) . مائل ، ص ٢٦ . وهو المرجح والمنسجم مع سياق النقش .

٩- ل ي هـ م وا و ص ي د هـ م وا و ق ب ض هـ م وا و ب أ ع
رب هـ /

١٠- م وا / ك د ت / و س و د / و و ل هـ / وهـ ...

ومعناه : " أبي كرب أسعد ، وابنه حسان يهأمن^١ ، ملكا سبأ ، وذو ريدان ، وحضرموت ، ويمانة ، وأعراب طود ، وقمامة . أبناء حسان ملكي كرب يهأمن^٢ . ملك سبأ ، وذو ريدان ، وحضرموت ، ويمانة مروا من [هذا] الممر ، بوادي (مأسل الجملح)^٣ . يوم غزو أرض (معد ضمو)^٤ ، وحلوا بها نازلين بين قبائلهم ، ومع قبائلهم : حضرموت ، وسبأ ، وبني مارب ، والأصاغر من أقوالهم^٥ ، والراجلة (المشاة) ، وكل قاذقهم ، وفرسانهم ، ورماتهم ، وأقباضهم^٦ ، وأعرابهم : كندة ، وسود ، وعُلة^٧ و ... " .

وهكذا يأتي هذا النقش مصدقاً ، ومؤكداً لبعض ما جاء في كتب أهل الأخبار ، من ذكر لخمات أسعد الكامل على مناطق شمال الجزيرة العربية . والتي استهدفت

^١ (الواو) النسبة هي (حو) ، والمقصود بالاسم قبيلة (علة) . (انظر : الأصاري (وآخرون) . مأسل ، ص ٢٦) .

^٢ أثبتت لخمات أن كرب أسعد ابنه حسان يهأمن معه في الحكم عام (٤٠٠ م) تقريباً . انظر : السبب . عبد الله حسن ، دراسات في تاريخ اليمن القديم ، لعل ، ٢٠٠٠ م ، ص ٢٩ .

^٣ يرد اسمه عادة دون (حسان) أي ملكي كرب يهأمن فقط .

^٤ مأسل الجملح : اسم قدم لواء يقع جنوب الداراضي ، وقد جاء ذكره في الشعر الجاهلي ، كما أن الجملح ذكره في الصفة أكثر من مرة (انظر : ...)

Al - Sheiba A Die Ortsnamen PP 50 f

^٥ معد : اتحاد قبلي ، في وسط الجزيرة العربية (يوترومكي) ، مطبعة من الملك الحشمري لأسعد الكامل ، ترجمة : شاهر جمال آغا ، صنعاء ، ١٩٨٤ م ، ص ١٢٢) وهي عند النساب بطن من حمدان ، ومنهم ناسل جميع بني حمدان (الفلقندي ، نهاية الأرب في معرفة أساب العرب ، تحقيق / إبراهيم الإياري ، القاهرة - بيروت ، ١٩٨٠ م ، ص ٤٢٤) أما صمو ، فربما يكون مبرأفاً من معد أخرى ، وهو أمر معروف في النصوص اليمنية القديمة مثل ما ورد عن شيام في النقوش (انظر Al - Sheiba A Op) (cit , PP 35,36) ويقترح البعض وجود حرف (الواو) قبل كلمة (صمو) ، وبالتالي يكون ممثلاً وصمو ، أي حموا أو وحلوا . (انظر : الأصاري (وآخرون) ، مأسل ، ص ٢٦ ، ٣٠) .

^٦ يقال أقوال وأقوال ، وانفرد قول وقيل ، وأصاغره في النقش مضاف إلى مقتو تحمو ، وهي جمع مقتوي ، بمعنى قائد جيش . عبد الله (وآخرون) ، صمة بلاد اليمن ، ص ١٩ .

^٧ الأقباض : هم الأهلوان المسلحون أو الشرطة . انظر : هشتون (وآخرون) ، المعجم السبئي ، لوفان الجديدة - بيروت ، ١٩٨٣ م ، مادة (ق ب ص) .

^٨ سيأتي الحديث عن كندة بصورة مفصلة ، في الفصل المخصص لها . لما سود وعلة : فهما قبيلتان كما يستفاد من سياق النقش . وجاء عند الفلقندي : أن (يو سود) بطن من قبيلة مزيقيا القحطانية . وكذلك (بو علة) بطن من قبيلة كهلال القحطانية أيضاً . انظر : نهاية الأرب ، ص ٣٩٩ ، ٣٦٨ .

بدرجة أساسية القبائل المعدية ، كما سبق القول . والأرجح أن هذه الحملة التي ذكرها النقش (RY 509) تأتي في سياق الحملات السابقة لها ، التي شنّها ملوك الدولة السبئية الحميرية ، على مناطق شمال الجزيرة العربية ، خلال القرنين الثالث والرابع الميلاديين . وفي سياق الأهداف نفسها والتي تمثلت في تأمين الطرق التجارية المارة عبر الجزيرة العربية ، وحماية السكان المتحضرين في الجنوب ، من هجمات البدو المتكررة عليهم^١ .

والسؤال هنا : هل لهذه الحملات علاقة بالحملة المذكورة في المصادر — مألوفة الذكر — أم هي حملة أخرى اقتضت على منطقة نجد ، التي دوّن فيها النقش ، ولم تتجاوز ذلك المكان إلى منطقة الحجاز ؟ ولا مناص هنا من الاعتراف بأننا لن نتمكن من تقديم إجابة شافية على ذلك السؤال ، وذلك لعدم توفر أي نقوش أخرى لدينا ، تحدثنا عن حملات هذا الملك ، نحو مناطق شمال الجزيرة العربية المختلفة . إلى جانب أن النقش الذي بين أيدينا (RY 509) لا يمكننا من تقديم تلك الإجابة ؛ لأنه لا يشير إلا إلى معد فقط . ولكننا يمكن أن نستشف منه أن النقش قد دوّن في مأسل الجمع ، أثناء ذهاب الحملة إلى معد ، وليس بعد إياها منها . نظراً لأن النقش لم يذكر أي تفاصيل عن المعركة الدائرة ، وعن نتيجة هذه الحملة كما جرت عليه العادة ، عند تدوين النقوش الحربية . أي أن الملك أبي كرب أسعد عندما دوّن هذا النقش قد ذكر لنا قبيلة معد ، بصفتها وجهته الأولى التي خرج من أجلها ، ولكن عملية سير المعركة والنتائج التي تمحضت عنها ، والتي كانت أحداثها بعد تدوين نقشنا المذكور ، ربما قادت به إلى معارك أخرى ضد قبائل ومناطق أخرى في شمال الجزيرة العربية ، قد يكون منها يثرب ، ومكة ، وبقية المناطق التي ورد ذكرها في المصادر العربية ، بصفتها مناطق مستهدفة لحملات الملك أسعد الكامل .

ونختتم الحديث عن هذه النقطة بالإشارة إلى تشابه بعض العبارات الواردة في نقش الملك (أبي كرب أسعد) مع ما جاء في بعض المصادر العربية أثناء حديثها عن

^١ عن أسباب الحملات الحميرية (انظر : لونغين . البس إبان القرن السادس الميلادي ، الحلقة الأولى ، ترجمة / محمد علي البحر ، مجلة الأكليل ، العدد الثالث والرابع ، ١٩٨٨م ، ص ١١ — المجلس : مدينة الرياض ، ص ٣٢ ، ٣٣) .

حملة هذا التبع نحو العراق . حيث جاء في كتاب الأغاني^١ ما يلي : " أقبل تبع أيام سار إلى العراق ، فزول بأرض معد " . وعبارة نزل بأرض معد هنا تذكرنا بما جاء في النقش (سطر ٥ ، ٦) " ك س ب أو / و ح ل ل و / أرض / م ع دم / ض م و / ن ز ل م / أي . " يوم غزو أرض معد ضمو ، وحلوا بها نازلين " . وهذا قد يوحي لنا بأن كلا المصدرين إنما يتحدثان عن حملة واحدة . ومن يدري فلعل الأيام تجود علينا بالنقش الآخر ، الذي لا نستبعد أن يكون الملك الحميري ، قد نصبه في مكان ما من شمال الجزيرة ، وذلك بعد أن انتهى من حملته ، وسنعرف منه حينئذ صدق ما جاء في المصادر العربية ، خصوصاً فيما يتعلق بمنطقة شمال الجزيرة العربية ، وأرض العراق .

وقبل أن ننهي حديثنا عن العلاقات في عهد (أسعد الكامل) يتوجب علينا الإشارة إلى الإضافة الأخيرة ، التي أضافها هذا الملك إلى اللقب الملكي الحميري ، والتي كان لها صلة بامتداد العود الحميري ، نحو مناطق شمال الجزيرة العربية . وهي عبارة : (و أ ع ر ب ه م و / ط و د م / و ت ه م ت) " وأعرابهم طوداً وقامة " حيث ترى أيقونا غاجداً ، أن الملك أبي كرب أسعد قد أضاف الأعراب في الطود وقامة إلى لقبه الملكي ، بعد الحملة التي تحدث عنها نقشه (RY 509) سالف الذكر . ربما ترى اسمهان الجور^٢ ، أن تلك الإضافة إنما كانت بعد أن تمكن الملك من إكمال سيطرته الفعلية على أعراب مرتفعات السراة ، وامتدادها الغربي (قامة الحجاز) . أما هذه الدراسة التي بين يدي القارئ^٣ أن هذه الإضافة كانت سابقة لهذه الحملة المدونة في النقش (Ry 509) بدليل وجودها في هذا النقش الذي رجحنا — في الصفحة السابقة — أن تدوينه قد كان أثناء ذهاب الحملة إلى معد وليس بعد إياها منها .

أما المقصود بتهامة والطود ، المشمولة بالإضافة . فتهامة لا تزال معروفة لنا حتى اليوم وهي السهول الممتدة على طول الساحل الشرقي للبحر الأحمر ، من باب المندب جنوباً إلى خليج العقبة شمالاً

^١ الأصمعي . ج ١٦ ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٦٤ م ، ص ٢٧٧

^٢ جنوب الجزيرة موحد ، ص ٦٨٩ .

^٣ مبحث التاريخ السياسي للقدم جنوب شبه الجزيرة العربية (ليس للقدم) ، إريد ، ١٩٩٦ م ، ص ٦٠٧ .

ويرجح باقيه^١ أن اسم قحمة إنما هو معدى وليس يعني ، نظراً لأن القوش اليمنية لم يرد فيها هذا الاسم قبل هذه الفترة ، وأما قد أطلقت اسم (سهرتن) على المناطق الساحلية الغربية من اليمن وعسير . أما الشيء^٢ فيرى أن الاسم (قحمة) كان يقصد به المناطق الساحلية المنخفضة الممتدة بمحاذاة البحر الأحمر . أما (س ه ر ت ن) سهرتن ، وتكتب أيضاً بالميم (س ه ر ت م) سهرتم ، فهو اسم منطقة واسم قبيلة كانت تقطن هالك (ذ س ه ر ت م) ، وقد شملت المنطقة الواقعة بين وادي بيش ووادي مور ، أي أنها كانت تمتد من جيزان شمالاً عبر المناطق الساحلية اليمنية وتنتج جنوباً عبر وادي مور وحتى بلاد عك في الجنوب .

أما الطود ، فقد اختلف الدارسون حول المقصود به ، فقد رأى بعضهم^٣ ، أن الطود تعني الهضاب الممتدة خلف قحمة ، والضاربة في قلب الحجاز ، وأن مجدأ أو بعضاً منها قد تكون جزءاً من ذلك الطود . ويرى آخرون^٤ ، أن الطود وقحمة تعني المرتفعات والمنخفضات أو الجبال والوهاد . أما الممداني^٥ ، فيفهم منه أن الطود هي عسير أو جزء منه . بينما يذكر ابن النجار^٦ ، أن الحجاز هي الطود الأعظم . أما في اللغة فإن الطود هو الجبل العظيم^٧ . وكل ذلك يوحي لنا أن الحجاز هو الطود وكذلك لا بد أن تكون منطقة نجد أو جنوبها على الأقل جزء من الطود ، نظراً لامتداد نفوذ الملك صاحب الإضافة إلى تلك الأنحاء . فوادي مأسل الجمح (و د ي ن / م أ س ل / ج م ح ن) هو الموقع المعروف باسم (مأسل) اليوم جنوب غرب الرياض ، وكان الوصول إليه يستدعي أن يمر الملك (أبي كرب) إما عن طريق وادي الدواسر

^١ في العربية السعيدة ، ج ١ ، ص ٤٨٧ ، م ١٩٨٧ ، ص ٥٧ .

Die Ortsnamen , PP 20 , 35 .

^٢ بادشاه . محمد عبد القادر . تاريخ البس القديم ، بيروت ، ١٩٨٥ م ، ص ١٥١ .

^٣ الأنصاري (وآخرون) ، مأسل ، ص ٢٨ .

^٤ صفة جزيرة العرب ، تحقيق / محمد بن علي الأكرخ ، صنعاء ، ١٩٩٠ م ، ص ٢٣١ .

^٥ صفة بلاد البس ومكة وبعض المحاز ، لندن ، ١٩٥٤ م ، ص ٢ .

^٦ الفراري . مختار الصحاح ، الطائف ، ١٩٧١ م ، مادة (ط و د) .

(قرية القاو) فلبلي في الأفلاج^١ ، أو عن طريق جرش - أبها - بيشة - مكة - مهد الذهب . ويحمل أن الملك استخدم الطريق الأول في ذهابه والآخر في إيابه^٢ .
على كل حال ، فالإضافة الأخيرة إلى اللقب الملكي الحميري ، التي شملت الأعراب في الطود وقمامة ، تعكس الخطوات التي أدت إلى مزيد من التقارب بين سكان الجزيرة العربية^٣ . كما تعكس ازدياد دور القبائل البدوية ، في إطار الدولة الحميرية^٤ التي أصبحت منذ ذلك الحين دولة مزدوجة التركيب القبلي ، باشتماها على عدد كبير من القبائل الشمالية المتبدية ، التي بدأت تختلط بالقبائل الجوية المتحضرة^٥ . حيث دخل بدو شمال الجزيرة ضمن الإطار السياسي للدولة الحميرية ، التي بلغت بذلك أقصى امتداد لها . بعد أن شملت معظم أنحاء الجزيرة العربية^٦ . وكان الملك (أسعد الكامل) عندما اتخذ ذلك اللقب الطويل ، إنما أراد أن يقول بأنه أصبح ملكاً لكل الجزيرة العربية جنوباً وشمالاً .

- في عهد حسان يهأمن بن أبي كرب أسعد :

تذكر المصادر العربية أن (حسان بن أسعد الكامل) ، قد خلف أباه على العرش الحميري^٧ . أما المصادر النقشية^٨ فإننا لم نعثر فيها - حتى الآن - على أي نقش ، يتحدث عن عهد منفرد لحسان يهأمن بن أبي كرب أسعد . وكل ما عثرنا عليه فيها هو مشاركة حسان لأبيه في الحكم ؛ إما بصورة منفردة (RY 509) ، أو بصورة جماعية مع أربعة من اخوته الآخرين (RY 534)^٩ .

^١ Al - Sheiba A Die Ortsnamen PP 50 , 51

^٢ بافقيه . السجلة . ج ١ . ص ٦١ .

^٣ بروفسكي . أسعد الكامل ، ص ٦٣ .

^٤ رومان . انتشار العرب البداة في الحبش ، ترجمة / علي محمد زيد ، مجلة دراسات بحرية ، العدد ٢٧ ، ١٩٨٧ م ، ص ٩٩ .

^٥ عبد الله . أوراق . ص ٢٥٠ ، ٢٥٥ .

^٦ الحميري . ملوك حمير ، ص ١٣٨ - ابن هشام . السيرة ، ج ١ ، ص ٢٢ .

^٧ يؤكد بعض المؤرخين الحديثين ، حكم هذا الملك بعد أبيه . انظر :

Kitchen . Documentation for Ancient Arabia, part 1, Liverpool, 1994, pp.220 . الجرو . الموحر ،

ص ٢٥٩ .

ولعل أهم ما ترويه المصادر العربية عن هذا الملك، هي حلة التي شنها على قبيلة (جديس) وإبادته لهم بسبب قتلهم لقيلة (طسم)، وملكهم (عمليق) الذي كان موالياً حميراً^١. وذلك في يوم من أيام العرب، يُعرف بيوم طسم وجديس^٢. وتجعل هذه المصادر مواطلي طسم بين عُمان والبحرين، ومواطن جديس في اليمامة^٣.

وتتلخص القصة لديهم في تنازع امرأة من جديس مع مطلقها على ولد لهما، واختصاصهما إلى عمليق، ملك طسم وجديس. فأمر عمليق أن يُزرع الغلام مهماً، ويجعل في غلمانته، فقالت أم الغلام آياتاً من الشعر تعيب فيها حكم عمليق. فلما سمع عمليق مقولتها، أمر أن لا تزوج بكر من جديس حتى يراها هو. فلقت جديس من ذلك بلاء ودلاً، مما جعلها تغدر بطسم وملكها عمليق وتقتلهم، وقد أغضب ذلك الملك الحميري (حسان بن أسعد) — وكانوا جميعاً تحت طاعته — فثار إليهم بجيش كبير وقتلهم حتى أفتاهم جميعاً^٤.


ويذكر الطبري^٥ أن غزوة الملك الحميري على طسم وجديس قد توافقت مع غزوة جذيمة الأبرش ملك الحيرة، على المنطقة نفسها، إلا أن جذيمة قد تراجع، بعد أن أتت خيول حسان على سرية له. وأن نهاية الملك جذيمة كانت على يد الملكة الزباء، ملكة تدمر، في قصة معروفة.

والملاحظ على هذه الرواية الاضطراب التاريخي؛ لأن جذيمة الأبرش كان معاصراً — كما تقول الرواية — للربا (زنوبيا)، التي نعرف أنها حكمت تدمر خلال النصف

^١ ابن الأثير. الكامل، ج ١، ص ٢٠٣ - ٢٠٥.

^٢ سبأني الحديث عن هذه الواقعة كيوم من أيام العرب في الفصل المخصص لذلك.

^٣ النجدي. الأخبار الطوال، تحقيق / عبد المنعم حامر، القاهرة، ١٩٦٠م، ص ٣. ويذكر النجدي أن طسم كانت تسكن وادي (البعرص) و (البرر) وما قرىهما، إلا أن غزوها كان يشمل كل بلاد (الفروص) (أي اليمامة والبحرين) بينما سكنت قبلة (جديس) في (اليمامة) وادي الفرج وواحيه. انظر - مدينة الرياض، ص ٢٧.

^٤ ابن الأثير. الكامل، ج ١، ص ٢٠٣ - ٢٠٥ — أحمد - عظيم الدين: مقتنيات في أخبار اليمن (من كتاب خمس العلوم وفوائدها) كلام العرب من الكلام لشعر الحميري، ص ٦٦. ويذكر البعض أن سبب غزو حسان بجديس إنما كان بسبب استدعائه من دفع الخراج للملك، ولأن طسم قد أعاد بسبب جديس، وأن الملك قد بدأ بطسم لكونها القوة، حيث سهل عليه بعد ذلك هزيمة جديس بالقصيدة بالمقالب. انظر  مدينة الرياض، ص ٢.

^٥ تاريخ الأمم والملوك، ج ١، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ١٩٨٩م، ص ٤٤٠.

الثاني من القرن الثالث الميلادي^١ . بينما نعرف أن (حسان يهأمن) قد عاش خلال النصف الأول من القرن الخامس الميلادي . أي أن الحملتين لا يمكن أن تتعاصرا . والأرجح أن كلاّ منهما قد تمت في وقت مختلف ، والحديث عن حدوثهما في وقت واحد ، ليس إلّا وهم ، وقع فيه صاحب الرواية .

وعلى الرغم من اقصر ذكر طسم ، وجديس ، على روايات الأخباريين العرب ، وعدم ورود أي ذكر لهما في المصادر الأخرى^٢ . إلّا أن هناك من يرى أن (Jodisitae) التي ذكرها جغرافيو اليونان ، بصفتها قبيلة من قبائل شرق الجزيرة العربية ، ربما يكون المقصود بها قبيلة جديس^٣ . ويذكر البعض أنه قد تبقى من طسم وجديس — بعد حملة حسان يهأمن عليهم — شراذم قليلة ، تفرقوا في أنحاء شمال الجزيرة ، واندمجوا بقبائلها الأخرى^٤ . وقد حلت قبيلة بني حنيفة في منطقة اليمامة بدلاً من القيلتين^٥ .

ويرى البعض أن الحصون المنتشرة في اليمامة والبحرين مثل حصن المشقر ، وحصن جعده ، ما هي إلّا مخلفات قبيلتي طسم ، وجديس في هذه المنطقة^٦ .

- في عهد شرحبيل يعفر بن أبي كرب أسعد ، وخلفائه :

ذكرت المصادر العربية ، أن (حسان بن أسعد) عندما فرغ من قتل جديس ، خفض بجوده يريد العراق ، فصعب ذلك على حمير ، وأرادوا الرجعة إلى بلادهم ، وأهلهم ، فحرضوا أخاه عمرو عليه ، حتى قام بقتله ، وملكته حمير عليها ، وعاد بهم إلى اليمن^٧ .

أما المصادر القشية فنعرف منها أن أخ حسان الذي جلس على العرش الحميري ، إنما هو شرحبيل يعفر (شرحبيل / ي ع ف ر / م ل ك / س ب أ /

^١ عن تاريخ حكم روميا ، انظر : الشيبه . معاصرات في تاريخ العرب القديم ، صنعاء ، ١٩٩٥م ، ص ١١٠ - ١٤٥ .

^٢ هجر . تاريخ العرب قبل الإسلام ، دمشق ، ١٩٩٠م ، ص ٧٧ .

^٣ زيدان . جورجي . العرب قبل الإسلام ، مراجعة / حسين مؤنس ، القاهرة ، (دون تاريخ) ، ص ٧٩ .

^٤ الجاسر . مدينة الرياض ، ص ٢٧ - زيدان . العرب قبل الإسلام ، ص ٨٠ .

^٥ هجر . العرب قبل الإسلام ، ص ٧٨ .

^٦ الجاسر . مدينة الرياض ، ص ٢٧ - زيدان . العرب قبل الإسلام ، ص ٨٠ .

^٧ الحميري . ملوك حمير ، ص ١٤٢ ، ١٤٤ - في هشام . قصرة ، مع ١ ، ح ١ ، ص ٢٢ ، ٢٣ .

و ذري دن / و ح ضر م ت / و ي م ن ت / و أ ع ر ب ه م و / ط و د م /
 و ت ه م ت / ب ن و / أ ب ك ر ب / أ س ع د / م ل ك / س ب أ / ...) ،
 وكان ذلك في منتصف القرن الخامس الميلادي ، حسب ما جاء في نقوشه المؤرخه ،
 التي يؤرخ أقدمها بعام (٥٦٤ ح / ٤٤٩ م) (CIH 540) ، الذي يتحدث عن
 قدم سد مأرب ، وإعادة بناء هذا الملك له . ويؤرخ أحدثها بعام (٥٧٢ ح /
 ٤٥٧ م) (ZM1 / 14 = Ga 1A) الذي يتحدث عن بناء قصر الملك
 المسمى (هرجم) .

وعلى الرغم من عملية العمران الداخلية ، التي نستشفها من نقوش هذا الملك ،
 إلا أن نقوشه — التي عثر عليها — قد مكنت عن العلاقات التي كانت تربط دولته
 بشمال الجزيرة . وذلك لا يعني — على ما يبدو — انقطاع تلك العلاقة ؛ بقدر ما
 يعني أن الأمور قد استتب للحميريين في شمال الجزيرة . خصوصاً بعد الحملات التي
 شنّها أبوه ، وأخوه (حسان) . أي أن (شرحيل يعفر) إنما كان يجني ثمار النجاح
 الحربي الذي بذله الملكان السابقان له .

ومنذ عام (٤٥٧ م) تنقطع عنا آخر أخبار الملك (شرحيل يعفر) ، وكذلك
 أخبار أسرته ، ويدخل تاريخ الدولة الحميرية في فترة غموض شديدة ، امتدت حتى
 مطلع القرن السادس الميلادي ، وذلك نتيجة لقصر النقوش ، التي تعود إلى هذه
 الفترة . وكلما نعرفه من النقوش التي عثر عليها عبارة عن أسماء مقرونة باللقاب
 الملك^١ .

وقد شمل ذلك الغموض — من ضمن ما شمل — معلوماتنا عن طبيعة العلاقة ،
 التي ربطت بين الدولة الحميرية في جنوب الجزيرة من جهة ، ومناطق شمال الجزيرة ،
 من جهة أخرى . وسحاول — قدر ما أمكننا — أن نجلي بعض ذلك الغموض ، أثناء

^١ يحاول كشي أن يقدم لنا قائمة بالملوك الحميريون الذين حكموا خلال هذه الفترة ، وتواريخ حكمهم ، ولكن هذه القائمة تنظر إلى
 اللغة ، وتتجاهل في كثير من الحالات مع ما جاء في بعض النقوش للتواريخ .

انظر : part 1 .. kitchen. Documentation .. pp. 219-222 .

حديثنا عن دولة كندة وعلاقتها بالدولة الحميرية ، في الفصل المخصص لذلك . نظراً لأن الدولة الكندية كانت قائمة في منطقة شمال الجزيرة العربية خلال هذه الفترة .

- في عهد معدي كرب يعفر :

امتد الغموض ، الذي أصاب تاريخ الدولة الحميرية ، إلى مطلع القرن السادس الميلادي عندما ظهرت لنا نقوش الملك الحميري (معدي كرب يعفر) الذي حمل لقب التبابعة في العصر الثاني (ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت وعمانة وأعرابهم طوداً وهامة) . وكان آخر ملك حميري يحمل هذا اللقب . وتجدر الإشارة إلى أننا لا نعرف الكيفية التي اعتلى بها هذا الملك عرش الدولة الحميرية . خصوصاً أن النقوش العائدة إلى عهده لا تذكر لنا اسم والده (م ع د ك ر ب / ي ع ف ر / م ل ك / س ب أ / وذري دن / و ح ض ر م ت / و ي م ن ت / و ا ع ر ب ه م و / ط و د م / و ت ه م ت) (RY 510 , RES 4069) مما قد يوحي أنه لم يكن من بيت المملكة ، نظراً لأن العادة قد جرت — قبل عهده — بذكر الملوك لأبائهم ، خصوصاً إذا كانوا من بيت المملكة^١.

ويسود الاعتقاد ، عند بعض المؤرخين أن الملك (معدي كرب يعفر) كان نصرانياً ، معترفاً بالحماية الحبشية على بلاده^٢ . وقد اعتمدوا في ذلك على ما ذكره شمعون الإرشامي ، بصدد الرسالة التي بعث بها الملك الحميري (ذي نواس) — خليفة الملك (معدي كرب) — إلى (المنذر) الثالث ، ملك الحيرة . وجاء فيها : ولتعلم أن الملك الذي نصبه الكوشيون (الأكسوميون) ببلادنا ، قد مات — وجاء في وقت الشتاء ، فلم يعد بمقدور الكوشيين العبور إلى بلادنا ، لتصيب ملك نصرائي ، كما جرت العادة^٣ .

^١ ما جاء في المصادر العربية يؤكد ذلك ، فهي تنسب منصباً للملك من أسرة (أسعد الكاس) وإن كانت تسميه (خليفة يوف ذي شائر) انظر الفقرة التالية من هذا الفصل . ص ٢٠

^٢ كويشيتوف . الشمال الشرقي الأثري في القصور الوسيطة المبكرة وعلاقاتها بالجزيرة العربية . ترجمة / صلاح الدين هاشم ، حسان ، ١٩٨٨ م ، ص ٣١ . تجدر الإشارة إلى أن نقوش الملك التي عثر عليها لم نشر إلى مصرائته ، ولا إلى طبعة المعلقة التي كانت ترتد حوله بالأحباش .

^٣ يعقوب الثالث . الشهداء الحميريون ، ص ٤٣ ، ١١٣ .

أما بخصوص علاقة الدولة الحميرية في عهده ، مع مناطق شمال الجزيرة العربية ؛
فنحن نملك من عهده نقشاً عُثِرَ عليه في منطقة مأسل الجمع (RY 510) مؤرخ
بعام (٦٣١ هـ / ٥١٦ م) ونظراً لاختلاف الدارسين حول معنى النقش ، فنحن سنورد نص
النقش هنا أولاً :

١. م ع د ك ر ب / ي ع ف ر ا م ل ك / س ب ا / و ذ ر ي د ن / و ح
(ض)

٢. ر م ت / و ي م ن ت / و ا ع ر ب ه م و / ط و د م / و ت ه
م ت /

٣. [هـ] و ر و / و ت ف / د ن / م س ن د ن / ب م ا س ل م / ج
م ح ن

٤. ع ل ي / م [هـ] ن س ب ا ت م / ب ع ر ق / ك ت ا / ل ه م / ذ ن
٥. د ي ن ه م / ع ر ب ن / ق س د م / و ح ر ب ه م و / م ذ

٦. ر م / و س ب ا و / ا ب ا ش ع ب ه م و / س ب ا / و ح م ي ر م / و
و ح ب

٧. ت ن / و ح (ص) ر م ت / و ي [ح] ن / و ب ع [م] / ا ع ر ب ه م و / ك
د ت / و م ذ

٨. ح [ج م] / و ب ع [م] / ب ن ي / ث ع ل ب ت / و م ذ ر (ا) و س
(ب) ع

٩. ب و ر خ ن / ذ ق ي (ظ) ن / ذ ل ا ح د و ث / ت ي و م ث / م ا
ت م .

وسنورد هنا أبرز قراءتين للنقش ، بصفتها نموذجين على الاختلافات التي أشرنا إليها :

— القراءة الأولى : " معدي كرب يعفر ملك سبا وذو ريدان وحضرموت

وبمنه وأعرأهم طوداً وقامة ، أعلى ودون هذا المسند (النقش) مأسل الجمع ، علامة
على غزوة قام بها الملك ، إلى منطقة (عرق كئ) لمعاقبة القبائل البدوية المتمردة على
سلطته ، وحارهم ، وشنت عليهم . واشترك معه في هذه الغزوة شعوبه (قبائله) :

سبأ ، وحمر ، والرحبة ، وحضرموت ، ويحان ، وقبائل أعراهم : كندة ، ومذحج ، وبني ثعلبة ، ومذر ، ورسع ، وذلك في شهر ذو القياظ ، سنة (٦٣١ ح)^١ .

— القراءة الثانية : " معديكرب يعفر ملك سبأ وذو ريدان وحضرموت ويمينات وأعرابها بالجداد والتهام ، أمر بنقش هذا الرقيم ، بمأسل جحان ، وقد اضطلع (معديكرب) ، بالحملة لأن عرب قسدم (المستعمرات العسكرية) طلبوا منه العون ، بسبب غارة المنذر عليهم . وقد تقاتل معه ، جيش (معديكرب) ، الذي كان يضم قبائل : سبأ ، وحمر ، ورحبت ، وحضرموت ، ويهن ، مع أعراهم كدت ، ومذحج ، ومع بني ثعلبة ، ومذر . هذا وقد نصب الرقيم من شهر ذي قيطان ، عام (٦٣١)^٢ .

وكما هو واضح ، فإن الاختلاف يبدو واضحاً في قراءة النقش ، خصوصاً كلمة (م ذ ر م) الواردة في السطر الخامس من النقش . حيث اعتبرتها القراءة الأولى ، فعل ، بمعنى (هزيمة) . اعتماداً على ما جاء في المعجم السبئي ، الذي أعطاها هذا المعنى ، اعتماداً على هذا النقش نفسه^٣ . أما القراءة الثانية ، فقد جعلتها اسم علم للمنذر الثالث ، ملك الحيرة .

تجدر الإشارة إلى أن هناك قراءة ثالثة للنقش ، تختلف عن القراءتين السابقتين ، وإن كانت تتفق مع القراءة الثانية على أن المقصود بكلمة (مذر م) هو (المنذر الثالث) . إلا أنها تعتبر أن الحملة التي قادها الملك (معدي كرب) لم تكن ضد (المنذر) ، وإنما كانت بالاتفاق معه . حيث قام الحليقان بالزحف ضد بدو ومط الجزيرة الذين قاموا بقطع الطريق ، في منطقة مأسل الجملح ، التي دون فيها النقش^٤ .

^١ الحمادي . هراج . أنظمة التاريخ في الفوش السبئية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، معهد الآثار ، جامعة اليرموك ، الأردن ، ١٩٩٧ م ، ص ١٤٢ . علماً بأن هذه القراءة تتفق مع معنى للقرودات الواردة في المعجم السبئي .

^٢ يعمو ليعسكا . العرب على حدود بصرطة وليفان ، ترجمة / صلاح الدين عثمان هاشم ، الكويت ، ١٩٨٥ م ، ص ٩٨ . انظر أيضاً : توملين . اليمن إبان القرن السادس ، ص ١٢ ، ١٣ .

^٣ يسنون (وآخرون) . المعجم السبئي ، مادة (م ذ ر) .

^٤ W. caskel . Entdeckungen in Arabien , 1954 , pp. 11 – 13 .

ونحن ها سنعتمد في تحليلنا للنقش على القراءة الثانية ، بصفة عامة ، نظراً لاتفاقها مع سياق الأحداث التاريخية ، التي كانت قائمة آنذاك . فنحن نعرف أن (المنذر الثالث) كان يتربع على عرش الحيرة في ذلك التاريخ^١ . وكان له أطماع كبيرة في السيطرة على مناطق وسط الجزيرة العربية . إلى جانب أنه كان عدواً لدوداً لدولة كندة ، التي أقامها الحميريون في منطقة وسط الجزيرة العربية ، ودخل معها في صراع مرير . وهو ما ستناوله تفصيلاً في الفصل الثالث من هذا البحث.

والسؤال هنا . من هم الأعراب الذين استجدوا بالملك (معدي كرب يعفر) ؟ ولماذا لم يتم ذكر القبائل التي طلبت عون الملك بأسمائها ؟ وهل هناك علاقة بين قبائل الأعراب المشاركة في الحملة وبين القبائل التي طلبت العون ؟

وفي محاولة للإجابة على هذه الأسئلة ، سنعهد أن منطقة وسط الجزيرة التي نصب فيها النقش كانت خاضعة لدولة كندة . ولذلك يرى لوندن^٢ أن هجوم (المنذر) كان في الأصل على الكنديين . الأمر الذي من وبشكل مباشر مصالح الدولة الحميرية . وأدى إلى خروج الحملة التي حدثنا عنها النقش المذكور . حيث كان الهدف من الحملة هو إيقاف هجوم المنذر على القبائل التابعة للملك الحميري ، وتعزيز وتقوية الدولة الكندية .

أما يهوئيفسكيا^٣ فنحصر أن قبائل كندة ، ومذحج ، وبنو ثعلبة^٤ المذكورين في السطرين السابع والثامن من النقش ، هم أنفسهم الأعراب المشار إليهم ، في السطر

^١ استلقت المراجع التاريخية في تحديد بداية حكم المنذر الثالث ، وتمتد تلك الاختلافات بين عامي (٥٠٥-٥١١ م) وفي كل الأحوال فقد كان المنذر على عرش الحيرة عام (٥١٦ م) ، وهو العام الذي دون فيه لذلك معدي كرب يعفر نقشه في مأسل المسح . انظر : يهوئيفسكيا . العرب على حدود بيزطة ، ص ٩٥ - القبة . العرب القدم ، ص ٢٠١ .

^٢ اليس إبان القرن السادس ، الحلقة الأولى ، ص ١٣ .

^٣ العرب على حدود بيزطة ، ص ١٠٠ .

^٤ من كندة انظر الفصل الثالث من هذا البحث . أما مذحج فهي قبيلة كهلانية بنينة مشهورة (قلفشندي - لحاية الأرب ، ص ١١٧) وكانت مرصطة بكندة في عصرها الأول ، ارتباطاً وثيقاً (أبو الفتح . الملائكة ، ص ٥٧-٥٩) ، وسيكون لها صولة وجولة في أيام العسبر التي ستلتها في الفصل للعصر للملك . وبني ثعلبة لبني ثعلبة ، فهناك أكثر من عشيرة قبيلة عربية تحمل هذا الاسم (قلفشندي - لحاية الأرب ، ص ١٩٣-١٩٨) . ولكن للقصة هنا ربما تكون هي قبيلة (ثعلبة) التي تنسب إلى بكر بن وائل بن ربيعة ، لأنها كانت مرصطة بكندة وبرعيها الحارث بن عمرو في هذه الفترة ، حتى أن المصادر البيزنطية كانت تدعو بالحارث الثعلبان ، نسبة إلى هذه القبيلة على أرحح الآراء . انظر ص ٧٨ من هذا البحث .

الخامس من النقش ، بوصفهم من طلب العون ، من الملك (معدي كرب) لمواجهة المنذر . وهو الفرض يمكننا الثقة به ، نظراً لعدم ذكر النقش لأي قبائل أخرى يمكن أن تعد هي صاحبة طلب النجدة .

وفي محاولة لتصوير خط سير أحداث حملة الملك (معدي كرب) يرى لوندن^١ أن سكوت النقش عن ذكر تفاصيل المعارك يعني بأن المعركة الرئيسية بين الطرفين لم تحدث ، وإن كان ذلك السكوت قد يعني هزيمة معدي كرب ، ولكنه يعود ويستبعد الرأي الأخير ، لأن الملك الحميري في حالة هزيمته لن يتمكن من وضع نقش عن الحملة في وادي مأسل الجمع .

ويختتم لوندن قراءته للنقش بالحديث عن النتائج المتصورة للحملة ، حيث يعد ترتيب الكلمات الواردة في آخر السطر الثامن على النحو التالي : (و م ذ ر / و س ع / ع [ز ل]) ويذكر أن معناها هو : " وأبرم المنذر اتفاقية سلام مع (دفع) الجبابرة " .

وتوافقه بيغوليفسكا^٢ ، على هذه القراءة فيما يخص كلمتي (منذر و وسع) ، وإن كانت تعارض استكمالها لحرف العين في آخر السطر الثامن ليصبح (ع [ز ل]) التي أعطاها معنى (دفع الاتاة) . وتفترح تعديل قراءة المقطع ليصبح على النحو التالي : " فعقد المنذر الصلح في شهر قبطان ... " .

الجدير بالذكر أن هناك من يعارض هذه القراءة ، ويعتبر أن الكلمات الواردة في آخر السطر الثامن ، ما هي إلا مجرد أسماء لقبائل أعرابية مذكورة إلى جانب قبيلة (ثعلبة) ، وليس لها علاقة باسم المنذر ، أو أي صلح له مع معدي كرب ، أو دفعه الجزية له^٣ .

^١ اليس إبان القرن السادس ، ص ٣ ، ٤ .

^٢ يعتبر لوندن أن قوات الملك معدي كرب ، قد ظهرت محاذاً بصحبة القبائل البدوية المعادية ، الأمر الذي باعث المنذر ، ودفعه إلى عقد اتفاقية السلام . والتي بموجبها توقف المنذر عن متابعة هجومه على القبائل الموالية للحميريين . وأصبحت الحدود بين النوليس (الحيرة وحمير) ، تمر إلى الشمال من وادي مأسل الجمع . للصدر نفسه ، والمصحات نفسها .

^٣ العرب على حدود يسطة ، ص ١٢ .

^٤ Smith S Events in Arabia in the 6th century A.D. VXXVI , 1954, pp. 461 .

ومما يلفت النظر أن الملك (معدي كرب) كان يعاني من ضائقة مالية ، حيث أقرضته سيدة نصرانية من أعيان نجران ، مبلغ اثني عشر ألف دينار^١ . ومع ذلك فقد حرص على إخراج هذه الحملة نحو مناطق شمال الجزيرة ، مما يعني أهمية هذه المناطق بالنسبة لدولته ، أو على الأقل رغبته بأن لا يبدو أقل شأنًا من أسلافه ، الذين كانوا يعدون مناطق شمال الجزيرة مجالاً حيويًا لهم . كما سبق وأوضحنا ذلك في الفقرات السابقة من هذا الفصل .

وعلى الرغم من استبعاد البعض أن يكون خروج هذه الحملة في إطار التنافس البيزنطي الإيراني ، أي بدفع من بيزنطة . نظراً لأنها وقعت في فترة السلام بين بيزنطة وإيران ، الممتدة بين عامي (٥٠٦ - ٥٢٦ م)^٢ . إلا أن ذلك الاحتمال يظل قائماً ؛ لأن سياسة معدي كرب كانت ممثلة للبيزنطيين ، ولأنه من الطبيعي أن تنظر بيزنطة إلى امتداد نفوذ المنذر نحو مناطق وسط الجزيرة ، بصفته امتداداً للنفوذ الفارسي أيضاً على أساس أن دولة المناذرة كانت مرتبطة بالفرس ، كما كانت دولة الغساسنة مرتبطة بالبيزنطيين^٣ . ولذلك لا نستبعد أن تكون قد أوعزت إلى الملك معدي كرب (المسيحي) بالخروج في هذه الحملة ؛ ليكون اتفاقية السلام لا تشملهم .

ختاماً ، نشير إلى أن المبعوثين قد تم تبادلهم بين الملكين (معدي كرب) و (المنذر الثالث) . فقد ذكر شععون الإرسامي^٤ ، أن مبعوث للملك (معدي كرب) قد ذهب إلى (المنذر) ، ويرى لوندن^٥ ، أن ذلك المبعوث قد ذهب إلى هناك ، عقب هذه الأحداث ، التي ذكرها نقش الملك (معدي كرب) . ويترض وصول سفير للمنذر إلى اليمن حتى وإن سكنت المصادر عن ذلك .

^١ يعقوب الثالث - الشهداء المحمديون ، ص ٣٧ . انظر أيضاً Shahid I the Martyrs of Najran New Documents, Bruxelles, 1971 , pp. 60

^٢ لوندن - ليس إبان القرن السادس ، المجلد الأول ، ص ١٢ .

^٣ عن ارتباط المناذرة بالفرس ، والغساسنة بالبيزنطيين . انظر : الشيخ - العرب القدم ، ص ١٨٩ ، ٢٠١ .

^٤ يعقوب الثالث - الشهداء المحمديون ، ص ٨٣ ، ٨٤ .

^٥ ليس إبان القرن السادس ، المجلد الأول ، ص ١٢ .

- في عهد يوسف أسار يثار (ذي نواس) :

لقد كان نقش (Ry 510) السالف الذكر ، المؤرخ بعام (٥١٦ م) ، آخر نقوش الملك (معدي كرب يعفر) . حيث أن النقوش اللاحقة لفترة هذا النقش مباشرة والمؤرخة بعام (٦٣٣ ح / ٥١٨ م) تعود إلى عهد ملك جديد ، هو (يوسف أسار يثار) (Ja 1028, Ry 507, 508) . المعروف في المصادر العربية بـ : يوسف ذي نواس^١ .

والرأي الغالب أن (ذي نواس) قد استلم مقاليد السلطة في الدولة الحميرية عام (٥١٧ م) خليفة للملك (معدي كرب يعفر) . ويختلف المؤرخون حول الطريقة التي تمت بها هذه الخلافة ، بين قائل أنها تمت بعد وفاة الملك (معدي كرب) ، وبدعم من أنصار الاستقلال عن الحبشة^٢ . وقائل أن الملك (معدي كرب) قد فقد حياته وعرشه ، على يد الملك (ذي نواس) الذي اعتصب العرش اغتصاباً^٣ .

وبالعودة إلى المصادر العربية ، نجد أن ما ذكرته بهذا الشأن يؤصل للرأي الأخير حيث ذكرت أن الملك (ذي نواس) قد اعتلى العرش الحميري ، على إثر قتله للملك ، الذي كان قبله . والذي تسميه (لحنعة ينوف ذي شنتر) . وتقول عنه أنه لم يكن من بيت المملكة ، بل كان مفتصباً للعرش ، من أسرة أسعد الكامل ، التي ينتمي إليها ذي نواس^٤ .

أما المصادر السريانية فهي تؤصل للرأي الأول ، فقد جاء فيها : أن الملك (ذي نواس) ، (وتسميه مسروق) ، قد اعتلى العرش الحميري ، بعد موت الملك السابق له ، الموالي للأحباش ، الذين عجزوا عن تعيين ملك بديل ، بسبب قدوم فصل الشتاء . وقد استغل (مسروق) ذلك وسيطر على العرش^٥ .

^١ الحميري . ملوك حمير ، ص ١٤٧ .

^٢ غامدا . جنوب الجزيرة موحداً ، ص ١٩٠ .

^٣ كويشانوف ، الشمال الشرقي ، ص ٣٣ .

^٤ ابن هشام . السيرة ، مج ١ ، ج ١ ، ص ٢٣ .

^٥ يذكر ذلك شمعون الأورشليمي ، في إشارته إلى رسالة ذي نواس ، التي بحث بها إلى المدبر الثالث ، والتي أشرنا إليها في مطلع الفقرة السابقة من هذا الفصل .

وهكذا نفهم من المصادر العربية ، والسريانية ، على حد سواء ، أن الملك (ذي نواس) ، لم يرث السلطة بصورة طبيعية ، ولكنه انتزعها انتزاعاً ، بغض النظر ، هل حدث ذلك في حياة الملك السابق له ، كما جاء في المصادر العربية ، أم بعد وفاته ، كما جاء في المصادر السريانية .

اتخذ الملك (ذي نواس) لقب (ملك كل الشعوب)^١ (ي و س ف / أس ا ر / ي ث أ ر / م ل ك / ك ل / أش ع ب ن) (Ja 1028 / 1,2) ، متحلياً بذلك عن لقب التبابعة الحميريين في عصرهم الثاني (ملك سبا ودي ريدان وحضرموت وعمالة وأعراهم طوداً وقحمة) وقد أدخلنا عهد هذا الملك ضمن عصر التبابعة الثاني - رغم تحليه عن اللقب المميز لعصرهم - وذلك لعدم إمكانية تخصيص فصل مستقل لعهد ، أو إدخاله في الفصل التالي له . ويرى البعض أن اللقب الجديد للملك ذي نواس ، يوحي بأن الملك قد جاء ليوحد شتات المملكة الحميرية ، بعد أن مزقتها الصراعات^٢ ، وأنه اتخذ ذلك اللقب لما يمثله من شمولية تؤكد سعة النفوذ السياسي ، الذي حظى به هذا الملك^٣ . حيث حاول ذي نواس ، باتخاذ ذلك اللقب ، توحيد الجماعات المختلفة الأعراق ، والعقائد - بالجنوب العربي - ضد اكسوم^٤ . بينما يرى آخرون أن اللقب الجديد لذي نواس إنما يشير إلى أنه أصبح ملكاً لمنطقة محلية^٥ .

ولحن هنا نحيل إلى تركية الرأي الأخير . حيث لا نستبعد بأن تخلي الملك (ذي نواس) عن لقب التبابعة الطويل ، واتخاذ لقب (ملك كل الشعوب) إنما كان لإدراكه بأنه لم يعد يمد سيطرته على كل المناطق الواردة في اللقب . لذلك اكتفى بهذا

^١ الشعوب - جمع شعب - والخشب في اللغة اليمنية القديمة هو القبة المحصورة . انظر بيسون (وآخرون) . المعجم السبي ، مادة (ش ع ب) .

^٢ بلغه . موجز تاريخ اليمن قبل الإسلام (بحار من النقوش اليمنية القديمة) تونس ، ١٩٨٥ م ، ص ٦٢ .

^٣ الحرو . موجز التاريخ السياسي ، ص ٢٧٣ ، ٢٧٤ . تمدر الإشارة إلى أن الملاحظة تتفق مع بعضها عندما تذكر في موضع آخر من الكتاب نفسه بأن الأوضاع الداخلية ليس في عهد هذا الملك قد اتسمت بالتردي ، وتمزق جسم الدولة المركزية اليمنية . انظر : ص ٢٨٩ .

^٤ كويشانونوف . الشمال الشرقي الأثري ، ص ٤٠ .

^٥ Jamme A. Sabaeen and Hasaeen Inscriptions from Saudi Arabia , Roma , 1966 pp. 10

اللقب العام ، الذي يقول أنه ملكاً لكل الشعوب (القبائل) ، وفي الوقت نفسه لا يحدد ما هي هذه الشعوب التي تدخل ضمن حكمه . نقول ذلك ، مستأنسين بما جاء في أحد النقوش للقائد اليزني ، (صميفع أشوع) ، والذي يصف الملك يوسف (ذي نواس) بأنه (ملك حمير) فقط ، وأن أقباله هم من (الحميريين والأرجبيين) (م ل ك / ح م ي ر م / و ا ق و ل ه و / أ ح م ر ن / و أ ر ح ب ن) (CIH 621/9) . دون ذكر لقبية الشعوب (القبائل) الأخرى ، القاطنة في اليمن — خصوصاً تلك التي يشملها لقب التبابعة الطويل — والتي كانت جزءاً لا يتجزأ من كيان الدولة الحميرية ، في العهود السابقة لعهد هذا الملك ، وذلك يعزز التفسير الذي رجحناه بخصوص ظهور هذا اللقب الجديد والآخر ، في تاريخ الدولة السبئية الحميرية ، الدولة المركزية في اليمن القديم .

وتذكر المصادر العربية ، أن (ذي نواس) تسمى بـ (يوسف) لَمَّا قُودا^١ وهو الاسم الذي تؤكد النقوش ، العائدة إلى عهد هذا الملك (م ل ك ن / ي س ف / أ س أ ر) (RY 508/2) .

وبغض النظر عن الوقت الذي أصبح فيه (ذي نواس) يهودياً ، وعن الأسباب التي دفعته إلى ذلك ، فإن الملك قد بدأ عملية تنكيل واسعة ، ضد نصارى اليمن . وما يهمنا من هذا الأمر هو تلك المحاولات التي بذلها هذا الملك لكسب القوى المؤثرة في شمال الجزيرة العربية إلى صفه ، أثناء صراعه المرير مع نصارى اليمن ، ومن ورائهم الأحباش والبيزنطيين .

وبهذا الخصوص فإن أول ما يتبادر إلى الذهن هو تلك المراسلات ، والسفارات التي دارت بين الملك (ذي نواس) والملك اللخمي (المنذر الثالث) حيث نعرف أن الملك (ذي نواس) قد كتب إلى (المنذر) — مع سفير له — يخبره بالمذابح التي أقامها لنصارى اليمن ، ويطلب منه أن يحذو حذوه مع نصارى الحيرة . ويعدده بأن

^١ الحميري - ملوك حمير ، ص ٦٤٨ .

يعاونه بثلاثة آلاف دينار^١. وقد تصادف وصول رسول (ذي نواس) إلى (المنذر) مع وصول الأسقف (شعون الإرسامي) ، ورفيقه إبراهيم (ابراهام) بن افراسيوس ، مندوب الدولة البيزنطية إلى المؤتمر الذي عُقد في الرملة (جنوب شرق الحيرة) سنة (٥٢٤ م) ، وحضره ممثلون للملك الفارسي (قباد) ، بغرض التباحث في شأن عقد صلح بين بيزطة ، وفارس ، إلى جانب طلب المندوب البيزنطي من (المنذر) إطلاق سراح أسيرين بيزنطيين مرموقين - هما (ديمو ستراتوس) و (يوحنا) - كان (المنذر) قد أسرها أثناء مشاركته للملك الدولة الساسانية في إحدى الحروب التي وقعت بينهم وبين الروم / البيزنطيين^٢.

وقد أدى وصول البعوث الحميري وكتابه الذي يحمله إلى تحويل مجرى مؤتمر الرملة ، إلى نزاع دبلوماسي حول مستقبل المدخل الجنوبي للبحر الأحمر ، حيث قام (المنذر) بقراءة كتاب (ذي نواس) على الملأ ، أمام مبعوثي الدول الأجنبية ، وكذلك أمام عسكره . وبعد قراءة المکتوب استدعى (المنذر) نصارى دولته وهو فُحال من الانفعال ، وطلب منهم التخلي عن ديانتهم المسيحية . فقام أحد أعيانهم - زيد بن أيوب - بتوبيخ المنذر على نزوعه إلى قبول مقترحات الملك الحميري . وهدده بأنه على استعداد للقتال حتى الموت من أجل عقيدته . وقد رأى (المنذر) أن لا يحسنه بسوء ، خشية من أن تسانده عشيرته القوية ، فيؤدي ذلك إلى الانقسام وتفرق الكلمة^٣.

^١ يغر ليمسكا . العرب على حدود بيزطة ، ص ١٠٤ ، ١٠٦ - كوينشانوف . الشمال الشرقي الأرميني ، ص ٥٠ . ويرى هومان شهيد بأن السب الذي من أجله طلب (ذي نواس) من (المنذر) إياه نصارى دولته ، لم يكن نصبه ضد المسيحيين وحفله عليهم - كما جاء في الوثائق المسيحية التي دوت ذلك - وإنما كان مسبباً بعد نظره وهو يحرص صراعاً مصورياً مع أعدائه انظر :

the conference of Ramla, 524 A.D, xxx111, 1964, pp. 115.

^٢ حيمه . يوسف رواق الله . الحيرة للديانة والملكية قديمة ، بغداد ، ١٩٣٦ م ، ص ١٦٨

^٣ يغر ليمسكا . العرب على حدود بيزطة ، ص ١٠٥ - سحابيد . فكتور . إيلاف قريش رحلة الشتاء والصفاء ، بيروت - الدار البيضاء ، ١٩٩٢ م ، ص ١٣٤

والسؤال هنا : ما الذي دفع (ذي نواس) لأن يكتب إلى المنذر ؟ وهل كان بمقدور (المنذر) ومن ورائه الفرس ، تقديم العون لذي نواس ؟ وإذا كان ذلك ، فلماذا لم يقدموا له تلك المعونة ؟

وفي محاولة للإجابة على ما سبق، يرى بعض الباحثين أن الأسباب التي دفعت (ذي نواس) لمكاتبة (المنذر الثالث) ، هي تلك الغارات التي قام بها (المنذر) على حدود الامبراطورية البيزنطية . والتي أجبرتها على تقييد قواتها ، على حدودها الجنوبية الشرقية ، حيث قدم ذلك خدمة كبرى للملك حمير ، الذي كان له الحق — نتيجة لذلك — أن يرى في الملك اللخمي حليف له^١ .

أما عن قدرة (المنذر) ، وحلفائه الفرس ، من مد يد العون لذي نواس ، فالإجابة لابد أن تكون بالإيجاب . نظراً للقوة التي كانت تمتلكها الحيرة في هذه الفترة ، وبالمعونة الفعالة من جانب حلفائهم الفرس . خصوصاً أن البيزنطيين ، كانوا يخشون تدخل المنذر إلى جانب (ذي نواس) . يتضح ذلك من شكوى الملك البيزنطي جوستين الأول (٥١٨-٥٢٧ م) من (ذي نواس) لأنه كتب إلى الفرس والمنذر ، والتي بثها إلى الملك الحبشي المسمى ايلابا (Ellesbaas) في المصادر اليونانية ، وهو الملك الحبشي (كالب) الذي يعتقد أنه حكم خلال الفترة من (٥١٤-٥٣٠ م)^٢ .

ومع ذلك فقد امتنع (المنذر) وحلفاؤه الفرس عن مد يد العون إلى (ذي نواس) وفضلوا توقيع معاهدة سلام مع بيزنطة عام (٥٢٤ م) . وكذلك إطلاق سراح الأسيرين البيزنطيين السالفي الذكر مقابل فدية عظيمة ، إلى جانب تعهد (المنذر) بمعاملة نصارى دولته معاملة حسنة^٣ . وهكذا تخلى (المنذر) و (قباد) عن (ذي نواس) لسبب غير معروف . وحقق المبعوث البيزنطي (ابراهيم) أعظم مآثره الدبلوماسية في مؤتمر الرملة . وحال دون تحالف (المنذر) مع (ذي نواس) . ونجح

^١ كويشانوف الشمال الشرقي الأرميني ، ص ٥١ .

^٢ — Vasiliev . A.A. Justin I (518-527) and Abyssinia , Byzantinische zeitschrift 33 , 1933 , PP 72

^٣ بينوليمسكا العرب على حدود بيزنطة . ص ١٠٣ ، ١٠٥ ، ١٠٦ .

Shahid the conference of Ramla, pp 115

بذلك في عزل الملك الحميري عن القوى الوحيدة القادرة على نجدة . وأصبح الباب مفتوحاً أمام الأحباش لأن يقوموا بغزو اليمن . ولا ندري هل كان ذلك بسبب حاجة الفرس إلى السلام مع بيزنطة في الجبهة السورية ، أم بسبب إغراء الفدية الكبيرة التي دفعت للإفراج عن الأسيرين البيزنطيين ، أم أن (المنذر) و (قباذ) كانا غافلين عن خطة بيزنطة لغزو اليمن وشيكاً^١ .

وبعد أن عرفنا ما آل إليه موقف الحيرة من (ذي نواس) ومن الغزو الحبشي لليمن ، حري بنا أن نحاول معرفة مواقف الدول الأخرى التي كانت موجودة بجانب دولة المناذرة في منطقة شمال الجزيرة العربية ، ونقصد بها دولتي الغساسنة وكندة .

وبالنسبة لموقف الغساسنة من تلك الأحداث فالملاحظ أن المصادر المعاصرة قد ركزت على موقف المناذرة على حساب موقف الغساسنة ، وذلك بسبب التفوق العسكري ، والمكانة المرموقة التي أصبحت تتمتع بها في ظل ملكها الكبير (المنذر الثالث)^٢ . خصوصاً أن الملك الغساني القوي (الحارث بن جبلة) لم يكن قد جلس على عرش تلك الدولة أثناء الأحداث التي نحن بصددتها^٣ .

ومع ذلك فنحن نغفل بعض الإغراءات بخصوص ذلك الموقف ، فعلى الرغم من اشتراك الغساسنة في الحملة الحبشية الأولى على بلاد اليمن^٤ ، إلا أن شهيد^٥ يذكر أنهم قد امتنعوا عن المشاركة في الغزو الحبشي الأخير لليمن عام (٥٢٥ م) ؛ رغم كونهم من أنصار مذهب الطبيعة الواحدة (اليعقوبي أو المنوفيزي) الذي ينتمي إليه نصارى اليمن المضطهدين . ويرى أن السبب الرئيسي لذلك هو خشيتهم من أن يطعنهم

^١ Shahid the conference of Ramla, pp 130 . ويرى كويشانوف أن نصارى الحيرة قد لعبوا دوراً في الضغط على ملكهم لمد ، واضطروه أن يرضى صانعة (ذي نواس) في صراعه مع نصارى دوله ، ومن زورتهم الأحباش والبيرونيين (انظر : الشمال الشرقي الأفراسي ، ص ٥٩) .

^٢ من المكانة المحسوبة لدولة الغساسنة في هذه الفترة مقارنة لما بدولة المناذرة (انظر : يعقوبسكي ، العرب على حدود بيزنطة ، ص ١٣٣ ، ١٣٤) .

^٣ حكم (الحارث بن جبلة) في الفترة الواقعة بين عامي (٥٢٩-٥٦٩ م) (انظر : الشيبه ، العرب القديم ، ص ١٩٠)

^٤ . Shahid the Martyrs of Najran, pp. 146-148 .

^٥ . the conference of Ramla, pp 128-130 .

الامبراطور البيزنطي (جوستين الأول) في الظاهر . خصوصاً أن هذا الامبراطور قد بدأ عهده بطرد الأساقفة اليعاقبة من كنائسهم^١.

ولعل الموقف الأخير للغساسنة هو الذي حدا بلوندين^٢ أن يقول : أن دولة الغساسنة قد وضعت نفسها في خدمة اليهودية في اليمن ، وكذلك خدمة النصرانية في بيزنطة ، في آن واحد . ولكن هذا القول تعرضه أكثر من علامة استفهام . لما الذي يجعل الغساسنة يتخذون هذا الموقف المتناقض ؟ خصوصاً وهم حلفاء للدولة البيزنطية وكانوا يشكلون درعاً واقياً لها من هجمات العرب والفرس^٣. إلى جانب أنهم يعتقدون نفس المذهب الذي يعتقه نصارى اليمن المعرضون لاضطهاد الملك اليهودي (ذي نواس) . ثم إذا كان الغساسنة قد وضعوا أنفسهم في خدمة يهود اليمن — كما ذكر لوندين — فلماذا لم يرسلهم (ذي نواس) ، ويطلب العون منهم ، كما فعل مع المناذرة . حيث لم نخبرنا المصادر التاريخية — التي بين أيدينا — عن أي رسالة موجهة من (ذي نواس) إلى الغساسنة . وذلك يضعف الرأي الذي ذهب إليه لوندين . ويؤكد الرأي الذي ذكره شهيد ، والذي يرجع امتناع الغساسنة عن مساندة الغزو الحبشي لليمن إلى تخوفهم من الامبراطور البيزنطي ، المتعصب ضد مذهبهم الديني .

أما ما يراه البعض من أن امتناع الغساسنة عن المشاركة في هذه الحملة ، كان بسبب تقديرهم لروابط الدم التاريخية بينهم وبين اليمنيين^٤. فذلك أمر لا يمكن الركون إليه ، نظراً لأن تلك الروابط لم تكن قد ظهرت في تلك الفترة . ولنا في الصراعات الدامية التي دارت بين القبائل العربية بعضها البعض — وفي مقدمتها صراع الغساسنة أنفسهم مع المناذرة — خير شاهد على ذلك^٥.

^١ أظهر الامبراطور (جوستين الأول) بعضاً واضحاً للمعصب (المنوحي) وأتباعه ، وذلك على خلاف ما كان عليه سلفه الامبراطور (انستاسيوس الأول) الذي كان متعاطفاً مع المذهب (المنوحي) (انظر : ربيع . حبيب . دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية ، القاهرة ، ١٩٨٦ م ، ص ٥٦ ، ٥٧ ، الناصري - سيد . الروم والشرق العربي ، القاهرة ، ١٩٩٣ م ، ص ٧٥ ، ٧٩) .

^٢ اليمن إبان القرن السادس ، الحلقة الأولى ، ص ١١ .

^٣ عن مخالفة الغساسنة لبيزنطة (انظر : الشيبه . العرب القديم ، ص ١٨٩) .

^٤ الجرو . موجز التاريخ السياسي ، ص ٢٦٨ .

^٥ سيأتي معنا الحديث بصورة مفصلة عن تلك الحروب والصراعات العربية . العربية . في الفصل المخصص لدراسة أيام العرب .

كان ذلك هو موقف الغساسنة . أما كندة وموقفها من الصراع الحميري — الحبشي . فنحن نعرف من نقوش الملك يوسف أسار يثار (ذي نواس) أن جيشه قد تكون من : اليزنيين ، و الحمدانيين (حضرم وأعرابهم) إلى جانب أعراب : كندة ، ومراد ، ومذحج (وب أشع ب / ذه م د ن / وه ج ر ه م و / وأ ع ر ب ه م و / وأ ع ر ب / ك د ت / وم ر د م / وم ذ ح ج م) (Ry 508/7) والسؤال هنا ، هل كان أعراب (كندة) المشاركون في قوات الملك الحميري (ذي نواس) هم من قبيلة كندة الجنوبية المقيمة في اليمن ، أم من دولة كندة القائمة في شمال الجزيرة ؟

ونحن هنا ربما لا نملك إجابة شافية على ذلك السؤال ، ومع ذلك يمكننا القول — بنوع من الحذر — بأن القوات الكندية المشاركة في جيش الملك (ذي نواس) إنما كانت تنتمي إلى قبيلة كندة الجنوبية ، وليس إلى الدولة الكندية . وذلك لأن تلك الدولة كانت في هذه الفترة منشغلة بتأمين نفسها ، أمام الضغط الشديد الذي مارسه عليها الملك اللخمي (المنذر الثالث) . والذي على يديه انتهت حياة (الحارث بن عمرو) — ملك كندة الأشهر — عام (٥٢٨ م) وهو الذي حاول أن يقيم لنفسه ولدولته تحالفاً جديدة مع الفرس والروم . ربما بعد الضعف الذي طرأ على الدولة الحميرية في مطلع القرن السادس الميلادي . تلك الدولة التي كانت كندة تستمد منها الحماية والدعم . أي أن كندة الشمالية كانت في هذا الوقت أحوج ما تكون لتوفير قواتها لتستخدمها في صراعاتها الخاصة بها ، بدلاً من إرسالها لمساعدة الملك الحميري (ذي نواس)^١ .

وقبل أن نختم الحديث عن عهد (ذي نواس) وعلاقة دولته الحميرية بمناطق شمال الجزيرة العربية لنا وقفة ^{نحاول أن} نعرف من خلالها طبيعة العلاقة التي ربطت بين يهود شمال الجزيرة بذي نواس . وكذلك موقفهم من الغزو الحبشي لليمن . وفي البدء يجب أن نشير إلى أن اليهود قد انتشروا في مناطق كثيرة من شمال الجزيرة وخاصة واحاتها الخصبة ، وقد امتد وجودهم ليشمل : جزيرة يوتابه (تيران الحالية عند مدخل

^١ سيوضح ذلك بصورة أكثر في الفصل الثالث — ص ٨٣ وما بعدها

خليج العقبة) ، وتيماء ، والحجر ، وأذرع ، وفدك ، وخير ، ووادي القرى ، والطائف ، ويثرب^١.

وتأتي يثرب في المقدمة من حيث الأهمية ، نظراً لكونها مركز اليهودية الرئيسي في الجزيرة العربية^٢. ولذلك يرى البعض أن المذبحة التي أقامها (ذي نواس) لنصارى نجران . لم يكن هدفها الاضطهاد الديني بقدر ما كان الرغبة في القضاء على هذه المدينة النصرانية التي تعترض طريقه إلى يثرب مركز اليهودية في الحجاز^٣.

ولكننا مع الأسف لا نملك معلومات مفصلة — في إطار المصادر التي بين أيدينا — عن صلات (ذي نواس) مع يهود الحجاز ، وما إذا كان لهم دور في اضطهاد نصارى اليمن^٤. إلا أن ذلك قد لا يعني عدم وجود صلات بين الجانبين ؛ بقدر ما يعني عدم وصول تفاصيل تلك الصلات إلينا . بدليل أن المصادر السريانية تتحدث عن وجود علاقات بين يهود مدينة طبرية الفلسطينية — وهي أبعد من المستوطنات اليهودية في الحجاز — وبين (ذي نواس) فقد ذكرت وجود بعض أحبار يهود تلك المدينة ، في بلاط ذي نواس (مسروق) . إلى جانب أن أحبارهم ، الموجودين في طبريا نفسها كانوا يبعثون من وقت لآخر أحباراً منهم ، إلى بلاد (مسروق) بقصد إثارة الشغب ضد نصارى حمير^٥.

^١ من مناطق تواجد اليهود في شمال الجزيرة العربية (انظر : كويشانوف . الشمال الشرقي الأفريقي ، ص ٥٠) هذا ولمت ولنفسون النظر إلى أن مواطن اليهود المذكورة أعلاه ، تتطابق مع المواطن التي ينسبها بطليموس للشموديين . ويتساءل هل كان ذلك بسبب تحول الشموديين لم أن اليهود استلموا تلك المناطق ، بعد رحيل الشموديين عنها ، وبكيفية طرح هذا السؤال دون أن يجب عليه ، وذلك بسبب عدم توفر المعطيات ، التي تساعد على ذلك (انظر : تاريخ اللغات السامية ، بيروت ، ١٩٨٠ م ، ص ١٧٥) .

^٢ الصلوي . قصة أصحاب الألفرد ، ص ١٩ .

^٣ Shahid . the conference of Ramla, pp 124 . وإن كما يرى أن الدين هنا (يهودية و نصراية) قد اتحد ساراً لتعليق جملة من المسائل لعل آخرها هو الدين .

^٤ يذكر أحد المؤرخين (محدثين) — من غير أن يحدد مصدره — أن (ذي نواس) قد بعث بسفارة إلى يثرب — سبقت سفارته إلى الحيرة — وأن تلك السفارة قوبلت بحسنى من جانب القبائل اليهودية الثلاث التي تقطن يثرب : (بنو قريظة ، و بنو النضير ، و بنو قينقاع) إلا أن تلك السفارة لم تحقق أهدافها لعدم لفتلاك يهود يثرب — آنذاك — للإمكانات العسكرية التي تسمح لهم بمد يد العون لدى نواس . انظر : كويشانوف . الشمال الشرقي الأفريقي ، ص ٥٠ .

^٥ يعقوب الثالث . الشهداء الحميريون . ص ٢٤ ، ٤٧ .

الفصل الثاني

امتداد نفوذ الدولة في جنوب الجزيرة
نحو شمالها

خلال عصر الاحتلال الحبشي والفارسي

تمهيد :

بدأ الأحباش تدخلهم السياسي والعسكري في اليمن منذ النصف الثاني للقرن الثاني الميلادي عندما انضم الملك الحبشي (جذرت) إلى الملك السبئي (علهان ففان) والملك الحضرمي (يدع إل بن رب إل) ملك حضرموت في حلف ثلاثي موجه ضد الدولة الحميرية في ظفار (CIH 308) .

واستمر تواجدهم في تمامة اليمن حتى النصف الثاني للقرن الثالث الميلادي حيث كان آخر ذكر لهم في النقوش اليمنية خلال هذه الفترة عائداً إلى أحد نقوش الملك الحميري (ياسر يهنم) (المعسال ٥) ، المؤرخ بعام (١٩٦ أبعلي / ٣٨٠ حميري / ٢٦٥ ميلادي) ، ^١ ثم يختفي ذكرهم من النقوش بعد ذلك طوال القرنين الرابع والخامس للميلاد .

وقد عاد الأحباش للتدخل في شئون اليمن منذ مطلع القرن السادس الميلادي ، حيث يعتقد أنه كان لهم نفوذ على الملك الحميري (معدي كرب يعفر)^١ ، وقد ظهر ذكرهم بوضوح في نقوش خليفته يوسف أسار يثار (ذي نواس) المؤرخة بعام (٦٣٣ ح / ٥١٨ م) والتي يذكر فيها أنه قام بقتل الأحباش في ظفار، وأحرق القليس (الكنيسة) فيها ، ثم توجه بعد ذلك نحو المناطق المطلة على البحر الأحمر (الأشاعر والركب وفرسان) المتاخمة لبلاد الأحباش ، وقام بتحصين مضيق باب المندب (Ja 1028 , Ry 508) .

ويعتقد أن الأحباش الذين ذكرهم نقوش (ذي نواس) ، قد تخلعوا عن الحملة الحبشية الأولى التي يدور خلاف بين الدارسين حول حدوثها وتاريخها ، حيث يرى البعض أنها تمت في عام (٥١٧ م) فور سيطرة (ذي نواس) على العرش الحميري ، وبداية حملته ضد النصارى^٢ . ويرى آخرون أنها تمت في عام (٥١٩ م) وأنها كانت

^١ يعقوب الثالث - الشهداء الحميريون ، ص ٤٣ ، ١١٣ .

^٢ كويشكوف - الشمال الشرقي الأرميني ، ص ٣٥ .

في عهد الملك السابق لذي نواس ، وأن تولي الأخير واضطهاده للنصارى في اليمن وقتله للأحباش في ظفار إنما يعود إلى عام (٥٢٣ م)^١ .

ويذكرنا الرأي الأخير بما يعتقد به بعض المؤرخين من أن بداية التاريخ الحميري ترجع إلى عام (١١٠ ق . م) بدلاً عن عام (١١٥ ق . م) السائد بين المؤرخين منذ فترة بعيدة^٢ . وإذا صدق ذلك الرأي ، فإن نقوش الملك (معدي كرب يعفر) تكون مؤرخة بعام (٥٢١ م) بدلاً عن عام (٥١٦ م) ، ويصبح من الضروري تأخير الأحداث المذكورة في نقوش الملك يوسف أسار يثار (ذي نواس) المشار إليها آنفاً إلى عام (٥٢٣ م) بدلاً عن عام (٥١٨ م) ، وذلك يعني إعادة قراءة الأحداث وفق منظور جديد .

^١ يعقوب الثالث . الشهداء الحميريون ، ص ١٠٦ .

^٢ ظهر هذا الرأي بوضوح في كتاب الجي في بلاد مملكة سبأ ، ترجمة / يد العلي حروكي ، باريس - دمشق ، ١٩٩٩ م . فقد تم اعتماده في كل الأبحاث التي احتوى عليها الكتاب .

في عهد سميّفع أشوع :

انتهى مجرى الأحداث بغزو الأحباش لليمن ، بقيادة النجاشي (إلا أصبحت) ، واحتلالهم لها بعد قضائهم على (ذي نواس)^١ ، وقد سلم النجاشي العرش الحميري للأمير اليزني سميّفع أشوع ، الذي أصبح ملكاً حمير ، مع اعترافه بالتبعية للحبشة ، ويدور أنه كان مسيحياً^٢ .

وبفهم من النقوش أن (سميّفع أشوع) ، قد حمل لقب التبابعة الطويل (ملك سبأ وذي ريدان وحصرموت وعمانة وأعرابهم طوداً وقمامة) رغم اعترافه بالسيادة العليا للأحباش (RES 3904) . (وسميّفع أشوع) هذا هو نفسه الذي ذكرته النقوش مقاتلاً — ضمن مجموعة من الزعماء اليزنيين — في صف ذي نواس ضد الأحباش (Ja 1028/2 , Ry 508/9) . وهو أيضاً الذي يتصدر اسمه النقش ، الذي يتحدث عن عودته مع بعض الزعماء اليزنيين من الحبشة عام (٥٢٥ م) . عندما وجدوا أن الأحباش قد قتلوا (ذي نواس) ، (CIH 621/1) (٩) . ولكننا لا نملك معطيات كافية ، نعرف من خلالها أسباب خلاف (سميّفع أشوع) مع (ذي نواس) ، واتخاذ جانب الأحباش^٣ .

أما عن علاقة الدولة في جنوب الجزيرة ، بمناطق شمال الجزيرة في عهد هذا الملك . فنحن لا نملك شيئاً عن ذلك ، في إطار ما وصل إلينا من نقوش مسندية . وكذلك الحال مع المصادر العربية التي سكنت عن عهد هذا الملك برعته ، واستبدله بقائد حبشي دعت (إرياط) ، وذكرت عنه أنه هو الذي ملك اليمن ، بعد (ذي نواس)^٤ . ولكن المصادر البيزنطية قد ذكرت لنا شيئاً من ذلك عندما تحدثت عن الخلاف الذي نشب بين سميّفع أشوع وبين (قيس) زعيم كنده ومعد ، وتدخل الدولة البيزنطية لحل ذلك الخلاف من أجل توحيد قوى الرجلين — المناصرين لها — لمهاجمة

^١ الشيبه . دراسات في تاريخ اليمن القديم ، ص ٣٦ .

^٢ لورد بروكويوس (Procopius) تفاصيل أخرى كثيرة عن هذا الملك في كتابه : History of the Wars , London , PP

١٩١ .

^٣ كوبيشيانوف ، الشمال الشرقي لأفريقيا ، ص ٧٠ - ٧٢ .

^٤ انظر مثلاً : ابن هشام . السيرة ، مج ١ ، ج ١ ، ص ٢٨ .

الأراضي الفارسية ، خدمة للمصالح البيزنطية . وهو ما منوَّجَل الحديث عنه إلى الفصل الخاص بكندة ، نظراً لارتباط الموضوع بأحداث ذلك الفصل بصورة أكبر .

في عهد أبرهة الحبشي :

نعرف من المصادر البيزنطية ، أن أبرهة قد اعتلى العرش الحميري على إثر ثورة قام بها ضد سلفه (سيفع أشوع)^١ . وهو ما ذكرته المصادر العربية ، وإن كانت تجعل ثورته ضد (أرباط) الذي تضعه بدلاً عن (سيفع أشوع) ، حسبما ذكرنا آنفاً .

أما النقوش اليمنية القديمة فلا نعرف منها — في إطار ما نملك من نقوش — أي معلومات عن كيفية وصول أبرهة إلى السلطة ، ومقى كان ذلك . وكل ما نملكه هو نقوش تعلن أن أبرهة قد أصبح ملكاً وحاملاً للقب التابعة الطويل (ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت وعمانه وأعرابهم طوداً وقحمة) (CIH 541/4-8 , Ry 506/1-2, Ja 546/2) . ويؤرخ أقدمها بعام (٦٥٧ هـ / ٥٤٢ م) (CIH 541/27) .

أشارت

وتتفق المصادر البيزنطية والعربية على أن ثورة أبرهة ضد سلفه قد أثار غضب الملك الحبشي — (في أفريقيا) على أبرهة . ولكن أبرهة تمكن من التغلب على ذلك الغضب باستخدام الدهاء حسب المصادر العربية^٢ ، والمقاومة العسكرية ، حسب المصادر البيزنطية^٣ .

هذا وقد اتخذ أبرهة من صنعاء مقراً له^٤ . ويبدو أن القوى الإقليمية ، والدولية قد نظرت إليه وتعاملت معه ، كحاكم مستقل ، وملكاً شرعياً للبلاد ، أكثر منه والياً لملك أكسوم ، أو مقتصباً للسلطة . بدليل إرسال هذه القوى لسفرائها ووفودها إلى أبرهة . حيث نعرف من أحد نقوشه أنه قد تجمع في بلاطه على الترتيب كل من :

^١ Procopius, wars, Ixx, 2-8 .

^٢ ابن هشام . السيرة ، مج ١ ، ج ١ ، ص ٣٠ .

^٣ Procopius, wars, Ixx, 2-8 .

^٤ يرى البعض أن (أبرهة) هو أول من اشتهر من صنعاء حاضرة اليمن (غامدا - جنوب الجزيرة موحداً ، ص ١٩٠) لمزيد من التفاصيل عن صنعاء في التاريخ (انظر : الشية - مدح بحية (١) ، اليمن الجديد ، العدد (١٢) ، السنة (١٧) ، ١٩٨٨ م ، ص ٤٧ وما بعدها .

سفير النجاشي ، وسفير روما ، والبعثة الدبلوماسية لملك الفرس ، ورسول المنذر (اللخمي) ورسول حارث بن جبلة ، ورسول أبي كرب بن جبلة (الغساني) (وك وص ح هم و / م ح ش ك ت / ن ج ش ي ن / و و ص ح هم و / م ح ش ك ت / م ل ك / ر م ن / و ت ن ب ل ت / م ل ك / ف ر م / و ر م ل / م ذ ر ن / و ر م ل / ح ر ث م / ب ن / ج ب ل ت / و ر م ل / أ ب ك ر ب / ب ن / ج ب ل ت) . (CIH 541 / 87-92) . الجدير بالذكر أن النقش قد سكت عن السبب الذي من أجله حضر هذا الجمع من السفراء إلى أبرهة . ولذلك فقد تعددت آراء الدارسين حول ذلك . فقد رأى بعضهم أن السبب يتمثل في قننة أبرهة بتولية الحكم إلى جانب بحث العلاقات والمصالح المتبادلة مع نظامه الجديد^١ . بينما يرى البعض الآخر بأن الوفود لم تأت إلى أبرهة فور توليه السلطة ، ولكنها أتت بعد أن تمكن من تدعيم سلطانه باتفاقه مع أعيان الجنوب عقب ثورته عليه^٢ .

ويرى بافقيه^٣ أن هذه الوفود لا بد أنها قد وصلت بصورة متفرقة ، ولم تصل دفعة واحدة . ونحن نوافق على ذلك لكون وصولها في وقت واحد ، يقضي وجود اتفاق مسبق على إرسالها ، بين الدول التي بعثتها . وهو ما لم يحدث حسب علمنا ، إلا أن يكون أبرهة هو الذي طلب حضور هذه الوفود لأمر محدد سلفاً وهو ما لا نستطيع الجزم به من خلال المعطيات المتوفرة لدينا . وإن كنا لا نستبعد هنا بأن تكون هذه الوفود قد حضرت لتهنئة أبرهة على إنجازه لعملية ترميم سد مأرب ، رغبة منها في كسب ود رجل البلاد الجديد ، وكان لكل وفد سببه الخاص في إطار الأوضاع الإقليمية التي سادت آنذاك . ولعل الأيام تجود علينا بوثائق تاريخية ، من الدول التي أرسلت هذه الوفود ، نعرف منها معلومات أكثر عن هذا الموضوع .

على كل فإن ما يهمنا من هذا الأمر هو وجود وفود الدول العربية الشمالية ، المتمثلة برسول الملك اللخمي (المنذر الثالث) (٥٠٥-٥٥٤ م) ، ورسولا الملك

^١ بافقيه . في العربة السعيدة ، ج ٢ ، ١٩٩٣ م ، ص ٢٠٣ ، ٢٠٤ .

^٢ كويشانوف . الشمال الشرقي الأكرتي ، ص ١٣٤ .

^٣ بافقيه . السعيدة ، ج ٢ ، ص ٢٠٣ .

الفساني (الحارث بن جبلة) (٥٢٩-٥٦٩ م) . وأخيه (أي كرب بن جبلة)^١ . حيث نلاحظ أن رسول دولة المناذرة — حليفة الفرس — قد تقدم على رسول دولة الفساسنة ، رغم كون الفساسنة هم الأقرب إلى يزنطة ، وأكسوم ، وأبرهة ، وذلك وضع ناتج عن الأهمية المتزايدة التي أصبحت للخميين خلال هذه الفترة . والتي تدعمت على حساب الدولة الكندية النهابية الأمر الذي جعل الدولة اللخمية تحتل وضعاً أبرز بكثير من وضع دولة الفساسنة . فأعطى ذلك الحق لرسول (المنذر) أن يتقدم اسمه على اسمي الرسولين الفسانيين في النقش^(٢) .

إن وجود وفود الدول العربية الشمالية في بلاط أبرهة يجعلنا نتساءل عن طبيعة العلاقة التي ربطت بين جنوب الجزيرة وشمالها في عهد أبرهة . وهذا الخصوص نعرف من المصادر أن أبرهة قد قاد حملتين نحو مناطق شمال الجزيرة العربية . حيث جاء ذكر إحداها في النقش الموسوم (Ry 506) الذي عثر عليه في بئر المريغان على بعد (١٧٠ كم) إلى الجنوب الشرقي من بيشة ، والأخرى في المصادر العربية^٣ . وقد دار خلاف بين الدارسين حول ما إذا كانت الحملتان في الأصل حملة واحدة ، أم أن كلاً منهما منفصلة عن الأخرى . وإذا كان الخيار الأخير هو الأصح ، فلماذا أغفلت المصادر النقشية إحداها ، وأغفلت المصادر العربية الأخرى .

وقبل الإشارة إلى تلك الآراء وما نرجحه بخصوصها ، علينا أولاً أن نستعرض الحملتين المذكورتين حتى نتاقد الأمر عن بينة .

وسنبداً حديثنا عن الحملة المذكورة في النقوش (Ry 506) ، التي يعود تاريخها إلى عام (٦٦٢ ح / ٥٤٧ م) . ولأن عدم الدقة في نسخ هذا النقش تبدو واضحة على نسخة ريكماتز ، وذلك من خلال المعنى غير المترابط الذي تقدمه . ونظراً لتوفر نسخة أخرى للنقش نفسه ، تناقص نسخة ريكماتز في بعض الجوانب

^١ ان اتفرد (أي كرب بن جبلة) برسول مستقل — إلى أبرهة — عن رسول أخيه المنذر . يعود إلى كونه قد أصبح — في هذه الفترة — رعيماً لولاية فلسطين الرومانية ، بدلاً من (قيس الكندي) . انظر : الفصل الثالث ص ٩٤ .

^٢ مثلاً ابن هشام . السيرة ، مج ١ ، ج ١ ، ص ٣٦-٤٠ .

(٣) ينفوليفسكياء العرب على حدود يزنطة ١٢٦١٢٠٠ - كوبيشيانوف . الشمال الشرقي الأوسط ص ٢٤٤ .

— وهي التي قام بنسخها عبد المنعم سيد^١ — فإننا سنحاول أن نأتي بالمعنى الذي نراه صحيحاً لارتباطه بالنقش ، وذلك بالاستعانة بكلا النسختين . وفي سبيل الوصول إلى ذلك سنعمل على إثبات النقش في المتن ، كما جاء في نسخة ريكماتز ، مع وضع الكلمات المختلف بشأنها ، بين قوسين . ثم سنورد في الهامش الكلمات المقابلة لها في نسخة سيد مصحوبة بما نرجعه بخصوصها . ونص النقش هو على النحو التالي :

١. + ب خ ي ل / ر ح م ن ن / و م س ح ه و / م ل ك ن / أ ب ر ه /
(زي ب م ن) / م ل ك / س ب أ / و ذ ر ي د ن / و ح ض ر م و ت /^٢
٢. و ي م ن ت / و (ر) أ ع ر ب ه م و / ط و د م / و ت ه م ت / س
ط ر و / ذ ن / س ط ر ن / ك غ ذ ي و /
٣. م ع د م / غ ز و ت ن / ر ب ع ت ن / ب و ر خ ن / ذ ث ب ت ن / ك
ق س د و / ك ل / (ب ن ي) / ع م ر م /
٤. و ذ ك ي / م ل ك ن / أ ب ج ب ر / ب ع م / ك د ت / و ع ل / و ب
ش ر م / (ب ن / ح ص ن م) / ب ع م /
٥. س ع د م / (ر م [خ ض] و) / (و ض ر و) / ق د م ي / ج ي ش

^١ سيد . عبد المنعم . البحر الأحمر وظهوره في العصور القديمة ، الاسكندرية ، ١٩٩٣ م ، ص ٣٧٣ .

^٢ في نسخة سيد (ز ب ي م ن) ، وهو الأصح .

^٣ أهل كتاب النقش — في معظم السطور — الحظ الفاصل بين الكلمة التي تقع في آخر السطر ، والكلمة التي تقع في أول السطر التالي . وقد أثبتنا هنا ، اعتماداً على ما جاء في بقية النقوش ، حتى تسهل قراءة النقش .

^٤ وردت (الراء) الأولى ضمن الكلمة في كلا النسختين ، وهو خطأ ، لأن المقصود بالكلمة هم (الأعراب) ، حيث ترد الكلمة في النقوش الأخرى بدون (الراء) السابقة للألف .

^٥ الحظ الفاصل بعد كلمة (ب ن ي) غير موجود في نسخة (ريكماتز) وقد أثبتته نسخة (سيد) وهو الأصح .

^٦ نفس الملاحظة السابقة بخصوص الحظ الفاصل بعد كلمة (ب ن) .

^٧ وردت هذه الكلمة في نسخة (سيد) على النحو التالي (و م ر د م) ، أي (و مراد) ، وهو الأرجح ، نظراً لأن اسم قبيلة (مراد) يذكر في نسخة (ريكماتز) في آخر هذا السطر . مع بقية القبائل الثلاث الأخرى (كنة ، وحل ، وسعد) يسام م يذكر في هذا الموضع رغم ذكر أسماء القبائل الثلاث الأخرى .

^٨ يشير (سيد) إلى أن هذه الكلمة هي (ح م ر و) . ولكن سياق الحديث في النقش لا يتفق مع ذلك ، ولأرجح أن الكلمة هي (م ر و) كما وردت عند (ريكماتز) بمعنى حارب وقتل ، نظراً لما يأتي في آخر هذه العبارة من حديث عن القتلى والأسرى .

- ن / ع ل ي / (ب ن ي / ع م ر م) / ك د ت / (و ع ل ي) / أ و د . ع /
 [ز] / ن .. م ر د م / أ و س ع د م / ب و د /
 ٦ . (ب م ن ه ج) / ت ر ب ن / و ه ر ج و / أ و س ر و / (و م ن م
 و) / ذ ع س م / أ و م خ ض / م ل ك ن / ب ح ل ب ن / أ و د ن و /
 ٧ . (ك ظ ل) / م ع د م / أ و ر ه ن و / أ و ب ع د ن ه و / أ و س ع ه
 م و / ع م ر م / ب ن / م ذ ر ن /
 ٨ . و ر ه ن ه م و / ب ن ه و / أ و س ت خ ل ف ه و / ع ل ي / م
 ع د م / و ق ف ل و / ب ن / ح ل
 ٩ . [ب] [ن] / [ب] [خ] / ي ل / ر ح م ن ن / أ و ر خ ه و / (ذ ع
 ل ن) / (ذ ل ث ن ي) / أ و س ث ي / أ و س /
 ١٠ . ث / م أ ت م .

أما الآن ، فسنورد معنى النقش معتمدين على معاني المفردات ، كما جاءت في المعجم السبئي . مع ملاحظة أننا منبثت التعديلات التي أدخلناها من نسخة

^١ انظر الملاحظة السابقة على نفس الكلمة الواردة في السطر الثالث .

^٢ ورد اسم هذه القبيلة ها بحرف (الهاء) ، بينما لم يثبت حرف (الباء) عندما ذكر الاسم في السطر السابق ، وقد وردت في اوضاعين عند (سيد) بدون حرف (الهاء) . وسنغير إلى هذا الاسم ، والمقصود به عند إيرادنا لمعنى النقش .
^٣ ترد هذه الكلمات في نسخة (سيد) على النحو التالي (ب و د / د م ر خ / أ و م ر د م /) . وهو ما يرجحه نظراً لتراطفه مع ما جاء قبله ، وما جاء بعده .

^٤ عندنا نحو النقش أن لحرف الأخير من هذه الكلمة هو (الميم) بينما عند مؤلفي المعجم السبئي حرف (اللام) . مادة : (ن ه ل) . وذلك بسبب التداخل الذي حدث بين رسم الحرفين في نقوش الفترة المتأخرة . ونحن نرجح هنا ما ورد في المعجم السبئي ، وسنأسس في ذلك ، بما جاء في للمعجم العربية بقوم أن المنازل التي في المغاور على طرق المسافرين يسمى (ساهل) ، لأن فيها الماء . انظر : مختار الصحاح ، مادة : (ن ه ل) وهو ما يطابق على الأماكن التي دارب فيها أحداث النقش
^٥ الكلمة عند (سيد) هي : (و ع ل م و) وهي الأصح ، لتوافقها مع الكلمات السابعة لها ، بحيث تصبح العبارة " وقتلوا ، وأمروا ، وعصو " .

^٦ الكلمة بهذه الصورة ليس لها معنى واضح ، وبمصرها البعض بالمرسان (خروصكي . اليس قبل الإسلام والقرون الأولى لمهجرة ، بيروت ، ١٩٨٧م ، ص ٣٢٧) . وهو تفسير لا يتناسب مع سياق النص ، نظراً لأن الحملة كانت عند (معد) كلها ، ويست حد فرسانها ، بذلك فالأرجح أن حرف (الظاء) في الكلمة إما أنه زائلاً ، مثله مثل حرف (الزاء) الأولى في كلمة الأعراب ، أو أنه في الأصل حرف (اللام) ، وفي هذه الحالة تكون الكلمة (ك ل ل) أو (ك ل ل) بمعنى (كل) . لتصبح العبارة هي (كل معد) . وهو ما يتناسب مع سياق النقش .

^٧ سقط اسم الشهر من نسخة (ويكمانز) ، وأنبأه من نسخة (سيد) ، نظراً لما اعتدناه من نقوش هذه الفترة ، التي تذكر اسم الشهر قبل ذكر العام .

(سيد) ، ورجحنا صحتها ، بدلاً عما جاء في نسخة (ريكماتز) لكي يستقيم معنى النقش .

" بقوة الرحمن ، ومسيحه . الملك أبرهة زيمان^١ ، ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمان وأعراسهم طوداً وقامة . دون هذا النقش عدما غزا (قبيلة) معد ، غزوة رابعة ، بشهر ذي الثابة . عندما ثار كل بني عمرو (عامر)^٢ . وبعث الملك ، (بالقائد) أبي جبر مع (قبيلة) كنده ، و (قبيلة) عل^٣ . و (القائد) بشر بن حصن ، مع (قبيلة) سعد^٤ ، و (قبيلة) مراد وقاتلوا على رأس الجيش . (وذلك) ضد بني عامر . كنده وعل ، في وادي ذي مرخ^٥ . ومراد وسعد ، في وادي بمنهل تربان^٦ . وقتلوا ، وأسروا . وغموا بكثرة . وحارب الملك في حلبان^٧ ، ودانت (له) كل معد ، (وقدمت له) الرهائن . وبعد ذلك ضمنهم عمرو بن المنذر ، وقدم ابنه رهينة (عند أبرهة) ، واستخلفه (أبرهة) على معد . ورجع (أبرهة) من حلبان ، بقوة الرحمن ، في شهر ذي علان ، سنة (٦٦٢ ح / ٥٤٧ م)^٨ .

^١ هناك خلاف حول معنى هذه الكلمة . والراجح أنها تعني الذي في اليس (انظر : مجموعة مؤلفي اليس : في بلاد ملكة سبأ ، دمشق ، ١٩٩٩ م ، ص ٢٦٩ — بالقبه ، اليس القديم ، ص ١٦٠) .

^٢ الرأي الغالب أن المقصود بقبيلة (عمرو) في النقش هي قبيلة عامر بن صعصعة . (لويدجيس : اليس ايام القرن السادس الميلادي ، الخلفة الرابعة ، مجلة الاكليل ، العدد الأول والثاني ، ١٩٩٠ م ، ص ١٨ — كويشانونف ، الشمال الشرقي الأفريقي ، ص ١٣٦ . وتنتمي هذه القبيلة إلى هوارن المصرية المعدي (انظر : الفيلسفيدي . نهاية الأرب ، ص ٣٣٠ — ابن حزم . جمهرة الأسباب ، ص ٢٧١) .

^٣ يرجح أن قبيلة (عل) هذه هي ممسها التي ذكرت في نقش الملك أسعد الكامل السالف الذكر (RY 509) تحت اسم (حله) . تعدد السنين العربية التي تحمل اسم (سعد) (الفيلسفيدي . نهاية الأرب ، ص ٢٨٤ — ٢٩١) . والراجح أن القبيلة المقصودة في النقش هي قبيلة (سعد العنصرية) المدسحبة . (لويدجيس : اليس ايام القرن السادس ، الخلفة الرابعة ، ص ١٩ — برونسكي . اليس قبل الإسلام ، ص ٣٢٧) .

^٤ ذي مرخ ، م ينسب لما موقع هذا الوادي بدقة . ويوجد وادي في منطقة مكة المكرمة على خط عرض (٣١.٠٠.٠) وعط طول (٣٩.٥٩.٠٠) يسمى وادي (المراح) لعله يكون هو المقصود نظراً لأن أحداث النقش والحرب ضد بني عامر قد دارت بالقرب من هذه الأماكن . (عن موقع وادي المراح ، انظر : الجمعية الجغرافية السعودية . دليل المواقع الجغرافية بالملكة العربية السعودية ، الرياض ، ١٩٩٨ م ، ص ٥٦٥) .

^٥ تربان : يوجد في المنطقة التي دارت فيها أحداث النقش ، أكثر من مكان يحمل هذا الاسم أو اسم قريب منه (تربان ، بويه ، التربة) . وهي أسماء لمدن وقرى ولودية وآبار . (انظر : دليل لتوقع في السعودية ، ص ١٠١) . والراجح أن المقصود بما موقع بركة الواقع جنوب شرق الطائف (انظر : Al-Sheiba , Die Ortsnamen . PP 19

^٦ حلبان / حلبان : اسم موقع لا يبعد عن (تربان) فهو يقع إلى الشمال الشرقي منها . (انظر : Al-Sheiba , PP 25

والآن ، وبعد أن حاولنا التوصل إلى معنى أكثر وضوحاً واقناعاً لمضمون النقش . علينا أن نحاول تتبع الأسباب التي أدت إلى خروج هذه الحملة — وعلى رأسها (أبرهة) — ضد قبائل معد وخصوصاً بني عامر بن صعصعة . وبهذا الخصوص نفهم من النقش أن سبب هذه الغزوة ، الموجهة ضد (معد) هي ثورة قاتل بني عامر ، من غير أن يوضح لنا النقش سبب هذه الثورة ، ويرى كاسكل^١ أن قبيلة بني عامر كانت تقوم بنهب القوافل ، مما اقتضى تأديبها . بينما يرى (لوندن^٢ ، أن حملة (أبرهة) كانت موجهة في الأصل على قبيلة معد ، وأثناء ذلك تمردت قبيلة بني عامر بن صعصعة ، فوجه (أبرهة) ضدها قواته البدوية ، التي تمكنت من القضاء عليها . بينما واصل (أبرهة) حملته على رأس القوة الرئيسية ضد بني معد .

وبغض النظر عن الوجهة التي من أجلها خرجت هذه الحملة ، وهل كانت بني عامر أم معد أم كليهما معاً ، فإن هناك من يقترح إدراج هذه الحملة ضمن الصراع البيزنطي الفارسي ، ويرى أنها تمت بطلب من البيزنطيين ، وتخريبهم^٣ . ويرفض البعض هذا الرأي ، نظراً لأن الحملة قد تمت بعد توقيع اتفاقية السلام بين إيران وبيزنطة عام (٥٤٥ م) ، أي قبل حملة أبرهة ، نحو منطقة شمال الجزيرة العربية^٤ .

ونحن هنا نرى أنه لا ينبغي نفي ارتباط حملة أبرهة بالمصالح البيزنطية ، لمجرد أنها وقعت بعد توقيع اتفاقية السلام ، بين بيزنطة وإيران . وذلك لأن الاتفاقية لم تشمل حلفاء بيزنطة بما فيهم أبرهة . حيث نرى مثلاً أن هذه الاتفاقية لم تمنع قيام الحروب بين المنذر الثالث (حليف الفرس) وبين الحارث بن جبلة الفسائي (حليف البيزنطيين) . فقد استمرت الحروب بينهما ابتداء من العام التالي للاتفاقية ، وحتى

Entdeckungen in Arabien . pp. 28

^٢ اليس إبان القرن السادس ، الحلقة الرابعة ، ص ١٩ .

Caskel , op cit . pp28 – 30

^٤ لوندن . يس إبان القرن السادس ، الحلقة الرابعة ، ص ٢٠ وعن تاريخ اتفاقية السلام . انظر : كويشانوف . الشمال الشرقي الأفيقي ، ص ١٣٨ . وماقص بهوليمسكا مصها فيما يخص هذا الموضوع ، فهي تقول في صفحة (١٢٨) أنه لا عال لإلحام هذه الحملة بأي حال من الأحوال في إطار الحرب بين الفرس والبيزنطيين ، ثم تعود في صفحة (٢١٢) لتقول بأنه ينبغي ربط هذه الحملة بالحروب البيزنطية الفارسية (انظر : العرب على حدود بيزنطة) .

عام (٥٥٤ م)^١ . أي أنها قد اشتعلت قبل توجه حملة أبرهة نحو مناطق شمال الجزيرة .

ولعل ما جاء عند بروكوبيوس^٢، يؤصل للرأي الذي يربط حملة أبرهة هذه بالمصالح البيزنطية ، فهو يذكر أن أبرهة — بعد أن ثبت سلطانه — وعد الامبراطور البيزنطي مراراً بأنه سيعزو بلاد الفرس . ولكنه لم يزحف إلا مرة واحدة ، قفل منها راجعاً إلى بلاده ، ولم يعد الكرة بعد ذلك .

ويؤكد البعض بأن حملة (أبرهة) المذكورة في النقش (RY 506) هي الحملة التي قصد بها بروكوبيوس ، أما بلاد الفرس التي ذكرها كوجهة حملة (أبرهة) فهو كان يقصد بها مملكة اللخمين الموالية لهم ، ومناطق نفوذها في وسط جزيرة العرب^٣ .

وكان مما زاد في خيبة أمل بروكوبيوس ، أن الحملة الوحيدة التي قادها (أبرهة) ضد مناطق النفوذ الفارسية ، جاءت متأخرة عن الوقت الذي أمل البيزنطيون حدوثها فيه . وهو ذلك الوقت الذي حمى فيه وطيس القتال بين البيزنطيين والفرس ، خلال الأعوام (٥٤٠ - ٥٤٥ م) . وبأني ذلك التأخير بسبب انشغال (أبرهة) بتعزيز مواقعه في جنوب الجزيرة ، عن طريق المصالحة مع أكسوم ، وكذلك مع (يزيد بن كبشة الكندي) ، والأقبال الحميريين المتمردين على (أبرهة) . ويبدو أن (أبرهة) قد تحين فرصة انقزام (المنذر الثالث) أمام الحارث بن جبلة الفسائي عام (٥٤٦ م) ليشن حملته على قبيلة معد ، التي كانت موالية لللخمين ، وكان عاملهم عليها هو (عمرو بن المنذر) الذي خلف أباه على عرش الحيرة بعد ذلك^٤ .

^١ عن حروب المنذر مع الحارث في هذه الفترة (انظر : كويشانوف - الشمال الشرقي الأفريقي ، ص ١٣٨) .

^٢ انظر ذلك في : كويشانوف ، المصدر السابق ، ص ١٣٦ ، ١٣٧ .

^٣ كويشانوف - الشمال الشرقي الأفريقي ، ص ١٣٧ — يموليفسكا - العرب على حدود بئرطة ، ص ٢١٢ .

^٤ كويشانوف - المصدر السابق ، ص ١٣٧ ، ١٣٨ — يموليفسكا - المصدر السابق ، ص ١٢٨ ، ١٢٩ .

وذلك لا يعني أن الحملة كانت خالصة من أحل اليزنطين ولكن تداخلت فيها مصالح اليزنطين مع مصالح (أبرهة)^١ . الذي ربما كان راعياً في السير على خطى التابعة ، في حلقهم نحو مناطق شمال الجزيرة العربية^٢ .

أما عن علاقة الحملة بدولة كندة ، فهناك من يرى أن الحملة كانت من أجل اقتسام إرث الدولة الكندية المتهاوية ، مع كل من : الماذرة والغساسنة ، واحتمال أن يكون الغساسنة محالفين لأبرهة ، في هذه الحملة بسبب اشتراك الطرفين في العداء للمنادرة^٣ . بينما يرى آخرون أن القصد من الحملة ربما كان هو تعزيز نفوذ الدولة الكندية^٤ . والرأي الأخير يجب التعامل معه برع من الحذر ، وذلك لأن دولة كندة في هذه الفترة كانت قد دخلت في طور من الضعف ، خصوصاً بعد مقتل (الحارث بن عمرو) ، وكذلك انتهاء حكم أبنائه الذين وزعهم على القبائل العربية لأسباب سيأتي الحديث عنها^٥ . وأصبحت كندة مجرد قبيلة من القبائل ، حتى وإن تسمى رؤساؤها بالملوك . وانتقلت رئاسة الكنديين إلى آل الجون المقيمين في هجر والمشقر ، المرتبطين بالفرس^٦ . إلى جانب ذلك فهماوذا (أبرهة) يولي على المعدين — بعد أن انتصر عليهم — (عمرو بن المنذر اللخمي) فكيف يكون ذاهباً لتعزيز نفوذ الكنديين ، ثم يولي على معد — المكون الرئيسي لدولة كندة في الفترة الماصية — أحد الماذرة الذين كان همهم استئصال الكنديين ، والحلول بدلاً عنهم في منطقة وسط الجزيرة^٧ . أما كندة المذكورة في النقش ، كجزء من قوات (أبرهة) ، المشاركة في هذه الحملة ، فأغلب الظن أنها من كندة الجنوبية ، المقيمة في اليمن ، التي عقدت الصلح مع (أبرهة) بقيادة زعيمها (يزيد بن كبشة) قبل هذه الحملة ، بحوالي خمس سنوات ، حسب ما جاء في نقش (C I H 541) .

^١ يبريسكيا . العرب على حدود يرمطة ، ص ٢١٢

^٢ كويشايوف . الشمال الشرقي الأفرنجي ، ص ١٣٨ ، ١٣٩ — لونين . اليمن إبان القرن السادس ، الحلقة الرابعة ، ص ٢١ ، ٢٧

^٣ كويشايوف . الشمال الشرقي الأفرنجي ، ص ١٣٨ ، ١٣٩ — لونين . اليمن إبان القرن السادس ، الحلقة الرابعة ، ص ٢١ ، ٢٧ .

^٤ الجرو . موجز التاريخ السياسي . ص ٣٠٦

^٥ انظر الفصل الثالث ، ص ٨٧ ، ٨٨ وما بعدها .

^٦ أولندر . ملوك كندة من بني آكل الزرار ، ترجمة / عبد الجبار اللطفي ، بغداد ، ١٩٧٣ م ، ص ٢٠٧ .

^٧ انظر ذلك الصراع بين اللخمي والكنديين في الفصل الثالث من هذا البحث ، ص ٧٩ وما بعدها .

وبالنسبة للمعارك التي دارت خلال هذه الحملة ، فقد انقسمت قوات (أبرهة) إلى قسمين : القوات الأعرابية ، بقيادة (أبو جبر) ، و (بشر بن حصن) ، توجهت ضد بني عامر . بينما توجه أبرهة بقواته الرئيسية المكونة من الأحباش ، والحميريين ، ضد معد^١. وقد أدت تلك المعارك إلى القضاء على ثورة بني عامر بن صعصعة ، وخضوع معد لأبرهة ، وتقديمها الرهائن له.

والملاحظ أن نقش أبرهة هذا اكتفى بالقول بأن الغنائم التي حصلت عليها قواته كانت وفيرة . دون تحديد لنوعية هذه الغنائم ، أو كمياتها ، كما هو الحال في كثير من النقوش السابقة لهذا العهد . وقد أدى ذلك إلى خلاف بين الدارسين ، حيث عدّ بعضهم أن سبب ذلك هو كثرة الغنائم ، التي لا تعد ولا تحصى^٢ . فيما ذهب البعض الآخر إلى عكس ذلك تماماً ، فأرجعوا عدم تفصيل الغنائم إلى أن النصر الذي حققه أبرهة لم يكن حاسماً^٣ . والرأي الأخير هو ما نرجحه ، نظراً لأن (أبرهة) قد اضطر إلى أن يقر اللخميين على معد ، نظير اعترافهم بسلطانه ، حيث أصبح (عمرو بن المنذر) بذلك عاملاً مزدوجاً على معد لأبيه (المنذر الثالث) ، ولأبرهة ، الذي أخذ ابن عمرو رهينة لديه ، حتى يضمن ولاء عمرو له ، وعدم نقضه للعهد^٤ .

وهكذا كشف (أبرهة) عن ميله إلى الحل الوسط مع اللخميين في إطار السياسة التي وضعها لنفسه ، بتعامله مع القوى الخارجية ، والتي تميزت بالمناورة بين اكسوم وبيزنطة ، وبين الفساسنة واللخميين ، وبين بيزنطة وإيران^٥. واستخلاف (أبرهة) لعمرو بن المنذر على معد ، لا يبدو غريباً في ظل تلك السياسة ، إلى جانب أنه كان غير قادرٍ على فرض سيطرته المباشرة على تلك المناطق الشاسعة والممتدة بين اليمن

^١ Beeston Notes on the Mureighan Inscription . London v XVI, 1954, pp 391,392

^٢ الحمادي ، أنظمة التاريخ ، ص ١٥٥ .

^٣ لويدس ، اليمن إبان القرن السادس ، الحلقة الرابعة ، ص ١٩ .

^٤ يرى البعض أن الذي استعطفه (أبرهة) على معد إنما هو (المنذر الثالث) وأن الرهينة هو ابنه (عمرو) . (انظر : نافقه .

السعيد ، ج ٢ ، ص ٢٠٦) ولكن لا مجال لهذا الرأي لأن النقش كان صريحاً بأن الذي استعطفه (أبرهة) على معد وقدم له

رهينة لدى (أبرهة) إنما هو (عمرو بن المنذر) وليس والده (المنذر) (انظر : السطرن السابع والثامن من النقش) .

^٥ كويشانوف ، الشمال الشرقي الأفريقي ، ص ١٣٦ ، ١٣٨ .

جنوباً ، والحيرة شمالاً . والتي كان يسيطر عليها ملوك كندة ، عندما كانت دولتهم قوة منافسة لدولة اللخمين .

وبهذا فإن الآمال العريضة التي عقدها الزينطيون على توجيه ضربة قاضية إلى أعدائهم الفرس — بواسطة أبرهة — لم تتحقق ، غير أن الفرس بدورهم لم يتمكنوا من احتكار التجارة العربية في أيديهم . وبذلك خابت خطط القوتين الكبيرتين ، نتيجة لاتفاقية الصلح التي تمت بين (أبرهة) و (عمرو بن المنذر) الذي أصبح ملكاً على اللخمين في عام (٥٥٤ م) إثر مقتل أبيه^١.

ويبدو أن معداً قد ظلت تابعة للخمين بعد ذلك الصلح ، فها هي المصادر العربية تحدثنا أن معداً كلها قد خرجت تقاتل في صف المنذر (الثالث) ضد الحارث الغساني ، في معركة عين أباغ ، التي قتل فيها المنذر^٢.

حملة أصحاب الفيل :

تم تخصيص فقرة مستقلة لهذه الحملة بصورة منفصلة عن الفقرة المخصصة لعهد (أبرهة) ، رغم كون هذه الحملة جزءاً من ذلك العهد . وذلك للصدى الواسع الذي حظيت به هذه الحملة نتيجة لذكرها في القرآن الكريم .

وقد عرفت هذه الحملة في المصادر العربية — التي استقينا منها معلوماتنا عنها — بحملة أصحاب الفيل ، تيمناً بالمصطلح القرآني ، الذي وصف القائمين بالحملة بأنهم " أصحاب الفيل " ^٣ ؛ وذلك لأن الحملة قد خرجت ومعها فيل بغرض هدم الكعبة .

وتجعل المصادر العربية تاريخ الحملة موافقاً لمولد الرسول ﷺ الذي يحققه الدارسون بعام (٥٧٠-٥٧١ م)^٤ ومن الدراسات ما يشير بأن هذه الحملة تمت قبل (٢٣ عاماً) من مولد الرسول ﷺ^٥ . وتحتصر هذه المصادر أسباب الحملة في تلك القصة التي وردت فيها — على اختلاف في التفاصيل ، واتفاق في المضمون العام —

^١ كوشناروف . الشمال الشرقي الأفريقي ، ص ١٣٧ .

^٢ ابن الأثير . الكامل ، ج ١ ، ص ٣٢٥ .

^٣ سورة الفيل / ١ .

^٤ لودين . اليمن إبان القرن السادس ، الحلقة الرابعة ، ص ٢٢ — سحاب . قبائل قريش ، ص ١٦٩ ، ١٧٠ .

Kister M. J. The Campaign of Hufuban . PP 427 .

(٥) بإقتضائ . المسيرة . ج ١ ، ص ١٤٤ .

وملححصها أن (أبرهة) ، بنى كنيسة في صنعاء ، سماها القليس^١ . ثم كتب إلى نجاشي الحبشة يخبره بذلك ، ويَعده بصرف الحجاج العرب من كعبة مكة إلى قليس صنعاء . ولما تحدثت العرب بكتاب أبرهة غضب رجل من النّساء — من بني كنانة — فخرج حتى أتى القليس ، فأحدث فيه ، فغضب لذلك (أبرهة) ، وحلف ليسرن إلى البيت الحرام ، حتى يهدمه . ثم أمر بتجهيز الحملة التي خرجت تحت قيادته^٢ ، متجهة نحو مكة ، لهدم الكعبة^٣ .

وبهذا الخصوص ، يشير الطبري^٤ إلى نقطة تجاهلتها معظم المصادر ، يذكر فيها أن (أبرهة) عندما علم بتدليس الأعراب للكنيسة ، كان عنده رجال من العرب ، قدموا عليه يلتصقون فضله ، كان منهم (محمد بن خراعي بن حزامه الذكواني ثم السلمي) في نفر من قومه . فأمره (أبرهة) على مضر ، وطلب منه أن يدعو الناس إلى حج كعبته التي بناها . فسار (محمد بن خراعي) حتى إذا نزل بأرض كنانة ، وقد بلغ أهل قحاة خبره وما جاء له ، فبعثوا إليه رجلاً من هذيل يقال له (عروة بن حياض الملاصي) فرماه بسهم فقتله . وكان مع (محمد بن خراعي) أخوه (قيس) الذي هرب حين قتل أخوه ، فلحق بأبرهة ، وأخبره بقتل أخيه . فزاد ذلك (أبرهة) غضباً وحنقاً ، وحلف ليفرون بني كنانة وليهدم البيت

ويبدو أن هذا السبب المتلفع بالدين ، هو بالفعل السبب المعلن من قبل (أبرهة) ، والذي يخفي من ورائه أسباب أخرى (سياسية واقتصادية) ، كانت بمثابة المحرك الفعلي لانطلاق حملته هذه نحو مكة . ويتفق أغلب الدارسين المحدثين على أن الهدف الحقيقي لهذه الحملة هو السيطرة على تجارة الحجاز — خصوصاً تجارة إيلاف

^١ القليس / القليس كلمة يونانية سمي الكنيسة . وقد وردت هذه الصورة في بعض نقوش أبرهة (508/3 ، 507 / 4 Ry) .
^٢ كما وردت في نقوش أخرى لأبرهة أيضاً (ب ع ت / ب ع ت ن) (CIH 541 / 66, 117) وهي لفظة سلبية / سرية .
^٣ يرى البعض أن الحملة كانت بقيادة ابنه (يكسوم) بناء على التواريخ الذي وضعه لوطان (أبرهة) (٢٥٥٨) (لوندن - اليس ايان الغرب السادس ، مختلفه الرابعة ، ص ٢٧) . ولكن أغلب الدارسين اتفقوا على أن الحملة عدت في عهد (أبرهة) ، وصيادته ، وبملاحظ ذلك من خلال حديثنا عن الحملة .
^٤ انظر تفاصيل القصة في ابن هشام السيرة ص ١٠١ ، ج ١ ، ص ٣١١٣ - الأورفي . انظر مكة وما جاء فيها من الآثار ، مستطرد - غوص ، ١٨٥٨ ، أعاد طبعه مكتبة عياط ، بيروت ، ص ٩٢ - العسكري الأول ، ج ١ ، تحقيق / محمد المصري ووليد قصاب ، دمشق ، ١٩٧٥ م ، ص ٣٠ ، ٣١ .
^٥ الطبري - الأمم والملوك ، ج ١ ، ١٩٨٩ م ، ص ٥٥١ .

قريش^١ — ومن ثم التحكم بطرق التجارة التي تربط الشام باليمن^٢ . بل إن البعض يعد هذه الحملة بمثابة الهدف الحقيقي للإحتلال الحبشي لليمن^٣.

وقد التقت مصالح (أبرهة) في هذه الحملة بمصالح الدولة البيزنطية ؛ لأن كليهما كان يريد الاستيلاء على طرق الحجاز ، التي بدأ إيلاف قريش يستغلها بنجاح يثير المطامع . إلى جانب رغبة البيزنطيين في القضاء على القرصنة التي انتشرت في البحر الأحمر ، وذلك إحصائياً لسيطرتهم على طريق القوافل العربية المار عبر مكة^٤ . ويرى البعض أن هناك هدفاً سياسياً للبيزنطيين من وراء هذه الحملة ؛ تمثل في رغبة البيزنطيين بتوحيد القبائل العربية ضد الدولة الفارسية (الساسانية)^٥ . ولا يستبعد آخرون ، أن البيزنطيين هم الذين أوعزوا لأبرهة بشن هذه الحملة بغرض التحرش بالفرس ، وذلك لعدم إمكانية استخدام الفرس في هذه المهمة — كما كان عليه الحال من قبل — بعد أن نصت معاهدة (٥٦١ م) بين الفرس والبيزنطيين على تحريم ذلك . أما (أبرهة) فالمعاهدة لم تكن تلزمه^٦ . وهذا الرأي يجب التعامل معه بحذر ، نظراً لأن معطاته تنطبق على الحملة السابقة ، المذكورة في النقوش ، أما هذه الحملة فالمصادر العربية التي دونتها لنا لم تشر — أثناء حديثها عنها — إلى أي احتكاك بين أبرهة والفرس ، أو أتباعهم المناذرة . كما أن مكة لم تكن منطقة نفوذ فارسي حسبما يذكر ذلك صاحب الرأي نفسه ، وفي الصفحة نفسها التي يرد فيها رأيه المشار إليه .

^١ إيلاف — هو تلك العصب (العمود) التي أسندها (هاشم بن عبد مناف) وأخوته (المطلب وعبد شمس وبنو) ، من موك الروم واليمن والحشة والعراق ، تأليف رحلة الشتاء والصيف ، المذكورة في القرآن الكريم (سورة قريش) . (البلاذري ، أنساب الأشراف ، ج ١ ، القاهرة ، ١٩٥٩ م ، ص ٥٩ . وقد كان نشوء الإيلاف في أوائل القرن السادس الميلادي على أنقاض الشبكة التجارية الخميرية (طريق اللبان) (صحاح - إيلاف قريش ، ص ١٩٥ ، ٢١٢ ، ٢١٣) . وقد ساعد سقوط اليمن تحت الاستيلاء الحبشي ثم الفارسي ، وقيام الحملات الداخلية في اليمن على ذلك التحول (الشريف - مكة والمدنية في الجاهلية وعصر الرسول ، القاهرة ، ١٩٦٥ م ، ص ١٥٤) .

^٢ مثلاً : انظر : لوميس . اليمن إبان القرن السادس ، الحلقة الرابعة ، ص ٢٢ — علي . الفصل ، ج ٣ ، ص ٥١٧ ، ٥١٨ .

^٣ هيو . العرب قبل الإسلام ، ص ١٠٤ .

^٤ صحاح - إيلاف قريش ، ص ٨ ، ١٤٤ .

^٥ سليمان . عطاء الله . مجتمع قريش السياسي والديني في عام الفيل ، بيروت ، ١٩٨٧ م ، ص ١٣ .

^٦ صحاح - إيلاف قريش ، ص ١٦٤ .

وخلاصة القول ، إن الحوافز الدينية والاقتصادية ، قد تداخلت مع بعضها ؛ فحصر النفوذ التجاري لمكة والسيطرة على مصدر ثروتها ، يتطلب تدمير الحرم المكي ، الذي قامت الأسواق من حوله ، خصوصاً أثناء موسم الحج . ولذلك لابد من اجتذاب العرب إلى حرم آخر يحجون إليه ، ويردون أسواقه ليصبح هو المركز التجاري الجديد ، في جزيرة العرب^١ .

ونختم حديثنا عن أسباب هذه الحملة بالإشارة إلى ذلك الرأي الذي لا يستبعد أن تكون المستوطنات اليهودية الواقعة في الحجاز إلى الشمال من مكة — خصوصاً يثرب — هي الهدف من وراء انفاذ (أبرهة) لحمته هذه ، حتى يخضعها لسلطانه ، خصوصاً وهي تربط بعلاقات وصلات تجارية مع الفرس^٢ . وهذا رأي لا يمكننا أن نسايره بحماس ، نظراً لإجماع المصادر العربية ، على أن الوجهة الرئيسية للحملة كانت هي مكة ، من غير أن تشير تلك المصادر إلى تلك المستوطنات ؛ إلا أن تكون السيطرة على تلك المستوطنات هي هدف تالي لأبرهة ، يأتي تنفيذه بعد السيطرة على مكة ، ولم يتمكن (أبرهة) من تحقيقه ، نتيجة للنهاية المأساوية التي تعرض لها جيشه في مكة ، وعودته خائباً إلى اليمن .

نصل الآن إلى الحديث عن الحملة نفسها ، والقوى المشاركة فيها . حيث نفهم من المصادر أن قوام جيش (أبرهة) المشارك في الحملة ، قد بلغ (ستين ألف) مقاتلاً^٣ ، تصحبهم الأفيال^٤ . وتذكر المصادر العربية أن القوى التي جهزها (أبرهة)

^١ صحاح . إيلاف قرشي ، ص ١٦٥ — لؤيدي . اليس إبان القرن السادس ، الخلفة الرابعة ، ص ٢٢ .

^٢ لؤيدي . المصدر السابق ، الصفحة نفسها . كوينشوف . الشمال الشرقي الأفريقي ، ص ١٤٧ .

^٣ شبيها ذلك العدد من أبيات مصرية ، فلما (عبد الله بن الزمري) في هجرة أبرهة وحيت جاء فيها

سائل أمير اجيش عما راى ولسوف بني الجاهل عليهما

ستون ألفاً لم يثوبوا أرضهم بل لم يثن بعد الإهاب سميها

دانت لها حاد وحرم قبلهم والله من فوق الصاد يقيمها

(انظر : ابن هشام . السيرة ، مج ١ ، ج ١ ، ص ٣٧) .

^٤ يذكر ابن الأثير أن الأفيال للمصاحبة لجيش (أبرهة) بلغت (ثلاثة عشر) فيلاً ، وأن توحيد القرآن لها في سورة النمل لكونه قصه كبيرها مسمى (محمود) . (الكامل ، ج ١ ، ص ٢٦٠) وذكر في عدد لأفيال غير ذلك (انظر - المالكي - أبي العيب نقي الدين محمد بن علي العاسي المكي - شعاء الغرام بأخبار البلد الحرام ، ج ١ ، بيروت (دون تاريخ) ، ص ١٨٩) . وقد استخدم الصابون العرب هذه الفيلة في رسومهم التحيلية (انظر : Estn E Mecca the blessed and Medinah the Radiant, London, 1963, PP 50, ill. 21 and 24)

لغزومكة ، كانت مكونة من الأحباش^١ ، إلى جانب بعض القبائل العربية ؛ التي شاركت في الحملة وهي : عك ، والأشاعر^٢ ، وبنو منبه ابن كعب ، وختعم^٣ ، وكندة ، وحمير^٤ . وكذلك قبيلة ثقيف ، التي خرجت لأبرهة عند وصوله إلى مدينتهم الطائف ، وأعلنت له الولاء ، وأرسلت معه (أبا رغال) يذله على الطريق . فخرج (أبرهة) ، ومعه (أبو رغال) ، حتى أنزله المغمس^٥ ، فمات (أبو رغال) هناك ، فرجعت قبره العرب^٦ .

كان ذلك خبر القوى المشاركة في الحملة . أما بخصوص القوى المقاومة لها ، فقد ذكرت لنا المصادر العربية أن العرب لما سمعت بما نوى عليه (أبرهة) ، من هدم الكعبة ، أعظموا ذلك ورأوا أن جهاده أصبح حقاً عليهم . فخرج إليه رجل من " أشراف أهل اليمن وملوكهم يقال له ذو نفر " الحميري ، بمن أجابه من قومه ومن سائر العرب ، فتمكن (أبرهة) من هزيمتهم . وأخذ (ذو نفر) أسيراً لديه^٧ . ثم

^١ ابن الأثير . الكامل ، ج ١ ، ص ٢٦٠ — ابن هشام . السيرة ، ص ١ ، ج ١ ، ص ٣٩ .

^٢ الطبرسي . الفصل من الحس . مجمع البيان في تفسير القرآن ، ج ٣٠ ، روبر — ١٩٦١ م ، ص ٢٣٤-٢٣٧ . ونعيم من نفوس (دي بوس) أن القبائل النهامية ومنها الأشاعر ، كانت تقف في صف الأسياس ، حتى قبل هروجه الأسير ليس (مثلاً : 1028/3) ، وكان هي إحدى القبائل النهامية ، ويبدو أن هذه القبائل عند وصولها إلى مكة قد أدرجتها ، وأُخِلت من أبرهة ، حيث كسر الأشعريون والختعميون سيوفهم وسهامهم ، وأعلنوا أنهم أبرهة من مية هدم الكعبة . (انظر : ابن فهد . عمر . الحاف الورى بأخبار أم القرى — ج ١ ، تحقيق / عيسى محمد شحات ، القاهرة ، ١٩٨٣ م ، ص ٣٠) .

^٣ البغدادي . محمد بن حبيب . المسح ، ص ٦٨ / حوشيد أحمد فاروق ، حيدر آباد ، ١٩٦٤ م ، ص ٦٨ . وبنو منبه بن كعب قبيلة مدحجية ، أما ختعم فهي إحدى القبائل الكهلانية ، التي تغطي السراة وما والاها (الشجاع — عبد الرحمن — اليس في صدر الإسلام ، دمشق ، ١٩٨٧ م ، ص ١٩٥ ، ٣٠٨) ويذكر البغدادي أن ختعم يومه وختعم إلى (أبرهة) كان سبب أهم لا يرمون الحرم ، ولا يجهون البيت (المسح ، ص ٦٨) ، ويعرف من المصادر الأخرى أن ختعم قد حاولت مقاومة (أبرهة) ، ولم تنجح إليه إلا بعد هزيمته لها . ونضيف هذه المصادر ما يعني من ضعف قول البغدادي بعدم شريتها للحرم ، عندما ذكرت أن الأحباش عندما ومهوا القبيل إلى مكة أقبل قبيل من حبيب الخثعمي (رعيهم حميم) وعاطب القبيل في أدنه بقوله : " إركب عسود أو ارجع راشداً من حيث جئت فإنك في بلد الله الحرام .. فركب القبيل " (انظر : ابن هشام . السيرة ، ص ١ ، ج ١ ، ص ٣٢) .

^٤ ابن فهد . الحاف الورى ، ص ٢٤ .

^٥ البتس : وادي قريب من مكة من ناحية الشرق (لذلكي . ثناء الحرم ، ص ١٨٩) ، ولا يزال معروف حتى اليوم ، وموصف بالتمديد على خط حرم (٢١،٢٥،٣٠) وخط طول (٤٠،٠٠،٠٠) . (انظر : الجمعية الجغرافية السعودية . دليل المواقع الجغرافية ، ص ٦٠٠) .

^٦ ابن الأثير . الكامل ، ج ١ ، ص ٢٦٠ .

^٧ نمكي المصادر أن (ذي نفر) كان صديقاً لبيد المطلب (ابن الأثير . الكامل ، ج ١ ، ص ٢٦١) ، ولعله شريكه في التحارة أيضاً (سحاب . إيلاف قريش ، ص ١٧٦) . فهل كانت محالته ورثه من قلوبته حملة أبرهة على مكة .

واصل (أبرهة) سيره بعد ذلك ، وعندما وصل إلى أرض قبيلة خثعم خرج إليه نفيل بن حبيب الخثعمي في قبيلة خثعم : شهران وناهس ، ومن تبعه من قبائل العرب ، فهزمه (أبرهة) ، وأخذ (نفيل) أميراً ، وأصح (نفيل) دليلاً لأبرهة في طريقه إلى مكة^١ .

وعندما وصلت الحملة إلى المغمس ، بعث أبرهة رجلاً من الحبشة يسمى (الأسود بن مقصود) على خيل له إلى مكة ، فساق إليه أموال قمامة — من قریش وغيرهم — وكان من ضمنها مائتي بعير لعبد المطلب بن هاشم ، كبير قریش وسيدها . فهتت قریش ومعها كنانة ، وهذيل ، ومن كان معهم بالحرم بقتاله ، ثم عرفوا أنهم لا طاقة لهم به فحركوا ذلك^٢ .

وتواصل المصادر العربية حديثها عن موقف (عبد المطلب) من الحملة في قصة مشهورة ، ملخصها أن عبد المطلب ذهب إلى (أبرهة) ومعه بعض بنيه طالباً منه أن يرد عليه إبله التي أصابها (الأسود بن مقصود) ، وعندما استغرب عليه (أبرهة) اهتمامه بالإبل وتركه أمر الكعبة التي جاء أبرهة ليهدمها ، رد عليه (عبد المطلب) بقولته المشهورة " أنا رب الإبل ، ولليت رب بمنعه " ، فأجابه (أبرهة) بقوله : " ما كان ليمنع مني . وأمر برد إبله .. واصرف (عبد المطلب) إلى قریش وأخبرهم الخبر ، وأمرهم بالخروج معه من مكة ، والتحرز في رؤوس الجبال خوفاً من معرة الجيش"^٣ .

وجاء في بعض الروايات أن الذي ذهب مع (عبد المطلب) لمقابلة (أبرهة) هما : (عدي بن الدئل بن بكر الكناني) سيد بني بكر ، و (خويلد بن وائلة الهذلي) سيد هذيل ، فعرضوا على (أبرهة) ثلث أموال قمامة ، مقابل رجوعه عنهم ، وعدم هدمه البيت ، فأبى عليهم^٤ .

^١ ابن هشام - السيرة ، مج ١ ، ج ١ ، ص ٣١ ، ٣٢ .

^٢ المصدر ص ١ ، ج ١ ، ص ٣٣ .

^٣ ابن الأثير - الكامل ، ج ١ ، ص ٢٦٠ ، ٢٦١ .

^٤ ابن هشام - السيرة ، مج ١ ، ج ١ ، ص ٣٤ .

ويلفت سحاب^١ الانتباه إلى هذا التحالف الثلاثي بين قريش وكنانة وهذيل ،
مذكراً أن الذي دنس قليس (أبرهة) كان من كنانة ، وأن الذي قتل (محمد بن
حزاعي) والي (أبرهة) على مضر كان من هذيل . وقد عزا أسباب هذا التحالف
بين هذه القبائل الثلاث إلى الأموال التي كانت تجنيها من جراء محالطة التجارة لموسم
الحج إلى بيت الله الحرام .

ويضيف قائلاً : إن ذهاب عبد المطلب إلى (أبرهة) بصحبة زعيم كنانة
وهذيل ، ينفي عنه المسعى الانفرادي ، الذي حاول بعض المؤرخين إلصاقه به
— بقولهم أنه في مفاوضاته لأبرهة إنما كان يمثل قلة من قريش ، وأنه كان يسمى إلى
نصرة (أبرهة) له على منافسيه القرشيين — وأشار إلى أن المصادر العربية لم تذكر أن
أحداً من المكيين ، قد اشتبه في (عبد المطلب) ، وأن (عبد المطلب) لو كان حليفاً
محتملاً لأبرهة ، أو بدا منه ما يوحي رغبته في ذلك لكانت قريش قد انتقامت منه بعد
الغزاة (أبرهة) .

نعود إلى عبد المطلب ومن معه من قريش ، الذين انطلقوا إلى شفاء الجبال ،
ينظرون ما يفعل (أبرهة) بمكة إذا دخلها . أما (أبرهة) فإنه عندما أصبح ، قياً
لدخول مكة ، وهياً فيله ، وعياً جيشه ليهدم البيت . فلما وجهوا الفيل إلى مكة برك
، وعندما وجهوه إلى اليمن ، أو إلى الشام ، أو إلى المشرق ، قام يهرول ، فوجهوه إلى
مكة مرة أخرى ، فبرك . " فأرسل الله عليهم طيراً من البحر أمثال الخطاطيف
والبلسان^٢ ، مع كل طائر منها ثلاثة أحجار يحملها : حجر في منقاره ، وحجران في
رجليه ، أمثال الحمص ، وا لعنص ، لا يصيب أحداً إلا هلك ، وليس كلهم
أصابت . وخرجوا هاربين ، يتدرون الطريق الذي منه جاءوا .. فخرجوا يتساقطون
بكل طريق .. وأصيب (أبرهة) في جسده ، وخرجوا به معهم يسقط أثمة أثمة ..
حتى قدموا به صنعاء ، وهو مثل فرخ الطائر ، فما مات حتى انصدع صدره عن

^١ يلام قريش ، ص ١٧٣ ، ١٧٤ ، ١٧٦ .

^٢ الخطاطيف : طيور سود ، واحدها : عظام . والبلسان : الوزير (ابن هشام - السيرة) ، ص ١ ، ج ١ ، حاشية المحقق ، ص ٣٥ .

قلبه ، فيما يزعمون ^١ . وقد حكى القرآن الكريم ذلك في قوله تعالى : ﴿ ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل . ألم يجعل كيدهم في تضليل . وأرسل عليهم طيراً أبابيل . ترميهم بحجارة من سجيل ، فجعلهم كعصف مأكول ﴾ (سورة الفيل) .
ويذكر أهل الأخبار ^٢ أن الحصبة والجذري ، أول ما رؤيا في العرب بعد الفيل ^٣ . ويبدو أن ذلك هو الذي جعل بعض الدارسين المحدثين ، يرفضون فكرة انقزام (أبرهة) وجيشه ، نتيجة للعقاب الإلهي ، ويعزون وفاقهم إلى الأمراض ، والأوبئة التي انتشرت بينهم ، ومنها الجدري ^٤ . بل إن أحدهم يذهب إلى القول إن عبد المطلب هو الذي استثمر هزيمة (أبرهة) — بسبب الأمراض والحرارة — فنسبها إلى القوى العلوية الغيبية ^٥ !!! .

وهذا أمر مردود عليه بصريح القرآن الكريم ، الذي يذكر أن العقاب كان من الله ، دون ذكر لعبد المطلب من قريب أو بعيد . أما إشارة كتب أهل الأخبار إلى ظهور الجدري ، والحصبة في جزيرة العرب خلال هذه الفترة ، فهي إنما عدت ظهور هذه الأمراض نتيجة للعقاب الإلهي الذي أنزله الله بجيش أبرهة ، ولم تعده وسيلة للعقاب . . وقد كانت صريحة في أن هذه الأمراض إنما ظهرت بعد حملة أصحاب الفيل ، كما سبق وأشرنا .

ويشير بعض الباحثين ، بخصوص هذا الموضوع ، إلى أن العلم قد أثبت أن هناك بعض الطيور (النسور) تقتل برمي العظام ، والأحجار ، وأنها قد تكون هي الطير المقصودة في سورة الفيل . ثم إن ذكرى الحملة كانت ما تزال حية في أذهان بعض المكين كبير السن ، فلو جاء القرآن الكريم بشيء لم يحدث ، لما أدى العظة

^١ من هشام السيرة ، مج ١ ، ج ١ ، ص ٣٤ ، ٣٥ .

^٢ من الأثر المكمل ، ج ١ ، ص ٢٦٣ . ويعلق المؤلف على الرواية التي لأوردها بقوله : " وهذا مما لا ينبغي أن يعرج عليه ، فإن هذه الأمراض [موجودة من] قبل الفيل مد خلق الله لها " .

^٣ حنن حبيب . تاريخ العرب ، ترجمة / إدوارد هرشي وجرانيل جاور ، بيروت ، ١٩٧٤ م ، ص ٢٦٣ — لومدين . اليمن إبان العرب السادس . خنفة الزاعة ، ص ٢٣ — كويشاقوف . الشمال الشرقي الأفريقي ، ص ١٤٩ — هيو . العرب قبل الإسلام ، ص ١٠٥ .

^٤ عبد الكريم . تحليل . قريش من القبيلة إلى الدولة المركزية ، القاهرة ، ١٩٩٣ م ، ص ٥١ .

المقصودة ، ولأنكره كفار قريش ، واستخدموه وسيلة لتكذيب القرآن ، ولكن ذلك لم يحدث^١

وهكذا انتهت حملة أصحاب الفيل بالفشل ، وتخفضت عنها نتائج كان أهمها احتكار العرب - وخصوصاً قريش - للطريق التجاري المار عبر الحجاز^٢ وكذلك ازدياد مكانة قريش بين مائر العرب ، وذلك أنه لما " رد الله الحبشة عن مكة . . أعظمت العرب قريشاً ، وقالوا : هم أهل الله ، قاتل الله عنهم ، وكفاهم منونة عدوهم "^٣. وهكذا فبدلاً مما كان (أبرهة) يرغب فيه من إضعاف مكة ، أصبحت هزيمته فيها من عوامل ازدياد شهرتها^٤.

وفي ختام حديثنا عن حملة أصحاب الفيل ، نعود إلى ما كنا قد أشرنا إليه في مطلع حديثنا عن حملة (أبرهة) ، المذكورة في النقوش (Ry 506) ، من أن هناك من يخلط بين الحملتين ويجعلهما حملة واحدة ، اعتماداً على إغفال المصادر العربية للحملة المذكورة في النقوش ، وإغفال المصادر النقشية لحملة أصحاب الفيل ، إلى جانب قول المؤرخ البيزنطي بروكوبيوس ، بأن (أبرهة) لم يشن إلا حملة وحيدة ، لحو مناطق النفوذ الفارسية^٥.

ونحن نميل هنا إلى استبعاد ذلك الرأي ، وترجيح الرأي الآخر الذي يفصل بين الحملتين ، ويجعل كل منها حملة مستقلة بحد ذاتها وذلك وفقاً للمعطيات التالية .
- اختلاف تاريخ الحملتين ، فحملة النقوش ، تعود إلى عام (٥٤٧ م) ، بينما تعود حملة أصحاب الفيل ، إلى عام (٥٧٠-٥٧١ م)^٦.

Shahid I. Two Qur'anic Sūras - Alfil and Qurayṣ, studia Arabica et Islamica, Festschrift for Ihsān 'Abbās, edited by Wadād al-Qādi, American university of Beirut, 1981, pp. 433 - 434

^١ صحاب . إبلال قريش ، ص ٣٠ ، ٣١

^٢ حطاب . هتبع قريش ، ص ١٤

^٣ ابن هشام السيرة ، مج ١ ، ج ١ ، ص ٣٧

^٤ النبه البس القدم ص ٣٣

^٥ انظر ذلك الأراء في " لومينيس البس " إبان القرن الخامس ، لثلاثة الرئاسة ، ص ٢١

^٦ يعيد سدي سميت ، تاريخ دولة (أبرهة) إلى سنة (٥٦٩-٥٧٠ م) ، أي في وقت مقارب لتاريخ حملة أصحاب الفيل ، التي توفي أبرهة على إثرها (انظر : Events in Arabia, pp. 434)

- اختلاف أسماء الأماكن والقبائل والأعلام ، المشار إليها في مصادر كل حملة ، فنحن لم نجد في حملة النقوش ذكراً (لقريش) ، ومكة ، وذوي نقر الحميري ، أو نفيل الخثعمي . وهي أسماء ورد ذكرها في حملة الفيل ، وكذلك لم يرد ذكر في حملة الفيل للأسماء التي ذكرت في النقوش ، مثل معد ، وعامر بن صعصعة ، وحلبان ، وأبو جابر ، وبشر بن حصن^١ ، مما يدل على أن كل مصدر كان يتحدث عن حملة لا علاقة لها بالحملة الأخرى .

- الاختلاف في نتيجة كل حملة . فحملة النقوش عاد منها (أبرهة) سالماً ، بعد أن أخضع معد ، وعامر بن صعصعة ، وقدم له (عمرو بن المنذر) ، ابنه رهينة . بينما كانت نهاية حملة الفيل مأساوية ، بالنسبة لأبرهة ، حيث مات بعد عودته من الحملة^٢ .

أما إهمال المصادر العربية لحملة النقوش ، وعدم تسجيلها لها ، فلعل ذلك يعود إلى بُعد هذه الحملة عن مكة ، التي ركزت عليها المصادر العربية ، بسبب القداسة التي تتمتع بها ، خصوصاً أن هذه المصادر قد دوت بعد ظهور الإسلام^٣ . ومع ذلك فقد وجدنا في أبيات شعرية للمخبل السعدي^٤ ، ما قد يشير إلى حملة النقوش ، فالشاعر يذكر أن قومه قد ساندوا (أبرهة) ومكنوه من فتح باب حصن استعصى عليه في حلبان ، حيث قال :

وبوم أبي يكسوم والناس حضر
طوبنا لهم باب الحصين ودونه
على حلبان إذ تقضى مجامله
عزيز يمشي بالخراب مقاوله^٥

^١ توميس ، البس إيان لقرن السادس ، الحلقة الرابعة ، ص ٢١ ، ٢٢ .

^٢ الحمادي ، أنظمة التاريخ ، ص ١٥٦ .

^٣ سحاب ، إيلاف قريش ، ص ١٧١ .

^٤ للمخبل السعدي : شاعر فعل من حضرمي المذاهبة والإسلام ، وبني إلى قبيلة سعد عجم (انظر : الأصفهاني ، أبو الفرج ، الأغاني ، ج ١٢ ، بيروت ، ١٩٧٠ م ، ص ٤٠) .

^٥ علي ، الفصل ، ج ٣ ، ص ٤٩٧ . ويرى المؤلف أننا إما ما أعدنا بشعر المخبل السعدي هذا فإن قبيلة سعد المشاركة في الحملة المذكورة في النقوش ، هي سعد عجم . وليس سعد المشيرة ، كما ذهبنا أثناء تحليلنا للنقش .

وكذلك وردت إشارة لدى ابن الأثير^١، عند حديثه عن حروب (زهير بن جناب)^٢، وقوله إن زهيراً هذا ، قد ولاه (أبرهة) على بكر وتغلب ، " حين طلع إلى نجد " . ونحن نعرف أن حملة أصحاب الفيل ، إنما كانت وجهتها الحجاز ، ومكة بصفة خاصة أما ذهاب (أبرهة) إلى نجد ، لم يكن إلا في الحملة التي ذكرها النقوش .

وبالنسبة لعدم ذكر النقوش لحملة الفيل ، فإن ذلك ، قد يكون عائداً إلى الهزيمة النكراء التي تعرض لها (أبرهة) وجيشه وبالتالي فهو لن يقيم نصباً يخلد فيه هزيمته ، هذا إن كان لا يزال قادراً على إقامة مثل هذا النصب . ويجب أن نأخذ بعين الاعتبار ، أن النقوش اليمنية القديمة ، قد اختفت تماماً منذ هذا التاريخ ، ولم نعثرها على أي أثر بعد ذلك^٣ حيث أصبحت كتب الرواية العربية ، والشعر الجاهلي ، هي مصدرنا الوحيد عن تاريخ الفترة اللاحقة ، حتى ظهور الإسلام^٤ .

وفيما يخص عدم إشارة بروكوبيوس إلا إلى حملة وحيدة ، نحو مناطق شمال الجزيرة العربية ، فإن ذلك لا يعد دليلاً على واحدة الحملتين ، لكون بروكوبيوس لم يشير إلى الأحداث التالية لعام (٥٥٠ م) ، أي أنه لم يصل إلى العام الذي حدثت فيه حملة الفيل^٥ . ثم إن اهتمام بروكوبيوس كان منصفاً على الحملات الموجهة ضد مناطق النفوذ الفارسي ، ومكة لم تكن كذلك ، كما سبق وقلنا . وكذلك فإن الحملة التي نتحدث عنها النقش (Ry 506) ، قد وصفت بأنها الحملة الرابعة ، ومع ذلك لم يتحدث بروكوبيوس عن الحملات الثلاث السابقة لها ، لأنها لم تحتك بمناطق نفوذ الحيرة الموالية للفرس^٦ .

الكامل ، ج ١ ، ص ٣٠٠ .

^٢ سيأتي الحديث عن هذه الحروب ، في الفصل المخصص لأيام العرب .

^٣ "يسنون" قواعد النقوش العربية الجنوبية ، ترجمة / وصفت هرم ، إزميد ، ١٩٩٥ م ، ص ٦ .

^٤ كويشانوف ، الشمال الشرقي الأفريقي ، ص ١٨٤ .

^٥ "توسيد" اليس إبان القرون السادس ، الحلقة الرابعة ، ص ٣١ - سميناب . بيلاب . قريشي ، ص ١٦٨ .

^٦ يرى كويشانوف أن الحملات الثلاث السابقة للحملة الرابعة لأبرهة التي أشار إليها نقشه ، لم تكن من الأهمية بمكان ، وقد اصططبت بها قوات غير كبيرة من حلفاء (أبرهة) . لذلك أهمل ذكرها في هذا النقش دون تفصيل (انظر : الشمال الشرقي الأفريقي ، ص ١٣٨) .

في عهد يكسوم ومسروق ابني أبرهة :

تحكي المصادر العربية ، أن (أبرهة) قد مات مباشرة ، بعد عودته من مكة ، متأثراً بجراحه . فلما هلك ، ملك بعده ابنه (يكسوم) ، وبه كان يكنى ، فلما هلك ملك بعده أخوه (مسروق)^١ . وتشير بعض الدراسات أن يكسوم قد حكم مدة عامين بينما تولى مسروق العرش لمدة ثلاثة أعوام^٢ .

أما العلاقة التي ربطت جنوب الجزيرة بشمالها في عهديهما ، فحسن لا نعرف عنها شيئاً ، عدا ما ذكرته بعض المصادر من أن الأعراب كانوا جزءاً من الجيش الذي حارب به (مسروق ابن أبرهة) ضد (سيف بن ذي يزن) ، ومن معه من الفرس بقيادة (وهرز) ، حيث قُتل (مسروق) في المعركة ، وهزمت قواته^٣ .

^١ ابن هشام . السيرة ، مج ١ ، ج ١ ، ص ٤٠ . وتذكر غلغلا أن (مسروق) هنا هو (ستوركيس) المذكور في المصادر البيزنطية (انظر : جنوب الجزيرة موحداً ، ص ١٩٢) . أما المصادر النقشية فقد اختلفت قبل عهديهما كما سبق القول .

^٢ Smith Events in Arabias PP 459

^٣ ابن الأثير . الكامل ، ج ١ ، ص ٢٦٤ ، ٢٦٥ .

في عهد سيف بن ذي يزن:

تواصل المصادر العربية قصتها عن دخول الفرس إلى اليمن ، إثر قتلهم لسروق وهزعتهم لجيشه^١ . وتذكر أن الفرس ملكوا على اليمن (سيف بن ذي يزن) ، وفرضوا عليه إتاوة سنوية يؤديها لهم . وقد عمل (سيف) على قتل الأحباش ، ولم يترك منهم إلا القليل ، وخصوصاً رعاة الحراب ، الذين كانوا يسعون بين يديه^٢ .

ونعرف من المصادر العربية أن (عبد المطلب بن هاشم) ، قد وفد على (سيف بن ذي يزن) ، في وجوه من قريش ، ووجوه قبائل العرب ، من أجل قنتته ، بالصبر على الأحباش^٣ . وتذكرنا العبارات التي خاطب بها (عبد المطلب) الملك (سيف بن ذي يزن) ، بالقول الذي يذكر أن تباعة اليمن كانوا للعرب بمزلة الخلفاء للمسلمين^٤ . فقد خاطبه قائلاً : " أنت .. رأس العرب الذي به تقاد ، وعمودها الذي عليه العماد ، ومعقلها الذي يلجأ إليه العباد ، وربيعها الذي تخصب منه البلاد " . مما يدل على أن قبائل شمال الجزيرة ، كانت لا تزال تنظر لسيف بن ذي يزن ، بالنظرة نفسها التي نظرت بها من قبل للملوك الحميريين ، الذين حكموا اليمن بصورة مستقلة عن أي قوة خارجية ، وكان لهم نفوذ سياسي وعسكري ، في مناطق شمال الجزيرة . ويرى الدارمون المحدثون أن هذه الرياسة — التي ذكرت المصادر أن (عبد المطلب) قد قام بها لسيف بن ذي يزن بصحبة زعماء قريش والقبائل العربية الأخرى — ممكنة ومرححة ، نظراً للمصالح التجارية والسياسية التي كانت تربط بين الطرفين . خاصة وهذه الزيارة تأتي بعد النصر الذي حققه (سيف بن ذي يزن) على الأحباش ، الذين حاولوا قبل سنوات قليلة من هذا الحدث غزو مكة ، وهدم الكعبة . ولذلك فقد قوبل طرد الأحباش من اليمن بالفرح الشديد ، من قبل القبائل

كان ذلك في عام (٥٧٥ م) تقريباً Kister The Campaign , PP 425 – Smith, opcit, PP 435 ويكتسب البعض مع هذا التاريخ تقدماً وتأسراً ، فضلاً عن يرى يفتيه ان ذلك كان في عام (٥٧٢ م) (البس القدم ، ص ١٦٩) بينما يرى كويشيتوف إرجاعه إلى الفترة الواقعة بين عامي (٥٧٥-٥٧٧ م) (الشمال الشرقي الأثري ، ص ١٨٨)

^٢ ابن الأثير . الكامل ، ج ١ ، ص ٢٦٥ .

^٣ الحميري . ملوك حمير ، ص ١٥٢ .

^٤ المصدر نفسه ، الصفحة نفسها

^٥ المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .

العربية الشمالية ، بما فيها قریش ، حيث توافد رؤوس هذه القبائل على (سيف بن ذي يزن) يهتونه بهذا الظفر الكبير^١ .

أما عن علاقة اليمن — في عهد سيف بن ذي يزن — بدولتي المناذرة والغساسنة ، فلم توافنا المصادر بشيء عن ذلك ، وما إذا كانت وفودهما من ضمن الوفود المهنة لسيف أم لا . إلا أننا يمكن أن نفترض أن العلاقة مع دولة المناذرة كانت حسنة ، نظراً لأن المناذرة هم وسطاء سيف بن ذي يزن إلى كسرى^٢ ، إلى جانب أن كلا الدولتين أصبح يجمعهما الولاء للدولة الفارسية ، التي غدت بذلك تمد نفوذها على معظم مناطق الجزيرة العربية .

أما بخصوص العلاقة مع دولة الغساسنة ، فنحن لا نستبعد أيضاً حسن العلاقة معها ، ونعتمد في ذلك على ما يرجحه البعض من أن (سيف بن ذي يزن) كان يعتقد الديانة المسيحية^٣ . أي أنه وإن كان يشترك مع المناذرة في الولاء للفرس إلا أنه يشترك مع الغساسنة بوحدة العقيدة . ويذكرنا هذا بالموقف المتوازن لأبرهة ، الذي حرص في بداية عهده ، على إقامة علاقات طيبة مع المناذرة والفرس ، رغم أنه كان حليفاً للبيزنطيين .

وقد انتهت حياة (سيف) على يد حراسه الأحباش ، الذين ضربوه بحراهم حتى قتلوه^٤ . ويذكر ابن الأثير^٥ أن ملك (سيف) قد امتد خمس عشرة سنة . ونحن هنا لا نستطيع موافقته على ذلك ، لكون أهل الأخبار — ومنهم ابن الأثير — يجمعون على أن (سيفاً) ، قد قتل في عهد كسرى ، الذي أمده بالعون ، أي في عهد

^١ سحاب : إيلاف قریش ، ص ١٢٩ — مهراک - محمد بیومي - مصر والنسب الأولی القديم ، ج ٧ ، الخصاره العربیه القديمه ،

الاسکندریه (دون تاریخ) ، ص ٢٠٩ — کویشانوف ، الشمال الشرقي الأفريقي ، ص ١٨٨

^٢ الحميري . ملوک حمير ، ص ١٥٠ — ابن هشام . السيره ، مج ١ ، ج ١ ، ص ٤٠ .

^٣ عن مسیحیه سیم . انظر . کویشانوف . الشمال الشرقي الأفريقي ، ص ١٨٦ .

^٤ ابن الأثير . الکامل ، ج ١ ، ص ٢٦٥ .

^٥ المصدر نفسه . الصفحه نفسها .

^٦ المصدر نفسه ، الصفحه نفسها .

(خسرو الأول) ، الذي انتهى حكمه عام (٥٧٧ م) على رأي^١ ، وفي عام (٥٧٩ م) على رأي آخر^٢.

أي أن حكم (سيف) لا يمكن أن يزيد على أربع سنوات ، حسب أعلى التقديرات ، وقد تكون أقل من ذلك بكثير ، فقد جاء عند الأزرقي^٣ أن المدة التي حكم فيها (سيف) كانت أقل من عام . بل إن ابن الأثير^٤ نفسه يذكر أن سيفاً قد مكث غير كثير . وخمس عشرة سنة لا يقال عنها بأنها " غير كثير " . ولعل المدة القليلة التي حكم فيها (سيف) هي التي جعلت ابن هشام^٥ يسقطها أثناء حديثه عن (سيف) . حيث يتوقف في حديثه عنه عند وصوله مع الفرس إلى اليمن ، ثم يذكر بقاء (وهرز) والفرس في اليمن ، بعد النصر على الأحباش ، من غير أن يورد أي ذكر لسيف بن ذي يزن .

في عهد الولاة الفرس :

تذكر المصادر العربية أن الأحباش بعد أن قتلوا سيف بن ذي يزن ، وثب رجل منهم ، فقتل وأفسد في اليمن^٦ ، فلما بلغ ذلك كسرى (خسرو الأول) ، بعث إليهم قائده (وهرز) مرة أخرى ، بجيش فارسي ، تمكن من فرض السيطرة الفارسية على اليمن . فأقره كسرى والياً على اليمن^٧ . لتصبح اليمن بذلك صاحبة المركز الرابع بين الولايات الفارسية^٨ . حيث تعاقب عليها — بعد وهرز — ثلاثة ولاة فرس حسب

^١ بيغولسكي . العرب على حدود بزنطة ، ص ١٤٩ .

^٢ ولر . دونالد . إيران ملخصها وحاضرها ، ترجمة / عبد النعيم محمد حسين ، القاهرة — بيروت ، ١٩٨٥ م ، ص ٤٣ .

^٣ أخبار مكة ، ص ١-٢ .

^٤ التكميل ، ج ١ ، ص ٢٦٥ .

^٥ السيرة ، مج ١ ، ج ١ ، ص ٤٠ ، ٤٣ .

^٦ يرى كويشاموف أن هذا الرجل هو (مسروق بن أرمه) ، وأن الحملة الفارسية الأولى ، التي ساندت (سيف) إنما كانت ضد أخيه (يكسوم) ، معارضةً بذلك المصادر العربية ، التي سبق وأشرت إلى قولها أن (يكسوم) و (مسروق) قد حكما اليمن قبل (سيف بن ذي يزن) . (انظر : الشمال الشرقي الأفريقي ، ص ١٨٨ ، ١٩٠ م . أما نولدكه ، فيذكر أن الأحباش بعد اصيافهم لسيف نصبوا رجلاً كهلاً من بينهم لقب به " أرمه الثاني " . (انظر : Noldeke. T. Geschichte der perser und Araber zur zeit sassaniden, Leiden, 1978, PP 236-237)

^٧ ابن الأثير . التكميل ، ج ١ ، ص ٢٦٥ .

^٨ الشجاع ، اليمن في صدر الإسلام ، ص ٢٧ .

أرجح الآراء ، هم : (المرزبان بن وهز) ثم (التينجان ابن المرزبان) ، وأخيراً (باذان) الذي تحولت اليمن في عهده من ولاية فارسية إلى ولاية في الدولة الإسلامية الناشئة^١ .

ومخصوص العلاقات التي ربطت بين جنوب الجزيرة وشمالها ، في عهد الولاة الفرس . سنلاحظ أن الوالي الفارسي في اليمن ، أصبح يرسل القوافل من صنعاء إلى المدائن ، ويستقبل القوافل التي تأتيه من هناك^٢ . كما أخذ ملوك الحيرة يرسلون بلطانهم (قوافلهم) إلى اليمن ، للبيع والشراء . وقد أثر كل ذلك في تجارة أهل مكة أثراً كبيراً ، حيث انتزع الفرس وملوك الحيرة من أيديهم قسماً من أرباحهم^٣ .

وسيقودنا ذلك إلى الحديث عن حرب الفجار^٤ الثانية ، التي تعيد المصادر العربية سبب اشتعال شرارتها الأولى إلى قتل البراض بن قيس الكناني ، حليف حرب بن أمية القرشي ، لعروة الرحال — الذي ينتمي إلى هوازن ثم إلى قيس عيلان — خفيظ لطيمة (قافلة) (النعمان بن المنذر)^٥ ملك الحيرة ، المتوجهة إلى سوق عكاظ^٦ .

وقد أدخلنا الحديث عن هذه الحرب ضمن هذه الفترة ، نظراً لما يراه البعض من أن الوجهة الحقيقية للقافلة ، إنما كانت بلاد اليمن ، وأن الهجوم الذي وقع عليها كان بتحريض من قريش ، بغرض الإضرار بالفرس ، وحلفائهم المناذرة ، ولتخويف القوافل التي صارت تسلك — في ذهابها إلى اليمن — طريق الطائف ، متجنباً بذلك طريق مكة^٧ .

والمنذر

^١ ابن هشام ، السيرة ، مع ١ ، ج ١ ، ص ٤٣ — ابن الأثير . الكامل ، ج ١ ، ص ٢٦٥ .

^٢ الشجاع ، اليس في صدر الإسلام ، ص ٢٧ ، ٢٨ .

^٣ علي . المفصل ، ج ٤ ، ص ١١٥ .

^٤ كانت هذه الحرب بين قريش وكنانة من جهة ، وقيس عيلان — خصوصاً هوازن — من جهة أخرى ، وقد سميت بالفعل لأن كانت في الأشهر الحرم التي يحرم العرب القتال فيها . فلما خرج المنذر بن قيس على شريعة العرب ، كانوا عاجزين بذلك وهي شعار . الأول ثلاثة أيام وأسابها عتقه ، والثاني خمسة أيام اسدب خلال الأعراس الواقعة بين هاشم (٥٨٥-٥٨٩ م) في كل عام يوم . أما أسابها فاستشارتها في المنى (انظر : حاد القولي . محمد أحمد (وآخرون) . أيام العرب في الجاهلية ، دار الفكر (دون تاريخ) ، ص ٣٢٢ — الأصمعي . سعيد . أسواق العرب في الجاهلية والإسلام ، القاهرة ، ١٩٩٣ م ، ص ١٦٣) .

^٥ حكم النعمان بن المنذر بين هاشم (٥٨٣-٦٠٥) تقريباً . (ساء . السيد عبد العزيز . دراسات في تاريخ العرب ، ج ١ ، تاريخ العرب قبل الإسلام ، الاسكندرية ، (دون تاريخ) ، ص ٢٤٣ .

^٦ ابن الأثير . الكامل ، ج ١ ، ص ٣٥٩ — انظر أيضاً : العقيلي . سوق عكاظ في التاريخ ، قفيا ، ١٩٨٤ م ، ص ٤٠-٤٩ .

^٧ علي . المفصل ، ج ٤ ، ص ١١٥ — سعاد . ليلائف قريش ، ص ٣١١ .

القوافل التي صارت تسلك — في نهجها — إلى اليمن — طريق الطائف ، متجهة بذلك طريق مكة^٢.

ويذهب البعض إلى أن القافلة التي أشعلت حرب الفجار الثانية إنما كانت لوهرز ، حاكم اليمن الفارسي . وكانت متجهة من اليمن إلى بلاد الفرس ، وكانت في جوار رجل من أشراف العرب ، من قيس . حيث اعتدت عليها قبيلة كنانة ، أثناء مرورها بطريق الحجاز ، مما أدى إلى اشتعال حرب الفجار الثانية ، بين قيس وكنانة^٣.

وقد كانت معارك الأيام الخمسة لحرب الفجار الثانية تشتعل في موعد انعقاد سوق عكاظ ، وكانت الغلبة في هذه الأيام لقيس على قريش وكنانة ، عدا اليوم الرابع ، الذي كان لقريش وكنانة على قيس . وقد تداعى الفريقان إلى السلم ، بعد انقضاء اليوم الخامس والأخير ، على أن يذروا الفضل في الدماء ، والأموال ، ويتعاهدوا على الصلح^٤.

ولعل الرأي الأخير، الذي يجعل اشتعال حرب الفجار بسبب الاعتداء على قافلة (وهرز) ، يذكرنا بحادثة أخرى ، ويوم آخر من أيام العرب ، قامت بسبب الإعتداء على قافلة فارسية أخرى ، كانت متوجهة من بلاد الفرس إلى بلاد اليمن . وهو اليوم الذي عرف بيوم الصفقة^٥. وكان بعد مبعث النبي ﷺ ، وقبل هجرته إلى يثرب^٦. أي في العقد الثاني من القرن السابع الميلادي ، على وجه التقريب .

وكانت قوافل كسرى^٧ الذاهبة إلى اليمن ، تسير من المدائن ، ومن ثم تدفع إلى (النعمان ابن المنذر) بالحريرة ، و (النعمان) يسيرها كخفراء من بني ربيعة حتى تدفع

^٢ مصنف في تاريخ العرب ، ج ٤ ، ص ١٩٥ — تصانيف : إيلانة غوبلين ، ص ٣٦١ — علي ، الفصل ، ج ٣ ، ص ٥٢٧ .

^٣ حجاج المولى (وآخرون) ، أيام العرب ، ص ٣٢٦-٣٢٧ — الأقباني ، أسواق العرب ، ص ٦٩-٧٩ .

^٤ سمي هذا اليوم يوم الصفقة ، لأن كسرى أصغى الباب على بني تميم في حصن المشقر ، ويسمى كذلك يوم المشقر ، والمشقر حصن بالبحري . (حجاج المولى (وآخرون) ، أيام العرب ، ص ٢ .

^٥ ابن الأثير ، الكامل ، ج ١ ، ص ٣٧٩ .

^٦ المقصود بكسرى هنا هو كسرى أنوشروان (خسرو الثاني) ، الذي حكم بين عامي (٥٩٠-٦٢٦ م) (يعقوبسكي ، العرب على حدود بيزنطة ، ص ١٤٩) .

يتوانون عن معاقبة هذه القبائل بطريقة أو بأخرى ، في حال تهديدها للمصالح الفارسية ، في جزيرة العرب .

ونختم حديثنا عن العلاقات بين جنوب الجزيرة وشمالها ، في عهد الاحتلال الفارسي لليمن ، بالإشارة إلى تلك الأحداث التي دارت بين الرسول ﷺ ، و (باذان) الوالي الفارسي الأخير على اليمن ، والتي انتهت بإسلام الأخير ، ودخول اليمن في إطار الدولة الإسلامية الناشئة .

وبهذا الصدد يذكر البعض أن إحدى مهام الوالي الفارسي في اليمن ، كانت هي مراقبة الأوضاع في كل الجزيرة العربية ، وإرسال التقارير عن كل شيء يدور فيها . وكان من ضمن تلك التقارير هو ذلك التقرير ، الذي أرسله (باذان) إلى كسرى (خسرو الثاني) ، يخبره فيه بظهور النبي ﷺ ، وهو ما يزال مستخفياً في مكة ، في السنة الرابعة للبعثة تقريباً . ولم تبين لنا المصادر ما هو رد كسرى على ذلك التقرير ، وقد لا يكون رد عليه ، لظنه أنه حدث عابر ، لا يحتاج إلى اهتمام . خاصة بعد ما جاء في التقرير عن قلة شيعته ، ومعاودة معظم العرب له^١ .

وقد تصاعدت الأحداث ، عندما بعث الرسول ﷺ برسائله إلى كسرى ، يدعوه إلى الإسلام — ضمن الرسائل التي وجهها إلى كل زعماء العالم في ذلك الوقت — فما كان من كسرى إلا أن مزق رسالة الرسول ﷺ . وطلب من (باذان) أن يرسل من يحضر إليه رسول الله ﷺ . حيث أخبرهم الرسول الكريم بمقتل كسرى . وعندما وصلت الأخبار إلى (باذان) بصدق ما قاله الرسول ﷺ ، دخل في الإسلام . وكان ذلك في السنة السابعة للهجرة^٢ . وبذلك أصبحت اليمن جزءاً من الدولة العربية الإسلامية ، لتبدأ مرحلة جديدة من تاريخ الجزيرة العربية ، في ظل الدين الجديد .

^١ الشصاح . اليس في صدر الإسلام ، ص ٢٨ ، ٩٧ ، ٩٨ .

^٢ المصدر نفسه ، ص ١١٩-١٢٣ — الغزالي . محمد . فقه السيرة ، القاهرة ، ١٩٧٦ م ، ص ٣٨٨ ، ٣٨٩ .

الفصل الثالث

دولة كندة في دهرها الثاني
وعلاقتها باليمن

تمهيد :

كنا قد تحدثنا عن ظهور نقوش تتحدث عن كندة — في دهرها الأول — منذ القرن الأول الميلادي تقريباً . وقد عرفنا من تلك النقوش بعض أسماء ملوك كندة ، خلال هذه الفترة مثل : (ربيعة آل ثور) ملك كندة وقحطان (Ja 635) ، المعاصر للملك السبي (شاعرم أوتر) من مطلع القرن الثالث الميلادي ، و (مالك بن بد) ملك كندة ومذحج (Ja 2110) ، الذي عاصر الملك السبي (إيل شرح يحضب) وأخيه (يازل بن) منتصف القرن الثالث الميلادي^١ . حيث أصبحت كندة في هذه الفترة تابعة للدولة السبية ، وأصبحت العلاقة التي ربطت بين الطرفين مشابهة لتلك العلاقة التي كانت تربط البراء ، وتدمر ، بالدولة الرومانية ، والعلاقة التي كانت تربط دولة الحضر بالدولة القروية (الفارسية)^٢ .

ويعتقد أن قبيلة كندة قد طُردت — مع قبيلة مذحج — من منطقة وسط الجزيرة العربية ، في مطلع القرن الرابع الميلادي . على يد (امرؤ القيس بن عمرو)^٣ صاحب نقش النمارة (RES 483) والمؤرخ بعام (٢٢٣ من تاريخ بصرى) أي سنة (٣٢٩/٣٢٨ للميلاد)^٤ ، المعاصر للملك الحميري (شمر يهرعش) ، حيث استقرت في مواطنها الجديدة ، في جنوب الجزيرة . وكان نصيب كندة الاستقرار في حضرموت اليمن ، بين واديي العبر ودوعن ، فيما عرف بعد ذلك بديار كندة^٥ . وأصبحت تمثل أبرز مكونات الجيش البدوي ، التابع للدولة الحميرية . (Ja 660 , Ir32)^٦ .

والملاحظ على المصادر العربية أنها قد أهملت تماماً كندة في دهرها الأول ، ولم تتحدث عن شيء مما ذكرته عنها النقوش اليمنية القديمة . وبدأت حديثها عن هذه

^١ أبو العيث . العلاقة ، ص ٥٧ ، ٥٨ .

^٢ مافقيه . السعيدة ، ج ١ ، ص ٣٤ — عبد الله . ثوراني ، ص ٢٨٣ .

^٣ عبد الله . أوراق ، ص ٢٧٤-٢٧٧ .

^٤ لمزيد من التفاصيل عن كندة في دهرها الأول ، وطبيعة العلاقة التي ربطتها مع اليمن خلال هذه الفترة ، انظر (أبو العيث .

العلاقة ، ص ٥٤-٦٢ ، ٦٨-٧١ ، ٨٤ ، ٨٩ ، ٩٧-١٠٠) .

الدولة ، ابتداء بعهد ملكها (حجر بن عمرو) مؤسس دولة كندة ، في دهرها الثاني^١ . ومع ذلك فنحن يمكن أن نستشف مما جاء في بعض هذه المصادر إشارات إلى كندة في دهرها الأول . وذلك من خلال حديثها — بصورة مجملة — عن ملوك كنديين ، حكموا قبل حجر بن عمرو (آكل المرار) وهم : (مُرتع بن معاوية بن ثور) ثم (ثور بن مرتع) ثم (معاوية بن ثور) ، الذي خلفه على عرش كندة (حجر بن عمرو)^٢ . حيث يلاحظ أن هؤلاء الملوك يجمعهم الانتساب إلى (ثور) مع الملك (ربيعة آل ثور) ملك كندة المعاصر للملك السبئي (شاعرم أوتر)^٣ .

وقبل أن نبدأ الحديث عن كندة في دهرها الثاني ، نبه أننا لن نكون معنيين هنا بتقديم دراسة شاملة ، متكاملة ، لدولة كندة ، في دهرها الثاني ؛ بقدر عنايتنا بتبع العلاقة التي ربطت دولة كندة بالملكة الحميرية ، والدور الذي قام به الكنديون في امتداد النفوذ الحميري ، نحو مناطق شمال الجزيرة العربية . على اعتبار أن التوسع الكندي في تلك المناطق كان يشكل بصورة أو بأخرى امتداداً للنفوذ الحميري هناك . علماً بأن اقتصرنا على دراسة العلاقة المشار إليها لن يمتنعنا من التوسع في الحديث عن الفترات الغامضة من تاريخ كندة ، في محاولة منا لإجلاء ذلك الغموض قدر المستطاع . حتى يكون حديثنا عن العلاقات بين الجانبين مبني على معلومات واضحة ، ومؤكدة قدر الإمكان .

في عهد حُجر بن عمرو (آكل المرار) :

نصل بعد هذه اللمحة — عن كندة في دهرها الأول — إلى عهد حجر بن عمرو (آكل المرار)^٤ ، مؤسس الدولة الكندية في دهرها الثاني . وتأتي معلوماتنا عن كندة

^١ مثلاً : ابن الأثير الكامل ، ج ١ ، ص ٣٣٩ .

^٢ البقولي : أحمد بن أبي يعقوب . تاريخ يعقوب ، ج ١ ، بيروت ، ١٩٦٠ م ، ص ٢١٦ .

^٣ عن لأوضاع السبئية والخصارية لدولة كندة في دهرها الأول ، وعاصمتها (قرية) انظر : (الأضراري . أحواء جديدة على كندة من خلال آثار قرية العاد ونقوشها ، مصادر تاريخ الجزيرة العربية ، ج ١ ، الرياض ، ١٣٩٩ هـ ، ص ٨٤٩ — قرية العاد صورة لتحصنها الحميرية قبل الإسلام ، الرياض ، ١٩٨٢ م ، ص ٢١ - ٢٧) .

^٤ تظل معلوماتنا عن الملوك الذين حكموا قبل (آكل المرار) قليلة جداً ، ولا يمكننا من استنباط مادة تاريخية منها . (الشيبه . العرب القديم ، ص ٢١٤) . ويرى أولندر أننا لا يمكن أن نسمي كندة بالملكة في عهدهم ؛ لأنهم لم يكونوا إلا رعاة قبيلة من القبائل ، مهما بلغوا من القوة . (ملوك كندة ، ص ٩٦) .

في هذا العصر — في معظمها — من المصادر العربية . حيث سكنت عنها المصادر النقشية . وقد أدى ذلك إلى الاضطراب في تدوين التاريخ الكندي ، بسبب تضارب المصادر فيما بينها ، وإيرادها لروايات متباينة ومتناقضة في أحيان كثيرة . وفي محاولة للخروج من تلك الاشكالية ، فإننا سنعمل — ما أمكن ذلك — على ترجيح الروايات التي نرى صحتها ، عن طريق المقارنة ، بين روايات المصادر العربية نفسها ، ومن ثم مع المصادر التاريخية الأخرى ، التي أشارت إلى تاريخ دولة كندة ، بصورة أو بأخرى . وسنستعين في ذلك بآراء الدارسين الذين بذلوا جهداً للوصول إلى آراء — عن تاريخ كندة — تتوافق مع الواقع التاريخي .

وهذا الخصوص ، نجد أن المصادر العربية ، تذكر أن الملوك الحميريين ، هم الذين أقاموا دولة كندة ، بقيادة ملكها (حجر بن عمرو) . فقد جاء عند ابن الأثير^١ مثلاً أن " سفهاء بكر قد غلبوا على عقلائها... وأكل القوي الضعيف ، فنظر العقلاء في أمرهم ، فرأوا أن يملكوا عليهم ملكاً يأخذ للضعيف من القوي . فنهاهم العرب ، وعلموا أن هذا لا يستقيم بأن يكون الملك منهم ، لأنه يطيعه قوم ، وبخالفه آخرون . فساروا إلى بعض تبابعة اليمن ، وكانوا للعرب بمنزلة الخلفاء للمسلمين ، وطلبوا منه أن يملك عليهم ملكاً ، فملك عليهم حجر بن عمرو (آكل المرار) ، فقدم عليهم ونزل ببطن عاقل"^٢ .

وهكذا نرى أن هذه الرواية قد قصرت ملك (حجر) على بكر فقط ، بينما تجعله رواية أخرى ملكاً على معد كلها ، التي عيه تبع ملكاً عليها ، أثناء نزوله بأرضها ، وهو في طريقه إلى أرض العراق^٣ . ونجد الإشارة إلى أن هناك بعض المصادر

^١ الكامل ، ج ١ ، ص ٣٠٤ .

^٢ ابن عاقل " موقع سجد ، حوب وادي الرمة ، بين مكة والحيرة ، أتي فيما بعد — (عمر كندة) ، (برو . تاريخ العرب القديم ، دمشق ، ١٩٨٢ م ، ص ١٥٣) .

^٣ ابن خلدون . العمر ، ج ٢ ، بيروت ، ١٩٦٥ م ، ص ٥٦٩ .

قد أوردت القصة نفسها التي أوردها ابن الأثير ؛ ولكن مع ابدال اسم (حجر) بحفيده (الحارث بن عمرو)^١ .

والملاحظ على المصادر العربية أنها قد اختلقت حول اسم التبع اليماني (الملك الحميري) ، الذي جعل (آكل المرار) ملكاً ، وإن كان أغلبها يذكر أنه (حسان بن تبع)^٢ ، وهو ما تؤكدته أغلب الدراسات الحديثة^٣ . ولكن هذه الدراسات سرعان ما تقع في خطأ تاريخي ، عندما تذكر أن تولي حجر على معد ، كان في عام (٤٨٠ م) من غير دليل تاريخي واضح^٤ . وذلك أمر لا يستقيم مع المعطيات التاريخية ، التي تؤكد أن حسان بن تبع (حسان يهامن بن أبي كرب أسعد) قد عاش في النصف الأول من القرن الخامس الميلادي^٥ .

وتذكر المصادر البيزنطية أن الكنديين قد تمكنوا من انتزاع جزيرة يوتابه (تيران)^٦ ، من أيدي البيزنطيين عام (٤٧٣ م) ، بقيادة أحد قادهم المسمى أمورقس (امرؤ القيس)^٧ . فكيف يتزع الكنديين هذه الجزيرة من البيزنطيين عام (٤٧٣ م) إذا كانت دولتهم لم تقم في شمال الجزيرة إلا في عام (٤٨٠ م) ، أي بعد سيطرتهم على الجزيرة البيزنطية بسبع سنوات .

إلى جانب ذلك فقد جاء في المصادر العربية أن (حجراً) عاش حتى أصابه الحرف^٨ . الأمر الذي يعني أن مدة حكمه كانت طويلة . وذلك لا يتفق مع سياق الأحداث فيما إذا قلنا أن (حجراً) قد تولى الملك على المملكة الكندية في شمال

^١ ابن عبد ربه ، العقد الفرید ، ج ٥ ، القاهرة ، ١٩٦٥ م ، ص ٢٢٢ . ويرجح أولئك هذه الرواية ، ويرى أن يستلزمها (حجر) إما بأن في إطار الحلف الذي حدث في المصادر العربية بين الرحيب - حراً لما كان لأحدهما من شأن بمثل شأن الآخر . فالأول هو مؤسس الدولة الكندية ، والثاني عيى بعدها (ملوك كنده ، ص ٩٦)

^٢ عن اختلاف المصادر في تحديد اسم هذا تبع ، ويرجح بعضها لاسم (حسان بن تبع) (انظر : كولنجر ، ص ٧٢-٧٥)

^٣ مثلاً : حبي . تاريخ العرب ، ص ١٢٦ - هجو ، العرب قبل الإسلام ، ص ١٣٤ - بزو . العرب القديم ، ص ١٣٥

^٤ حبي ، ص ١٢٦ - هجو ، ص ١٣٥ - بزو . ص ١٣٥

^٥ إن كان ثلث الملك عهد منفرد - كما هو مرجح - فلا بد أن يكون قبل عام (٤٤٩ م) الذي توضح به أقدم ما حتر عنه من نقوش أمية مثلث (شرحيل بصر) التالي له . (انظر : الفصل الأول ص ١٥ ، ١٨)

^٦ تقع جزيرة تيران في المضيق الذي يحمل اسمها ، ويعمل عليه القبة عن بقية البحر الأحمر

^٧ انظر ذلك في ' يغوليفسكا ' العرب على حدود بيزنطة : أما امرؤ القيس المذكور هنا فليس هو المعروف من يكون . ولكنه بالتأكيد غير امرؤ القيس من حجر بن الحارث ، الشاعر المعروف الذي ظهر في وقت متأخر (انظر . ص ٨٩ من هذا الفصل)

^٨ البعدي . محمد بن حبيب كتاب المحرر ، بيروت (دون تاريخ) ، ص ٣٦٩

الجزيرة عام (٤٨٠ م) . لأننا نعرف أن حفيده (الحارث بن عمرو) قد بدأ حكمه عام (٤٩٠ م)^١ . ونحن بذلك سوف نجمع حكم (حجر) ، وحكم ابنه عمرو (المقصور) في مدة لا تتجاوز عشر سنوات . وذلك أمر لا يتفق مع ما ذكرناه من أن العمر قد طال بالملك (حجر) حتى أصابه الخرف .

والذي يغلب على الترجيح أن المعطيات السابقة تؤكد الرأي القائل بأن حجرأ (آكل المرار) قد نُصب ملكاً على كندة في منتصف القرن الخامس الميلادي^٢ . بل إنها قد تؤكد ذلك الرأي الذي يعيد قيام دولة كندة — على يد آكل المرار — إلى أواخر الربع الأول من القرن الخامس الميلادي ، إبان حملة الملك (أبي كرب أسعد) وابنه (حسان يهأمن) المذكورة في النقوش (Ry 509)^٣ . وبالتالي فإن عام (٤٨٠ م) قد يكون هو عام وفاة (حجر بن عمرو) وليس عام توليه الحكم ، وتكون السنوات الفاصلة بين تاريخ وفاة (حجر) وتاريخ تولي (الحارث) هي السنوات التي حكم خلالها عمرو (المقصور) .

وعود إلى حجر (آكل المرار) ، فقد جاء في المصادر العربية ، أنه بعد أن نزل في بطن عاقل ، أغار بقبيلة بكر ، فانتزع ما كان بأيدي اللخمين من أراضي بكر^٤ . وقد قام أيضاً بحملات توسعية في أطراف نجد ، فهاجم قبائل الحجاز ، وجهات البحرين ، وبسط نفوذه على اليمامة^٥ .

^١ أوسدر . ملوك كندة ، ص ١١٥ ، ١٠٠ — يميلفسكي . العرب على حدود بيزنطة ، ص ١٨٣ — هيو . العرب قبل الإسلام ، ص ١٣٥ . ويرى البعض أن حكم (الحارث) قد بدأ عام (٤٩٥ م) — سطر : (حافل . بيه . تاريخ العرب القديم وعصر الرسول ، بيروت — ١٩٨٣ م ، ص ٢١٢ — جليان . مجتمع قريش ، ص ١٥)

^٢ أوسدر . ملوك كندة ، ص ٧٠ — صيف . شوقي ، تاريخ الأدب العربي ، ج ١ ، العصر الجاهلي ، القاهرة ، ١٩٩٦ م ، ص ٢٣٢ .

^٣ يميلفسكي . العرب على حدود بيزنطة ، ص ١٦٥ — نروفسكي . أسعد الكامل ، ص ٦٦

^٤ ابن الأثير . الكامل ، ج ١ ، ص ٣٠٤ . ولكن مع الأسف الشديد لم نحدد لنا هذه المصادر اسم الملك اللخمي المعاصر لحجر ، وهو الأمر الذي كان سيمنحنا من تحديد زمن الملك (حجر) بصورة دقيقة إلى حد كبير .

^٥ العلي . صالح أحمد . محاضرات في تاريخ العرب . ج ١ ، بغداد ، ١٩٥٥ م ، ص ٦٩ .

وتحدثنا المصادر العربية عن صدام مسلح وقع بين (آكل المرار)^١ ، و (زياد بن الهبولة) ملك الشام ، الذي ينتمي إلى قبيلة سليح الضجعية القضاعية ، في موقعة أطلق عليها (يوم اليردان)^٢ . وكان سبب ذلك الصدام هو هجوم (زياد) على عمر ذي كندة ، وانهابه لأموال (حجر) ، وسبه لبعض نسائه ، مستغلاً انشغال (حجر) ومن معه بغزو البحرين^٣ . مما جعل (حجراً) يعود من غزوته ، ويلحق بزباد ، ويصطدم به في (اليردان) في موقعة انتهت بمقتل (زياد) ، وعودة (حجر) إلى بلاده منتصراً^٤ .

ويرى البعض أن السبب الحقيقي لهذا الصدام إنما يعود إلى رغبة الكنديين في تثبيت أقدامهم بمنطقة الحدود الشمالية ، التي لم يكن لها أن تتم إلا على حساب الضجاعة ، ولهذا قاموا بمهاجمة قبيلة سليح الضجعية . إلا أن الذي وضع حداً للضجاعة ليس الكنديين ، بل الفساسنة خلفاء الضجاعة في بلاد الشام^٥ .

وتجدر الإشارة هنا إلى أن المصادر العربية قد اختلفت في اسم الشخص السذي اصطدم بحجر الكندي في يوم اليردان . ونسبه بعضهم إلى غسان ، على خلاف فيما بينهم ، فمن يكون ذلك الغساني^٦ .

ونحن هنا نستبعد ذلك ، لأن الملوك الأوائل من الفساسنة لم يبدأ حكمهم إلا في مطلع القرن السادس الميلادي^٧ .

^١ يجعله البعض بين (زياد بن الهبولة) و (الحارث بن عمرو) حفيد (حجر) (انظر - ابن هشام - السيرة ، مج ١ ، ج ٤ ، ص ٣٣٣) ولكن الأرجح هو ما أثبتناه لأن عهد الحارث يأتي في فترة متأخرة ، وقد سبق أن قلنا أن المصادر العربية قد خلطت بين (حجر) وحبيده (الحارث) .

^٢ اليردان : مكان بالقرب من عين أباغ . وعين أباغ ولد وروء الأمار ، على طريق الفرات إلى الشام . (ابن الأثير . الكامل ، ج ١ ، ص ٣٠١ - بك (وآخرون) . أيام العرب ، ص ٥١) .

^٣ يرى البعض أن الغزو كان في عُمان (عاقل . العرب القديم ، ص ٢١٠) .

^٤ ابن الأثير . الكامل ، ج ١ ، ص ٣٠١-٣٠٣ - بك (وآخرون) . أيام العرب ، ص ٤٢ ، ٤٥ .

^٥ يميلونيكيا . العرب على حدود بيزنطة ، ص ١٦٦ ولا يستبعد هنا أن يكون لصدام كندة مع سليح - الموالية للبيرونيين - علاقة بما سبق ذكره من انتزاع الكنديين بحريرة بونابه (تيران) من أيدي البيرونيين .

^٦ عن ذلك الخلاف انظر : (علي - الفصل ، ج ٣ ، ص ٣٢٧ ، ٣٢٣) .

^٧ يميلونيكيا . العرب على حدود بيزنطة ، ص ٢٥٤ - هير . العرب قبل الإسلام ، ص ١٢٤ .

في عهد عمرو بن حجر (المقصور)

بقي (حجر) مطاعاً في مملكته ، نظراً لحسن سيرته بين رعاياه ، فلما مات دفر في بطن عاقل . وصار ابنه عمرو — المعروف بالمقصور — ملكاً من بعده . وتولى أخوه (معاوية بن حجر) — المعروف بالجون — على الإمامة^١ .

أما سبب تلقب (عمرو) بالمقصور ، فذلك لأنه قصر على ملك أبيه ، ولم ينجح في أن يزيد شيئاً على رقعة المملكة ، التي ورثها عن أبيه . وغالب الظن أنه أكره على ذلك من قبل قبيلة ربيعة ، التي قصرته على ملك أبيه . خصوصاً أن قبيلة ربيعة كانت تعيش في هذا الوقت تحت قيادة (وائل بن ربيعة) — المعروف بكليب وائل — زعيم قبيلة تغلب القوية ، الذي كان ظهوره في عهد (عمرو بن حجر)^٢ ، وتحديدًا في عقد الثمانينات من القرن الميلادي الخامس ، بالنظر إلى أن كليباً قد عاش قبل اشتعال حرب البسوس ، التي أشعلها مقتلُه في العقد الأخير من القرن الخامس الميلادي تقريباً^٣ .

لم يكن أمام عمرو (المقصور) تجاه ذلك الضغط إلا الاحتماء باليمن . حيث ذكرت بعض الروايات أنه استعجِدَ بمُرثد بن عبد ينكف الحميري (الذي أمده بمجيش كبير ، التقى مع (كليب) ومن معه من قبائل ربيعة في القنان^٤ ، فقتل (عمرو) في المعركة^٥ .

ولا يتضح من هذه الرواية ، ما هي الصفة التي كانت لمُرثد الحميري هذا ، وهل كان ملكاً أم زعيماً قبلياً . ونحن لا نستبعد هنا أن يكون المقصود به هو الملك الحميري (مرثد النيسوف) (مرثد / د / آل ن / ي ن ف) الذي ورد اسمه في بعض النقوش (Fa 74/9) ، المؤرخ بعام (٦١٤ / ح ٤٩٩ م)

^١ ابن الأثير الكامل ، ج ١ ، ص ٣٠٩ . وستانفورد الملاحقة التي ربطت بين الجون هؤلاء بيت المملكة الرئيسي في الفترة الأخيرة من هذا العصر ، ص ٩٦ وما بعدها .

^٢ ابن الأثير الكامل ، ج ١ ، ص ٣٠١ — أولندر ملوك كندة ، ص ٨٦ .

^٣ عن تاريخ اشتعال حرب البسوس انظر (هو الحرب قبل الإسلام ، ص ١٨٥) وستحدث بصورة مفصلة عن دور كليب هذا في قيادة القبائل المندبة ضد السيطرة اليمنية ، وذلك في الفصل القادم المخصص لأيام العرب ، أثناء حديثنا عن (يوم خرار) .

^٤ القنان جبل في بني أسد . انظر : (لسانه) ، الصفحة ، ص ٢٩٠ .

^٥ أولندر ، ملوك كندة ، ص ٨٦ .

و (Z M 579 / 2 = Ga 2d) المؤرخ بعام (٦١٩ ح / ٥٠٤ م) وعلى الرغم من أن كتشن (Kitchen)^١ يجعل بداية حكم هذا الملك في عام (٤٩٥ م) . إلا أن تحديده ذلك لا يمكن أخذه بصورة قطعية ، نظراً لاضطراب قائمة الملوك التي وضعها ، وتناقضها مع بعض النقوش المؤرخة . حيث لا نستبعد أن يكون حكم هذا الملك قد بدأ قبل ذلك التاريخ ، أي خلال الزمن الذي وضعاه لحكم عمرو (المقصور) . وحتى إن سلمنا برأي كتشن ، فذلك لن ينفي معاصرة عمرو (المقصور) للملك (مرثد ألن) لأننا قد أشرنا إلى أن هناك من يؤخر نهاية حكم عمرو (المقصور) إلى عام (٤٩٥ م) ، أي في بداية تولي الملك (مرثد ألن) للحكم في حمير . حيث يمكن أن نفترض أن الملكين تعاصرا لبعض الوقت من عام (٤٩٥ م) كانت هي الفترة نفسها التي طلب فيها (المقصور) العون من (مرثد ألن) حتى يتمكن من القضاء على ثورة قبائل ربيعة ضده .

أما عن العلاقة التي ربطت كعدة بدولتي المناذرة والغساسنة في عهد (المقصور) ، فقد كانت علاقته مع المناذرة — على ما يبدو — حسنة ، لأنه زوج ابنته للملك اللخمي (الأسود بن المنذر) ، وهي التي ولدت له ابنه الملك (النعمان بن الأسود)^٢ أما عن العلاقة مع الغساسنة ، فقد ذكر اليعقوبي^٣ ، أن عمراً (المقصور) قاد غزوة ضد الغساسنة في بلاد الشام ، انتهت بمقتله ، على يد الحارث بن أبي شمر الغساني (الحارث بن جبلة) . ونحن هنا نميل إلى ترجيح الرأي الذي يجعل مقتل عمرو (المقصور) على يد قبائل ربيعة وليس على يد الغساسنة^٤ . وذلك لأن ظهور (الحارث بن جبلة) لم يكن إلا في مطلع القرن السادس الميلادي^٥ ، أي في وقت متأخر عن عهد عمرو (المقصور) .

Documentation..., part 1 , pp. 245 .

^١ الشيخ . العرب القديم ، ص ٢١٥

^٢ تاريخ اليعقوبي ، ج ١ ، ص ٢١٦

^٣ أولدر . ملوك كسنة ، ص ٩١

^٤ حافل . العرب القديم ، ص ١٥٥ .

في عهد الحارث بن عمرو:

اختلفت المصادر العربية حول الطريقة التي تولى بها (الحارث بن عمرو) الملك على كندة وا لقبايل المعدية ، وأوردت بخصوص ذلك روايات مختلفة . أبرزها هي تلك التي تجعله وارثاً للملك عن أبيه وجده^١. وتقف إلى جوارها روايات أخرى ، تجعله هو مبدأ ذلك الملك ومُنشئه ، وتجعل أباه مجرد سيد لكندة ، وقائم على خدمة الملك الحميري (حسان بن تبع) . ثم تتسلسل تلك الرواية مشيرة إلى مقتل (حسان ابن تبع) ، على يد أخيه (عمرو بن تبع)^٢ الذي زوج ابنة أخيه (حسان) لعمرو ابن حجر الكندي ، فأعجبت له ولده (الحارث)^٣ . ثم تذكر لنا الرواية ، أن مُلك حمير قد عاد إلى (تبع بن حسان)^٤ الذي بعث بابن " اخته (الحارث بن عمرو ابن حجر الكندي " في جيش عظيم إلى بلاد معد والحيرة وما والاها " ثم ملكه على معد^٥.

وتجعل بعض الروايات تملك الحارث على قبيلة بكر فقط ، على تفاوت فيما بينها عن كيفية حدوث ذلك ، فأولى تلك الروايات تذكر أن ذلك كان بطلب من قبيلة بكر نفسها ، تقدمت به إلى (تبع) الذي ولى عليها (الحارث)^٦. بينما تذكر رواية أخرى أن قبيلة بكر إنما تقدمت بطلبها إلى الحارث مباشرة ، تعرض عليه تملكه عليها^٧.

^١ ابن الأثير الكامل ، ج ١ ، ص ٣٠٤ .

^٢ يقابله في القوش (شرحيل بعمر بن أبي كرب أسعد) .

^٣ بشكك أوسدر في هذه المصاهرة ، ويرجح أن أم (الحارث) هي تم إيلس بنت عوف التي تنتمي إلى قبيلة نضلة البكرية . (ملوك كندة ، ص ٨٨ ، حدير بالذكر أن الدهوري يذكر أن أم الحارث هي امرأة من بني علف بن صعصعة (الأخبار الطوال ، ص ٥٢ ، ص ٥٣) .

^٤ م يسن له من هو انفسود بهذا الاسم .

^٥ الطبري : لأمم وملوك ، ج ١ ، ص ١٩٨٩ ، ص ٥١٧ ، ص ٥١٨ .

^٦ ابن مسه التيجان ، ص ٣١٠ .

^٧ ابن عبد ربه . العقد الفريد . ج ٥ ، ص ٢٢٢ .

^٨ الأصمهان . الأعالي ، ج ١٢ ، القاهرة ، ١٩٧٠ م ، ص ٢٠٩ .

ثم تأتي رواية ثالثة لتقول لنا أن الحارث هو الذي راسل قبلي بكر وتغلب — بعد أن أنهكتهما حرب البسوس — عارضاً عليهما الصلح بينهما ، وتخليكه عليهما . فأحابته القبيلتين إلى ذلك^١ .

هذه هي أهم الروايات التي تتحدث عن كيفية تولي الحارث الملك على كندة والقبائل المعديّة^٢ . ونحن لا نملك إزاء هذا التضارب فيما بينها إلا أن نضم صوتنا إلى الرأي القائل بأن (الحارث) قد تولى الملك بعد وفاة أبيه ، وأنه وسع ملكه بعد ذلك بما يملك من شخصية قوية ، وبمساعدة الحميريين . بحيث أصبح ملكاً على كندة وبكر وغيرها من القبائل العربية الشمالية الأخرى^٣ .

وكان من الطبيعي أن يعمل الحارث بعد توحيدده للقبائل العربية النجدية في إطار مملكته ، على شغل هذه القبائل — المحبة للحرب ومنافسة بعضها البعض — بفارات على الحدود البيزنطية والفارسية^٤ .

وفيما يخص غاراته في بلاد الشام ، فعلى الرغم من سكوت المصادر العربية عنها ، إلا أن المصادر البيزنطية قد والتنا ببعض ذلك ، حيث ذكر ثيوفانس ، أن القائد البيزنطي (رومان) تمكن عام (٤٩٧ م) من دحر زعيمين عربيين هما : (حبله) (Jabalas) (والد الحارث الفسائي) ، الذي أحبره على الحرب ، و (حجر) (Ogaros) (حجر بن الحارث الكندي) الذي تمكن من أسره إلى جانب استعادته لجزيرة يوتابه (تيران) من أيدي الكنديين ، الذين كانوا قد انتزعوها من البيزنطيين عام (٤٧٣ م)^٥ .

وفي عام (٥٠١ م) تمكن الكنديون من رد الصاع للقائد البيزنطي (رومان) ، عندما تمكن الأمير (معدي كرب) (Badikarimos) ، أخو (حجر) السالف الذكر ، من شن غارة عربية جديدة على فينيقية ، وسورية ، وفلسطين ، حيث انقض

^١ ابن بطيعة - شرح العيون في وسالة ابن ريدون ، القاهرة ، ١٢٧٨ هـ ، ص ٧٨ ، أولندر ، ملوك كندة ، حاشية المترجم ، ص ٩٨ .

^٢ سنعمل على تحليل بعض هذه الروايات أثناء حديثنا عن علاقة (الحارث) بالدولة النخبية وهجومه على الحيرة .

^٣ أولندر ، ملوك كندة ، ص ١٠٠ — علي - الفصل ٤ ج ٣ ، ص ٢٢٢ .

^٤ أولندر ، ملوك كندة ، ص ١٠١ .

^٥ أولندر ، ملوك كندة ، ص ٩٢ — يعوليسكيا ، العرب على حدود بيزنطة ، ص ١٦٧ .

عليها كالريح ، ثم ابتعد أسرع من ذلك ، حاملاً معه الغنائم . من غير أن تملك بيزنطة وسيلة حاسمة للرد عليه . ولأن أخاه (حجراً) - الذي كان قد أطلق سراحه قبيل ذلك - لم يشارك في هذه الغارات ، فقد اعتقد ثيوفانس أنه قد لقي حتفه^١.

وقد أحرزت تلك الغارات الامبراطور البيزنطي انتاسيوس (٤٩١-٥١٨ م)^٢ على أن يعقد صلحاً مع (الحارث الثعلبي) أبو (معدي كرب) و (حجر)^٣ عام (٥٠٢ م) ذلك الصلح الذي أصبح بموجبه (الحارث الكندي) عاملاً لبيزنطة على جنوبي فلسطين ، ومناطق من سينا^٤. وقد أشار نونوس إلى هذا الصلح ، عندما ذكر أن الامبراطور انتاسيوس ، قد أوفد جده (أي جد نونوس) إلى (الحارث) ، ليعقد معه صلحاً . ومع أن نونوس وثيوفانس لم يذكر شيئاً عن شروط هذا الصلح ؛ إلا أننا نستطيع أن نقول أنه قد تضمن امتناع (الحارث) وابنيه عن غزو المقاطعات البيزنطية . وأيضاً قيام حلف بين الطرفين ضد الفرس ، وعماهم اللخميين^٥.

هذا وقد قطع (الحارث الكندي) ارتباطه بالبيزنطيين عام (٥٠٦ م) رغبة منه في إقامة علاقة ودية مع الفرس ، وذلك لأن قبيلتي بكر وتغلب - عماد دولته - كانتا تتحركان في ذلك الوقت نحو الشمال لتستقرا في العراق ، تاركين بذلك مناطقيهما القديمة في اليمامة ونجد^٦. وقد حاول (الحارث) أن يعيد تلك العلاقة^٧ ، بعد أن ساءت علاقته مع الفرس ، قبل وفاته عام (٥٢٨ م) . وهو ما ستحدث عنه عند تناولنا لنهاية الحارث .

^١ أولندر . المرجع السابق ، ص ٩٣ - صحاب . إيلاف قرينش ، ص ١٠٣ ، ١٠٤ .

^٢ في تاريخ حكم انتاسيوس . انظر * (الناصري . الروم والشرق العربي ، ص ٧٤)

^٣ يؤكد هذا ما ذهب إليه مجموعة من المؤرخين من أن المفقود ما عاثر انتسابي في المصادر البيزنطية إنما هو (الحارث بن عمرو الكندي) (مثلاً أولندر . ملوك كنده ، ص ٨٨) ، وليس الحارث بن حبة الصافي ، كما قلنا بذلك البعض (مثلاً : علي . المنفصل ، ج ٣ ، ص ٣٩١ ، ٣٩٢) . وذلك لأن لا يعرف للحارث انتسابي وثلاث يدعيان (حجر) و (معدي كرب) ، بينما يعرف من المصادر العربية أن (حجر) و (معدي كرب) هما من أمه (حارث الكندي) . ومع ذلك نحن لا نصح أن نكرم كل كتاب سمية (الحارث الكندي) بالثعلبي ، لكون أمه من بني عوف بن ثعلبة البكرية كما يقول البعض (أولندر . ملوك كنده ، ص ٨٨) ، أم لأن قبيلة ثعلبة الحارثية للبيزنطيين والمرتبطة لهم ، كانت تدخل ضمن سلطاته كما يقول بذلك البعض الآخر . (بيوليسكي . الحرب على حدود بيزنطة ، ص ١٧) .

^٤ صحاب . إيلاف قرينش ، ص ١٠٤ .

^٥ أولندر . ملوك كنده ، ص ٩٣ ، ٩٤ .

^٦ المرجع نفسه ، ص ١١٤ .

أما علاقة الدولة الكندية - في عهد (الحارث) - مع الفرس ، وأتباعهم المناذرة ، فقد تناولتها المصادر العربية ، خصوصاً ما يتعلق منها بغارات (الحارث) على الحيرة ، وانتزاعه السلطة من أيدي ملوكها .

تجدر الإشارة إلى أن الروايات الواردة في المصادر العربية بهذا الشأن ، يمكن تقسيمها إلى مجموعتين : المجموعة الأولى تجعل سيطرة (الحارث) على مملكة اللخمين في أواخر عهد والد المنذر بن ماء السماء ، الذي تسميه بعضها (النعمان الأكبر)^١ ، وتسميه الأخرى (امرؤ القيس)^٢ . أما المجموعة الثانية فتعيد تلك السيطرة إلى عهد (المنذر) نفسه ، بحيث تفصل عهد (المنذر) إلى فترتين : فترة سابقة لها ، وفترة لاحقة لها^٣ .

وروايات هذه المجموعة^٤ هي التي تربط سيطرة (الحارث) على الحيرة بموافقه لقباذ في مزدكيته^٥ واعتناقه لها . بعد أن رفضها (المنذر) . وذلك بعكس روايات المجموعة الأولى التي لا تشير إلى اعتناق (الحارث) للمزدكية ، وتجعل سيطرته على أملاك اللخمين ، مرتبطة بضعف الملك الفارسي (قباذ) .

وبناء على الاختلافات المشار إليها بين روايات المجموعتين ، نستطيع القول إن روايات كل مجموعة تتحدث عن فترة مختلفة عن الأخرى .

وبهذا الخصوص ، نلاحظ أن رواية ابن حبيب البغدادي^٦ ، قد تميزت عن غيرها من الروايات ، وذلك بتفريقها بين سيطرتين للحارث الكندي على مملكة اللخمين ،

^١ لأصمعي . أبو الفرج . لأعاب ، بيروت ، ص ٢٠٩ .

^٢ الأصفهني . حمة . تاريخ سي ملوك الأرض والأبناء ، حقيق / يوسف يعقوب مكوي ، بيروت ، ١٩٦٦ م ، ص ٩١ ، ٩٢ . ويرى أولندر أن الملك المقصود في كلا الحالتين هو (النعمان بن الأسود) (ملوك كندة ، ص ١٠٦) . وهو المعروف بالنعمان الثاني ، وحكم في مطلع القرن السادس الميلادي (٥٠٠-٥٠٣ م) تقريباً . (يقوليسكي . العرب على حدود بربطة ، ص ١٤٩)

^٣ مثلاً : ابن الأثير . الكامل ، ج ٩ ، ص ٣٠٤ .

^٤ المزدكية : نسبة إلى مؤسسها (مزدك) ، الذي ظهر في أيام قباذ " ورغم أنه يدعو إلى شريعة إبراهيم الخليل ، حسبما ذهب إليه (رادشت) في بعض ما جاء به . ويشتمل الحارث والمزكرات ، وسوى من الناس في الأموال ، والأموال ، والبناء ، والبيد ، والإماء . حتى لا يكون لأحد على أحد فضل في شيء أنة . فكر أسلمه من السملة والأعمال " (ابن الأثير . الكامل ، ج ١ ، ص ٢٤١) . والأعم هو الذي لا يعصم شيئاً (مختار الصحاح ، مادة [غ ت م]) .

^٥ نصر ، ص ٣٦٩ .

إحداهما كانت في عهد والد المنذر ، والأخرى في عهد (المنذر) نفسه ، مع توضيحه بأن السيطرة الأولى لم تشمل كل بلاد اللخمين ، ولم يكن لها علاقة بالترذكية . حيث قال : " ملك عمرو (المقصور) ، وملك بعده ابنه (الحارث) ... ، وكان كثيراً ما يغزو (بني نصر) ، ملوك الحيرة . وكان قد ضم إليه ملكاً من ملكهم .. فلم يزل كذلك حتى هلك (امرؤ القيس) . وملك بعده (المنذر ابن امرئ القيس) ... فدعا [قباذ] (المنذر) .. في الدخول في الزندقة ، فأبى . وأجابه إليها (الحارث) ، فملكه ، وأطرد (المنذر) ، فلما مات (قباذ) رد (أنو شروان) الملك إلى (المنذر) ."

وبالعودة إلى روايات المجموعة الأولى ، العائدة إلى عهد النعمان بن الأسود (النعمان الثاني) ، نجد أنها بدورها تنقسم إلى قسمين : القسم الأول منها ، يتمثل في تلك الرواية التي تربط سيطرة (الحارث) على الحيرة بتبابعة اليمن ، وجاء فيها أن (تبع بن حسان) ، بعث " بابن أخته الحارث بن عمرو .. في جيش عظيم ، إلى بلاد معد والحيرة ، وما والاها ، فسار إلى (النعمان بن امرئ القيس بن الشقيقة)^١ ، فقاتله ، فقتل النعمان .. وهزم أصحابه ، وأقلته (المنذر بن النعمان الأكبر) ، وأمه ماء السماء .. فذهب ملك آل النعمان ، وملك (الحارث بن عمرو الكندي) ما كانوا يملكون^٢ .

وتواصل الرواية حديثها ذاكراً بأن الملك الفارسي (قباذ) قد اضطر إلى ملاطفة (الحارث الكندي) واسترضائه ، لكن (الحارث) طمع في السواد ، فأقطعه (قباذ) منه ، ما يلي جانب العرب من أسفل الفرات . فأرسل (الحارث) إلى (تبع) باليمن ، يخبره بذلك ، ويطلب منه أن يجمع الجنود ويقبل . فجمع تبع الجنود ، وسار حتى نزل الحيرة . ووجه ابن أخيه (شمر ذي الجناح) إلى (قباذ) فقاتله ، وهزمه ، حتى لحق بالري ، ثم أدركه بها فقتله^٣ .

^١ يُعني النعمان (النعمان بن المنذر بن امرئ القيس) انظر : (ابن الأثير . الكامل ، ج ١ ، ٢٤٣) .

^٢ الطبري . الأمم والملوك ، ج ١ ، ١٩٨٩ م ، ص ٥١٨ .

^٣ المصدر نفسه ، الصفحة نفسها — ابن الأثير . الكامل ، ج ١ ، ص ٢٤٣ ، ٢٤٤ .

أما القسم الثاني من روايات المجموعة الأولى ، فتتضمنه روايتان تربطان سيطرة (الحارث) على المملكة اللخمية بقبائل ربيعة ، وقبيلة بكر منها على وجه الخصوص ، والروايتان تتفقان في المضمون العام ، وتختلفان في بعض التفاصيل .

فالرواية الأولى تذكر " أن (قباذ) ملك فارس ، لما ملك كان ضعيف الملك ، فوثبت ربيعة على (النعمان الأكبر) أبي (المنذر الأكبر) . فأخرجوه ، فخرج هارباً حتى مات في إباد ، وترك ابنه المنذر فيهم ... فتطلق ربيعة إلى كندة — وكان الناس في الزمن الأول يقولون : إن كندة من ربيعة — فجاءوا بالحارث بن عمرو ... فملكوه على بكر بن وائل ، وحشدوا له ، وقتلوا معه . فظهروا على ما كانت تسكن من أرض العراق . وأبي (قباذ) أن يعد (المنذر) بجيش ، فلما رأى ذلك (المنذر) ، كتب إلى (الحارث بن عمرو) : إني في قومي ، وأنت أحق من ضمني واكتفني ، وأنا متحول إليك ، فحول له إليه ، وزوجه ابنته هند " ^١ .

أما الرواية الثانية ، فتذكر : " أن (امرأ القيس البدء) كان يغزو قبائل ربيعة ، فينكل فيهم ، ومنهم أصاب (ماء السماء) ... ثم إنه ترك الخزم في غزوة من غزواته ، فثارت به بكر بن وائل ، فهزموا رجاله وأسروه " . ثم أطلقوه بعد أن أخذوا منه الفداء " فبقيت تلك العداوة في نفوس بكر بن وائل ، إلى أن وهى أمر الملك (قباذ) فعندها أرسلت بكر إلى (الحارث بن عمرو بن حجر) فملكوه وحشدوا له ، ونهضوا معه ، حتى أخذ الملك ، ودانت له العرب " ^٢ .

وبخصوص روايات المجموعة الأولى ، التي تتحدث عن سيطرة (الحارث الكندي) على المملكة اللخمية في عهد (النعمان بن الأسود) ، فنحن نميل إلى ما ذهب إليه أولندر^٣ من استبعاد الرواية التي تربط ذلك بتبابعة اليمن لحساب الروايات التي تربطه بقبيلة بكر . وإن كنا نختلف معه في المعطيات التي من أجلها تم رفض هذه الرواية .

^١ الصبي . الفصل من محمد . الفصليات . شرح الأيلري ، تحقيق / لائل ، بيروت ، ١٩٩٦ م ، ص ٤٢٧ ، من أولندر ، ملوك كندة ،

حاشية المرجع ، ص ١٠٣ .

^٢ الأصمهاني . حمزة . ملوك الأرض ، ص ٩٦ ، ٩٢ .

^٣ ملوك كندة ، ص ١١٠ .

فإذا كان أولدر قد رفضها لجرد أنها عربية جنوبية (وذلك يعني تعصبها لليمن) فنحن إنما نرفضها لتضاربها مع وقائع تاريخية أخرى ، نعرف صحتها .

- فهذه الرواية تقول إن (الحارث) قد زحف على الحيرة ، فور تعيينه قائداً لجيش (تبع) بحيث تمكن من قتل الملك اللخمي النعمان (أبو المنذر) ، وهزم أصحابه ، وملك ما كان يملك آل النعمان . وقد أوضحنا أن المقصود بالنعمان أبي المنذر في الرواية العربية ، هو (النعمان بن الأسود) الذي توفي عام (٥٠٣ م) متأثراً بجراحه ، إثر مشاركته في قتال البيزنطيين^١ . ونحن نعرف أن (الحارث) قد تربع على عرش كندة بين عامي (٤٩٠-٤٩٥ م) أي قبل وفاة النعمان بن الأسود بثمان سنوات على أقل التقديرات، وهذا يسقط فكرة تزامن تولي (الحارث) مع مقتل (النعمان بن الأسود) التي تقول بها الرواية .
- وكذلك ما نراه من المبالغة الواضحة على أحداث هذه الرواية ، خصوصاً ما يتعلق منها بخروج جيوش (تبع) وقتلها للملك الفارسي (قباد)^٢ .

- نأتي أخيراً إلى ما ذكره يوشع العمودي ، من أن قبيلة ثعلبة (البكرية) المرتبطة بالحارث الكندي ، قد شنت هجوماً على حيرة النعمان عام (٥٠٣ م) مستغلة انكشاف الحراسة عنها ، بسبب خروج الجيش اللخمي تحت قيادة (النعمان بن الأسود) لمهاجمة الأراضي البيزنطية^٣ . وهذا يجعلنا نعتقد أن هذا الهجوم الذي أشار إليه يوشع العمودي ، إنما هو نفسه الذي نسبته المصادر العربية إلى قبيلة بكر ، على اعتبار أن ثعلبة جزء من قبيلة بكر^٤ .

وهكذا استطاع (الحارث الكندي) أن يسطر سلطانه على معظم بلاد اللخمين ، بين عامي (٥٠٣-٥٠٦ م) مستغلاً اضطراب أحوال المملكة الفارسية ، وانشغالها بالحروب مع البيزنطيين^٥ .

^١ أولدر ، ملوك كندة ، ص ١٠٣ .

^٢ علي ، الفصل ٣ ، ص ٣٣٧ .

^٣ أولدر ، ملوك كندة ، ص ١٠٣ ، ١٠٧ - يعوليفسكي ، العرب على حدود بيزنطة ، ص ٩٤ .

^٤ علي ، للفصل ٣ ، ص ٣٣٢ ، ٣٣٣ .

^٥ أولدر ، ملوك كندة ، ص ١٠٧ .

وعندما اعتلى (المنذر الثالث) عرش الحيرة ، عام (٥٠٥ م) بدأ في تصفية حساباته مع (الحارث الكندي) ، الذي كان ما يزال يسيطر على بعض أراضي الدولة اللخمية . ويبدو أن الرجلين قد دخلا في منافسة من أجل اكساب ود الفرس^١. ولعل ذلك هو الذي جعل (الحارث) يقطع ارتباطاته بالبيزنطيين عام (٥٠٦ م) ولكن الكفة ربما رجحت لصالح (المنذر) بحكم العلاقة التاريخية التي كانت تربط الدولة اللخمية بالفرس ، وبحكم قرب أراضي اللخمين من حدود الدولة البيزنطية ، العدو الأول للفرس . وقد ساعد ذلك (المنذر) في ممارسة ضغطه على الدولة الكندية . وقد سبق أن تحدثنا عن تلك الحملة ، التي شنّها (المنذر) على وسط الجزيرة العربية (قلب الدولة الكندية) عام (٥١٦ م) ، مما دعا كعدة وقبائل أعراب تلك المنطقة إلى استصراخ الملك الحميري (معدى كرب يعفر) الذي أرسل حملة ضد (المنذر) ، انتهت بعقد الصلح مع (المنذر) ، خصوصاً أن (معدى كرب) نفسه كان يعاني من مشاكل داخلية أشرنا إليها في حينه^٢.

وفي هذا السياق نستطيع أن نتصور أن نجم (المنذر الثالث) قد استمر في الصعود أكثر فأكثر ، حيث نراه في مطلع عام (٥٢٤ م) ، وقد تجمعت في يده الخيوط السياسية للشرق الأدنى بأجمعه . وذلك في مؤتمر الرملة^٣ الذي سبق وأشرنا إلى تجمع المندوبين فيه من بيزنطة واليمن وفارس^٤.

ويبدو أن تعاظم قوة (المنذر) ، وميله إلى الاستقلال عن الفرس ، قد أثار حفيظة (قباذ) وجعله يميل إلى (الحارث الكندي) ، العدو التقليدي للمنذر خلال هذه الفترة ، بحيث شجعه على مهاجمة الحيرة ، بهدف إضعاف القوة المتزايدة للدولة

^١ أولندر - ملوك كندة ، ص ١١٤.

^٢ انظر . الفصل الأول ، ص ٢٤.

^٣ بعلبيسكي . العرب على حدود بيزنطة ، ص ١٠٣ .

^٤ انظر : الفصل الأول ، ص ٢٨ وما بعدها .

اللمخمية^١ . إلى جانب ما أشارت إليه المصادر العربية من رفض (المنذر) اعتناق المزدكية ، وقبول الحارث لذلك^٢ .

وعلى الرغم من رفض البعض لما جاء في المصادر العربية حول اعتناق (الحارث) للمزدكية وقولهم أن ذلك إنما قصد به الخط من شأنه ، من قبل الرواة المتعصبين للمنذر ، حتى يظهروا (الحارث) بمظهر الرجل الذي باع دينه ، وعقيدته ، في سبيل الملك^٣ . إلا أننا هنا لا نستبعد أن يكون ذلك قد حدث بالفعل . لأننا نعرف أن الدولة الحميرية في هذا الوقت ، كانت تلفظ أنفاسها الأخيرة ، أمام الضغط الحبشي البيزنطي عليها ، والذي انتهى باكتساح الأحباش لليمن عام (٥٢٥ م)^٤ . أي أن كسدة قد فقدت سندها القوي ، الذي كانت تلجأ إليه وقت الشدائد ، وذلك دفع ملكها (الحارث) للإرتقاء في أحضان الفرس^٥ .

ولا يخفى أن الفرس قد أصبحوا القوة الوحيدة المتبقية أمام (الحارث) ؛ فالدولة الحميرية تنهار ، والقوة الحبشية التي حلت مكانها لم تتضح سياستها بعد ، ولم يعرف موقفها من الدولة الكندية ، والبيزنطيين يدعمون الأحباش في اليمن ، وأصبح فهم علاقات خاصة مع (المنذر اللحي) معته من الوقوف إلى جانب الملك الحميري (ذي نواس)^٦ . وهكذا التقت مصالح (الحارث) بمصالح (قباذ) الذي وجد في (الحارث) ضالته المشوذة للتخلص من (المنذر) الذي بدأ يعمل لحسابه ، أكثر مما يعمل لحساب الفرس^٧ .

فأي غرابة في أن يُظهر (الحارث) لقباً اعتنقه للمزدكية — حتى وإن لم يكن يؤمن بمبادئها — ما دامت تلك هي الوسيلة المثلى لكسب ثقة (قباذ) . بحيث يزداد

^١ يوليوسيا . المراجع السابق ، ص ٩٧ .

^٢ يرى البعض أن سوء العلاقة بين (المنذر) والفرس تعود أساساً إلى العلاقة لشابة بين (المنذر) والبريطانيين ، أكثر مما تعود إلى رفضه اعتناق المزدكية (أولندر . ملوك كسنة ، ص ١١٤) .

^٣ سالم . العرب قبل الإسلام ، ص ٢٣٨ .

^٤ انظر : الفصل الثامن ، ص ٣٧ وما بعدها . .

^٥ باقية . السجدة ، ج ٢ ، ص ٢٨٢ .

^٦ ناقش ذلك في الفصل الأول ، ص ٢٩ وما بعدها .

^٧ عرف (المنذر) خلال هذه الفترة بتصرفاته المزدوجة بين الفرس والبريطانيين ، فهو كثيراً ما كان يسلم للمسلمات من الامم المصور البيزنطي ، خصوصاً عندما كان لا يتحيز إلى جانب الفرس في صراعهم مع البيزنطيين (أولندر . ملوك كسنة ، ص ١١٥) .

قرباً منه ، ولا يجعل تفضيل (قباذ) له على خصمه (المنذر) مجرد موقف سياسي مؤقت ، ينتهي بانتهاء الظروف التي اقتضته .

وغالب الظن أن اعتناق (الحارث) للمزدكية ، كان يعبر عن موقفاً تكتيكياً اضطرارياً ، أكثر مما يعبر عن قناعة دينية ثابتة . بدليل أن المصادر العربية ، وهي تتحدث عن اعتناقه للمزدكية ، لم تخبرنا عن أي تطبيق لمبادئها من قبله ، سواء على مستوى شخصه وعائلته ، أو على مستوى قبيلته ودولته . بل إنه قد تعتمد أن يشغل (قباذ) عن عدم تنفيذه لأمره الخاص بمعاقبة (عبد مناف بن قصي) لرفضه الدخول في المزدكية . وذلك ما كان ليحدث لو كان (الحارث) يؤمن بالمبادئ المزدكية ، إيماناً حقيقياً غير مفتعل^١ .

وقد تمكن (الحارث) بالفعل من دخول الحيرة ، وأخضعها لحكمه ، وذلك في المدة الواقعة بين عامي (٥٢٥-٥٢٨ م) تقريباً^٢ . وهو ما ذكرته روايات المصادر العربية ، التي جاء فيها أن الحارث بعد — اعتناقه للمزدكية — قد تمكن من دخول الحيرة وظل ملكاً عليها إلى أن توفي (قباذ) وخلفه ابنه كسرى أنو شروان (خسرو الأول) الذي قتل (مزدك) ، وأصحابه ، وأعاد (المنذر) إلى رعاية الحيرة ، فهرب (الحارث) بأولاده وهجائه ، وتبعه (المنذر) بجيشه^٣ .

وتواصل المصادر العربية ، قصتها عن (الحارث) لتذكر أنه قد لقي حتفه أثناء ذلك ، على خلاف بين المصادر ، حول كيفية ذلك . بين قائل أن نهايته كانت على يد (المنذر) ، وقائل أنها كانت على يد قبيلة كلب ، وثالث يجعلها مorte طبيعية^٤ .

^١ من ملاحظة الحارث في معاقبة (عبد مناف) انظر (ابن سعد الأندلسي - علي بن موسى - مشوة الطرب في تاريخ معاهية العرب ، تحقيق / نصرت عبد الرحمن ، عمان ، ١٩٨٢ م ، ص ٣٢٧) .

^٢ يرى لولندر أننا لا يمكن أن نتحدث عن دخول (الحارث) إلى الحيرة قبل ذلك التاريخ ، بسبب معرفتنا أن (المنذر) كان على عرش الحيرة عام (٥٢٤ م) أثناء انعقاد مؤتمر الرحلة (ملوك كعدة ، ص ١١٤) ومع ذلك نحن لا نجد الرأي الذي يحدد سيطرته (الحارث) على الحيرة إلى عام (٥٢٤ م) (سالم ، العرب قبل الإسلام ، ص ٢٢٧ — هـو - العرب قبل الإسلام ، ص ١٣٦) . وذلك لأن مؤتمر الرحلة كان قد انعقد في مطلع عام (٥٢٤ م) أي أن دخول الحارث إلى الحيرة قد يكون حدث في وقت لاحق من نفس العام .

^٣ ابن الأثير - الكامل ، ج ١ ، ص ٣٠٤ ، ٣٠٥ .

^٤ من اختلاف المصادر العربية حول طريقة موت الحارث انظر (أولندر ، ملوك كعدة ، ص ١١٨ — علي ، المعصل ، ج ٣ ، ص ٣٤٥ ، ٣٤٦) .

أما المصادر البيزنطية فقد ورد عند ملائس وثيوفانس ، أن (الحارث الكندي) كان قبيل مقتله قد فر إلى البيزنطيين ، هرباً من الفرس . وأصبح عاملاً من عمال البيزنطيين ، ولكن سرعان ما نشب الخلاف بينه وبين القائد البيزنطي في فلسطين . ذلك الخلاف الذي انتهى بفرار (الحارث الكندي) نحو المناطق الداخلية لشبه الجزيرة العربية . فما كان من (المنذر اللخمي) — الذي كان يتربص بالحارث — إلا أن اغتبل هذه الفرصة وقام بمطاردة (الحارث) بجيش مكون من ثلاثون ألفاً ، فتمكن من قتل (الحارث) في عام (٥٢٨ م)^١.

ومعنى ذلك أن نهاية (الحارث) قد كانت في أواخر عهد (قباذ) — ولم تكن بعد وفاته حسبما ذكرت المصادر العربية^٢ — حينما كان ابنه (انوشروان) مسيطراً على شئون الحكم ، وهو ما زال ولياً للعهد^٣. أي أن طرد الحارث من الحيرة لم يكن مرتبطاً بالسقوط النهائي للمزدكية ؛ بقدر ارتباطه بفترة ضعف طارئ عليها^٤. ولعل المصادر العربية كانت تومئ إلى تلك الفترة عندما ذكرت أن حكم (قباذ) قد انقطع فترة من الزمن ، قُتل خلالها خلقاً كثيراً من أتباع مزدك^٥.

في عهد أبناء الحارث

تحكي المصادر العربية أن الحارث بعد أن دخل الحيرة اشتغل بها عما كان يراعيه من أمور البوادي ، فتقامدت القبائل النزارية ، ووقع الشر بينها . فأتى أشراف هذه القبائل إلى الحارث ، وطلبوا منه أن يوجه معهم بنيه ، ليكفوا القبائل بعضها عن بعض ، ففرق الحارث أبنائه ملوكاً على القبائل . فجعل (حجراً) في بني أسد وكنانة وغطفان ، وهو أكبر ولده ، وجعل (شرحبيل) في بكر بن وائل ، وبني حنظلة بن تميم ، وبني أسيد بن تميم ، والرياب . وجعل (سلمة) وهو أصغرهم في بني تغلب ،

^١ انظر ذلك في : أولندر - ملوك كنده ، ص ١١٥ — يفروليسكيا . العرب على حدود بيزنطة ، ص ١٠٧ .

^٢ توي (قباذ) عام ٥٣٦ م (يفروليسكيا - المرجع السابق ، ص ١٤٩) .

^٣ أولندر - المرجع السابق ، ص ١١٣ .

^٤ يفروليسكيا - المرجع السابق ، ص ٩٦ .

^٥ ابن الأثير - الكامل - ج ١ ، ص ٢٤٢ .

والنمر بن قاسط ، وبني سعد بن تميم . وجعل ابنه (معدي كرب) في قيس عيلان^١ وتضيف بعض المصادر ولداً آخر للحارث تسميه (قيساً) وتجعل منه ملكاً سياراً ، فأبي قوم نزل بهم فهو ملكهم^٢ .

ويلاحظ على هذا التقسيم^٣ أن سلطة (معدي كرب) و (حجر) قد امتدت على القبائل التي كانت أكثر مكانها إلى الغرب ، وأقرب ما تكون إلى حدود الحكم البيزنطي . وهما اللذان أخبرتنا المصادر البيزنطية أنهما قاما بغارات نحو مناطق النفوذ البيزنطي ، في بلاد الشام . أما (سلمة) و (شرحبيل) فقد اتسما الشطر الشرقي من المملكة الكندية ، وهو الشطر الذي لعب الدور الأكثر خطراً في حياة الحارث ، وبخاصة في المواجهات مع الفرس والحميين^٤ . وذلك يجعلنا نميل إلى الاعتقاد بأن أبناء الحارث كانوا بمثابة قادة عسكريين لأبيهم ، من قبل أن يوزعهم ملوكاً على القبائل . بحيث تولى (حجر) و (معدي كرب) القيادة في الجهة الشمالية الغربية ، ضد مناطق النفوذ البيزنطي ، بينما تولى (سلمة) و (شرحبيل) القيادة في الجهة الشمالية الشرقية ، ضد مناطق النفوذ الفارسي . وعندما حان أوان توزيع أبنائه على القبائل ليكونوا ملوكاً عليها فقد جعل كل ابن من أبنائه ملكاً على القبيلة أو القبائل التي له خبرة في التعامل معها ، على اعتبار أن هذه القبائل كانت تشكل قوام الجيوش التي كان يغير بها الحارث وأبنائه على مناطق النفوذ البيزنطية والفارسية .

" فلما مات الحارث ضبط كل رجل من بنيه ملكه . فاشتد ملكهم . فأما بنو أسد ، فقتلوا ملكهم (حجر) ... ووثب (شرحبيل) و (سلمة) فاحتربا ، فقتل (شرحبيل) ... وصرب (سلمة بن الحارث) الفالح فهلك . وأصاب (معدي

^١ مثلاً ابن الأثير الكائن ، ج ١ ، ص ٣٠٥ ، ٣٣٢ . ويتطاد القبائل التي ورعها (الحارث) على أبنائه ، يرمز لديها دليلاً على سعة الرقعة التي امتد إليها سلطان الحارث ، والتي شملت نجد والحجاز واليمامة والبحرين . (لولندر - ملوك كندة ، ص ١٢٨)

^٢ ابن حزم الأندلسي . جمهرة الأساطيب ، ص ٢٢٨ .

^٣ هناك روايات أخرى تصفي على هذا التقسيم بعض النمر . ولكن ما أورده هو ما ترجحه الدراسات الحديثة . انظر مثلاً (لولندر - ملوك كندة ، ص ١١٢ - ١٢٧) .

^٤ أولندر . ملوك كندة ، ص ١٢٨ ، ١٢٩ .

كرب بن الحارث (الوسواس على أخيه (شرحيل) فخرج يهيم على وجهه فمات ^١ .

ولابد لنا هنا من وقفة تناول فيها الصدام الذي حدث بين أبي الحارث (سلمة) و (شرحيل) ، نظراً للدور الذي لعبه ذلك الصدام ، في زوال سلطان كندة عن قبائل شمال الجزيرة ^٢ .

وقد تمثلت أسباب الصدام في تنافس الأخوين — بعد موت أبيهما — على حكم مملكة كندة الأخذ في التفكك ، إلى جانب العداوة بين بكر وتغلب ^٣ ، وكذلك رغبة (المنذر اللخمي) في التفريق بين الأمرين الكنديين القريبين من حدود دولته ^٤ . ولعل السبب الأخير هو السبب الرئيسي في تحريك الحرب بين الأخوين في يوم الكلاب الأول . يتضح ذلك من خلال اشتراك قبائل تغلب وهراء في القتال إلى جانب سلمة ^٥ ، على الرغم أنهما كانتا قبل ذلك قد انضمتا إلى صف (المنذر) أثناء مطاردته للحارث بن عمرو وقتله له ^٦ . وذلك يعني من ضمن ما يعني أن تغلب كانت قد تمردت على سيطرة سلمة بن الحارث في أواخر حياة والده . وإلا لما اشتركت في القتال ضد والده . فما الذي جعلها تعاود الانضمام إلى (سلمة) بعد أن شاركت في قتل والده ؛ إلا أن يكون ذلك قد حدث بالاتفاق مع (المنذر) ، أو على الأقل بتحريض منه . بدليل أن تغلب سرعان ما تمردت على (سلمة) ، ولحقت بالمنذر ، رغم أن المعركة قد انتهت لصالح (سلمة) بعد أن قُتل أخوه (شرحيل) .

أما سلمة ، فقد التجأ إلى قبيلة بكر . وهنا يبرز الموقف البكري المرتبط بكندة ، حيث فضل البكريون الخضوع لسلمة الذي انتصر عليهم في المعركة ، رافضين بذلك الدخول في طاعة (المنذر) كما طلب منهم ، مما جعل (المنذر) يسير إليهم بجيشه ،

^١ البمداي . الحجر ، ص ٣٧٠

^٢ أولندر . ملوك كندة ، ص ١٣٩ .

^٣ كان ذلك بسبب أن كل قبيلة قد شكلت عماد حكم أحد الآخرين . وذلك جعل الخصومة التقليدية بين القبائل — بسبب حرب الوسوس — تسحب نفسها على العلاقة بين الآخرين .

^٤ أولندر . المرجع السابق ، ص ١٤٨ .

^٥ عن القبائل المشتركة في يوم الكلاب الأول انظر * ابن الأثير . الكامل . ج ١ ، ص ٣٣٢ ، أولندر . ملوك كندة ، ص ١٤٧

^٦ ابن الأثير . الكامل ، ج ١ ، ص ٣٠٥ .

ويلحق بهم هزيمة نكراء . في الموقعة التي عرفت يوم أواراة الأول ، والتي أسفرت عن مقتل أعداد كبيرة من أفراد القبيلة^١ .

أما فيما يخص مقتل (حجر بن الحارث) على يد بني أسد في عام (٥٣٠ م) تقريباً^٢ ، فالمصادر العربية تذكر لنا أن ابنه الأصغر (امرؤ القيس) عمل من أجل الانتقام لأبيه . وقد تعددت الروايات التي تخص ذلك^٣ . ولكن ما يهمنا منها هي تلك الرواية التي تذكر أنه استعان باليمن . فقد جاء عند ابن الأثير^٤ ، أن خبر مقتل أباه أناه " وهو بدمون " ، من أرض اليمن ... ثم ارتحل حتى نزل بكرة وتغلب فهاهم النصر على بني أسد فأجابوه ... وأقبل (امرؤ القيس) بمن معه من بكر وتغلب وغيرهم ... فقاتلهم (أي بني أسد) حتى كثرت القتلى بينهم ، وهربت بنو أسد . فلما أصبحت بكر وتغلب أبوا أن يتبعوهم ، وقالوا : قد أصبت ثارك ... ومضى [امرؤ القيس] إلى أزد شنوءة يستنصرهم ، فأبوا أن ينصروه ... فسار عنهم ، ونزل بقل يدعى (مرثد الحير بن ذي جدن الحميري)^٥ ، وكان بينهما قرابة ، فاستنصره على بني أسد ، فأمدّه بخمسمائة رجل من حمير . ومات (مرثد) قبل رحيل (امرؤ القيس) ، وملك بعده

^١ اس الأثر الكامل ج ١ ، ص ٢٢٩ . يعني هذا ما ذهب إليه حواد علي بأن بكر لا يمكن أن تكون قد دعت إلى (الحارث بن عمرو) طائفة عتارته تطلب منه أن يكون ملكاً عليها . (الفضل ، ج ٣ ، ص ٢٢٢ ، ٢٢٣) .
^٢ أولنفر . ملوك كندة ، ص ١٣٩ - كويشانوف . الشمال الشرقي الأثري ، ص ٩٠ .
^٣ في الروايات التي وردت في هذا الشأن انظر : (أولنفر . ملوك كندة ، ص ١٥٤ - ١٦٤) .
^٤ الكامل . ج ١ ، ص ٣٠٧ - ٣٠٩ .

^٥ وردت (دمون) في نقش (Ir 32/36) أيضاً الواقع في شمال شرق نريم ، وهناك دمون أخرى في وادي دوهي في حصرموت (انظر . Al-Sherbah, PP.27, 280) ومنها يقول امرؤ القيس تطاول الليل عليا دمون دمون إسماعيل بن ممانون .. ولنا لأهلنا محبون (انظر : شبيب شوقي . العصر الجاهلي ، ص ٢٣٧) .

^٦ أي دي حدن معروف في اليمن القديم ، وكانوا مرتطبين في هذه الفترة بي دي نرد (بالضمه السبعة ، ج ٢ ، ص ١٣٧ - ١٧٨) ويمكننا لا نعرف من هو القيل الجندني (مرثد) الذي قصته المصادر العربية ، عندما أن اسم العلم هذا من الأسماء الشائعة في القوقاز البعيدة المدممة . ويرى البعض أنه قد يكون هو (مرثد أبن احسان) أخو الملك (جميع أشوع) المذكور في نقش (RES 4069/1,2) . (كويشانوف . الشمال الشرقي الأثري ، ص ٩٠) وهو أمر غير مسبغ على اعتبار أن بي حدن قد انصروا تحت رعاية (جميع) ومن معه من الأنواء اليريين (CIH 621/2) . إلى جانب أنه (جميع أشوع) كان ملكاً على اليمن عندما تحرك امرؤ القيس للانتقام لوالده . إلا أن ترجيحنا لهذا الرأي لا يمنعنا من الإشارة إلى (مرثد) آخر ، وهو ذلك الذي ذكر في نقش (CIH 541/15) للورخ عام (٥١٢ م) كأحد الأقبال المسيحيين المتحالفين مع (يزيد بن كبشة الكندي) في ثورته ضد (أبرهة) . لذا لا نستطيع أن نجرم عددي علاقته بمرثد الجندني المذكور في المصادر العربية .

رجل من حمير يقال له (قرمل)^١ فزود امرؤ القيس ، ثم سار معه ذلك الجيش ، وتبعه شذاذ من العرب ، وامتاجر غيرهم من قبائل اليمن ، فسار بهم إلى بني أسد ، وظفر بهم .. ثم إن (المنذر) طلب (امرأ القيس) ... ووجه الجيوش إليه ، فلم يكن لأمرئ القيس بهم طاقة ، وتفرق عنه من كان معه من حمير ، وغيرهم . فنجوا في جماعة من أهله " . وظل متقللاً بين بعض القبائل العربية مستجداً بزعمائها . ووصل به الأمر في نهاية المطاف ، بأن ذهب إلى (قصر الروم) طالباً منه المساعدة لكن أحد رجال بني أسد لحقه ووشى به عبد القيسر الذي أهدى لأمرئ القيس حلة مسمومة ، مات متأثراً بسهما في أنقرة من بلاد الروم (حالياً في تركيا) .

في عهد قيس الكندي :

تم تخصيص فقرة مستقلة لقيس هذا ، الذي أسميناه بقيس الكندي ، من غير نسبته إلى أبيه . وذلك لأن المصادر البيزنطية التي ذكرته ، لم تحدد لنا من هو أبوه . وهذا الأمر قد أدى إلى اختلاف بين الدارسين ، حول من يكون قيس هذا . نظراً لسكوت المصادر العربية عنه .

وبالعودة إلى المصادر البيزنطية التي ذكرته ، سنجد أن بروكوبيوس^٢ يذكر أن الامبراطور البيزنطي (جستنيان) أرسل رسوله يوليان إلى ملك أكسوم ، وإلى سميفع (Esimiphaeus) ملك حمير ، يدعوها إلى إعانة الرومان على الفرس ، وأن يجعل الحميريون قيساً (Caisus) زعيماً على معد . وكان (قيس) هذا قد فر إلى الصحراء على إثر قتله أحد ذوي قري (سميفع) ، وبالرغم من وعود الملكين إلا أن هذه الخطة لم تفض إلى شيء .

أما نونوس (Nonnosus) ، فقد ذكر أن (جستنيان) أرسله إلى الحيشة ، وحمير ، وإلى الأعراب أيضاً ، عندما كان (قيس) — الذي ينتمي إلى سلالة الحارث — سيداً على الأعراب ويضيف نونوس أن (قيساً) هذا كان يحكم على أشهر قبيلتين من قبائل الأعراب هما : كتدة ومعد . وقد أنيط بنوبوس مهمة محاولة

^١ قرمل . هذا اسم غريب لم نصل لنا من هو المقصود به .

^٢ (Version) (ed . and trans . Dewing PP. 193 , 195) History of wars , I, XX , 9-13

إحضار (قيس) إلى الامبراطور . ولكن سفارة أخرى يرأسها ابراهام (Abraamus) - (والد نونوس) - كانت ضرورية لحمل (قيس) على تولية أخويه عمرو (Ambrus) ، ويزيد (Yezidus) على قبائل كندة ومعد ، والذهاب إلى بيزنطة ليتسلم من الامبراطور حكم فلسطين . فاصطحب معه إلى هناك عدد كبير من رعاياه^١.

وعلى الرغم من ربط بعض المؤلفين بين (قيس) هذا ، وبين (امرؤ القيس بن حجر) تارة^٢، وبينه وبين قيس بن معدي كرب بن معاوية بن جبلة (والد الأشعث بن قيس) تارة أخرى^٣. إلا أن المعطيات المتوفرة لدينا لا تشجع على مثل ذلك الاستنتاج . ففيما يخص (امرؤ القيس) نجد أن ما ذكر في المصادر البيزنطية عن (قيس) يتناقض تماماً مع ما ذكر عن (امرؤ القيس) في المصادر العربية ؛ فامرؤ القيس لم يكن يحكم كندة ومعد ، وذهب إلى بيزنطة طريداً ، يلتمس العون ، ومات مسموماً في طريق عودته من بيزنطة . أما (قيس) فزعيم قوي ، يستنهض الامبراطور البيزنطي بسفارات متتالية للدخول في خدمة البيزنطيين ، ويحظى في الأخير من الامبراطور بإمارة فلسطين . أما بخصوص (قيس بن معدي كرب) فهو لا ينتمي إلى سلالة الحارث ، إلى جانب أن ظهوره كان متأخراً عن الفترة التي ظهر فيها (قيس) المذكور في تلك المصادر^٤.

ومن هنا فإن (قيس بن سلمة بن الحارث) هو الشخص المرشح لأن يكون هو نفسه (قيس) المذكور في المصادر البيزنطية^٥. نظراً لوجود ما يؤيد ذلك في المصادر العربية التي ذكرت أن (قيس بن سلمة) قد شن هجوماً على (المنذر اللخمي) ، وأن

^١ نقلًا من أولندر . ملوك كندة ، ص ١٧٦ - يوليوسكا . العرب على حدود بيزنطة ، ص ٢٠٥ .

^٢ البستاني . فوائد أرفم . الروائع ، امرؤ القيس ، بيروت ، ١٩٣٣ م ، ص ٣٩١-٣٩٢ .

^٣ الاسم الكامل لقيس بن معدي كرب مأخوذ من الجهادي . الفهر ، ص ٢٤٤ .

^٤ أولندر . ملوك كندة ، ص ١٧٨ ، ١٧٩ . وقد توفي (قيس بن معدي كرب) قبل بعث النبي ﷺ بخمس سنوات . انظر : (الشجاع ، اليس في صدر الإسلام ، ص ٤٥) .

^٥ أولندر . ملوك كندة ، ص ١٧٩ - يوليوسكا . العرب على حدود بيزنطة ، ص ١٧٧ - كويشانوف . الشمال الشرقي لأفريقي ، ص ٩٨ .

(امرؤ القيس) كان من المشاركين في هذه الحملة التي يقودها (قيس)^١ . إلى جانب ذلك فقد ذكر ابن حبيب البغدادي^٢ أن (قيس بن سلمة) كان من الجرارين من أهل اليمن (الجرار هو الذي يقود ألفاً) وهذا يعني أن (قيس بن سلمة) كان قائداً له مكانته . وفوق ذلك فقد ذكر ابن حبيب أيضاً ، وجود أخ لسلمة يدعى (يزيد) . و (يزيد) هذا يمكن أن يطابق (يزيد) المذكور في المصادر البيزنطية ، بصفته أحد أخوي (قيس)^٣ . وقد جاء في الخمر^٤ أن الذي قام بأمر عودة كندة هو حفيد لقيس بن سلمة ، يدعى (عمرو أقعل بن أبي كرب بن قيس بن سلمة بن الحارث) ، الأمر الذي قد يعني أن السلطة في كندة قد استمرت من بعد (قيس بن سلمة) في يد أحد أبنائه (أبا كرب أو غيره) ، ثم انتقلت إلى حفيده (عمرو) المشار إليه .

ورغم كل هذه الشواهد التي ترجح كفة (قيس بن سلمة) ليكون هو (قيس) المذكور في المصادر البيزنطية ، إلا أننا لا نستطيع أن نستبعد أن يكون المقصود به هو (قيس بن الحارث ابن عمرو) الذي جعله بعض المصادر العربية ملكاً سياراً بين القبائل ، فأي قوم نزل بهم فهو ملكهم^٥ . خصوصاً أن سفارة الامبراطور البيزنطي إلى (قيس) كانت في حدود عام (٥٢٩ م)^٦ . أي أن السفارة كانت في حياة (سلمة ابن الحارث نفسه)^٧ ، وكذلك في حياة (معدي كرب ابن الحارث) ، الذي كانت سيطرته على القبائل الأقرب إلى حدود الدولة البيزنطية كما سبق وأوضحنا ذلك .

وهذا قد يقودنا إلى التساؤل ، حول ما إذا كان (الحارث بن عمرو) قد جعل — بعد تقسيمه للقبائل بين أبنائه الأربعة — لابنه (قيس) السلطة العليا على كندة ، ومعد . ويكون ذلك هو الذي جعل بيزنطة تلجأ إليه بصفته تلك . نقول ذلك

^١ انظر أولندر . ملوك كندة ، ص ١٧٨ .

^٢ الخمر ، ص ٢٥٢ .

^٣ المصدر نفسه ، والصفحة نفسها

^٤ أولندر . ملوك كندة ، مقدمة المترجم ، ص ٣٠ .

^٥ البغدادي ، ص ٣٧٠ .

^٦ ابن حزم الأنطلسي . جمهرة الأنساب ، ص ٤٢٨ .

^٧ أولندر . ملوك كندة ، مقدمة المترجم ، ص ٣١ — صحاب ، إيلاف قريش ، ص ١٤٢ .

^٨ للرجح أن (سلمة) م بصطلم بأبيه (شرحيل) إلا بعد موت أبيهم (حمر) . مما يعني أن يوم الكلاب الذي وقع فيه ذلك الصدام ، قد كان بعد عام (٥٣٠ م) (أولندر . ملوك كندة ، ص ١٤٩ : ١٥٠) .

مستأنسين بالقول السابق للمصادر بأنه كان ملكاً سياراً يملك أي قوم ينزل فيهم .
وذلك قد يعني أنه — بصفته التي أشرنا إليها — إذا حل في ديار قبيلة من قبائل اخوته ،
يكون له الملك فيها من دون أخيه المعين عليها . وإلا فما هي القبائل التي يملكها عندما
يجل فيها ؟ .

ولا ننسى ونحن نورد هذا الرأي ما تذكره بعض المصادر العربية عن وجود ابن
آخر للحارث يدعى (عمرو)^١ . أي أنه قد يقابل أحد أخوي (قيس) المذكور في
المصادر البيزنطية . وإن كانت هذه المصادر نفسها لا تسمح لنا بالذهاب في ذلك
الاستنتاج بعيداً عندما تذكر أن (عمرو بن الحارث) هذا قد أسر مع أخيه (مالك) ،
وقتل ، أثناء مطاردة (المنذر اللخمي) لأبيهم (الحارث)^٢ .

وتقف عقبة أخرى أمام تطابق (قيس بن الحارث) مع (قيس) المذكور في
المصادر البيزنطية ، وهي إهمال أغلب المصادر العربية لأمر (قيس بن الحارث) ، وعدم
ذكرها له . وإن كان ذلك — في رأينا — لا يعني بالضرورة عدم وجوده ، بقدر ما قد
يعني أن تلك المصادر ، ربما انشغلت بالصراعات التي تمت بين بقية الأخوة الموزعين
على القبائل العربية ، متناسية (قيس) هذا ، الذي كان قد يمم وجهه شطر
الامبراطورية البيزنطية .

وبغض النظر عن يكون (قيس) الذي قصده المصادر البيزنطية ، فإنه يمكننا أن
نستبطن مما قاله بروكويوس ، عن هروب (قيس) من (سميفع) إلى الصحراء ، أن
(قيساً الكندي) كان يدين بالتبعية لسميفع ، وأنه لم يكن من الميسور تنصيه أو حتى
عودته دون موافقته^٣ . وذلك يعني أن القبائل المعدية في الحجاز ونجد قد استمرت في
ولائها للملك (سميفع أشوع) حتى في ظل تبعيته للأحباش^٤ .

وبالعودة إلى (قيس الكندي) وعلاقته مع البيزنطيين ، نستطيع القول إن
(قيساً) قد جلب معه إلى فلسطين جيشه العربي ، الذي اضطلع بحراسة الحدود

^١ ابن الأثير ، الكامل ، ج ١ ، ص ٣٠٥ .

^٢ المصادر نفسه ، والصحة نفسها .

^٣ ينجوميكا . العرب على حدود بزنطة ، ص ٢٠٢ .

^٤ كويشانوف . الشمال الشرقي الأثري ، ص ١٠١ .

والدفاع عن الولاية الفلسطينية . أما الحارث الغساني فقد أوكلت إليه مهمة حراسة الحدود الشمالية الشرقية من سورية وفينيقية^١ .

وعلى الرغم من أن البيزنطيين كانوا قد عينوا الحارث الغساني كبيراً لجميع عرب الروم ، ومنحوه لقب (ملك) — وذلك إثر تمكن (المنذر الثالث) من القضاء على خصمه العنيد (الحارث الكندي) — الذي يعمل على تمكّنه من الوقوف أمام النفوذ المتعاظم للمنذر^٢ . إلا أن ذلك — على ما يبدو — لم يكن كافياً لتحجيم (المنذر) ، نظراً لعدم امتلاك الغساسنة لأي نفوذ بين صفوف قبائل وسط الجزيرة العربية ، الأمر الذي دفع البيزنطيين لطلب التحالف مع الكنديين مرة أخرى ، باعتبارهم المنافسين الوحيدين للمناذرة في هذه المنطقة ، حيث رأوا في الأمير (قيس) خير من يقوم بهذه المهمة^٣ .

ولا ندري كيف تطورت العلاقة بين قيس الكندي مع البيزنطيين ، ومع الغساسنة الذين كانوا يقومون بدور يشبه الدور المنوط به ، وكل ما نعرفه من بروكوبيوس أن أبو كرب (بن جبلة) قد أصبح زعيماً لعرب فلسطين ، وهو المنصب الذي كان يشغله (قيس الكندي) من قبل ، من غير أن يوضح لنا متى كان ذلك السفير وما هي أسبابه^٤ .

وترى ييفوليفسكي^٥ ، أن المكانة التي أصبحت لقيس الكندي لدى البيزنطيين ، قد أثارت حسد الغساسنة عليه ، بحيث تمكنوا من طرده ، وآلت المناطق التي كانت له إلى يد (أبو كرب بن جبلة) شقيق الملك الغساني (الحارث بن جبلة) ، وذلك في بداية الأربعينات من القرن السادس الميلادي . وتستدل على ذلك باستقبال (أبرهة) (عام ٥٤٣ م) لرسول من (أبي كرب بن جبلة) منفصل عن رسول أخيه الملك

^١ ييفوليفسكي . المرجع السابق . ص ٢٠٥ .

^٢ أوسدر . ملوك كسنة ، ص ١١٦ — حلال . العرب القديم ، ص ١٥٥ .

^٣ يجب أن نضع في حسابنا ونغفل ذلك ، أن استعانة البيزنطيين بقيس الكندي ، كانت في عام (٥٢٩ م) . أي في وقت قريب من وفاة (الحارث الكندي) عام (٥٢٨ م) ، الذي كان قد عاد للتحالف مع البيزنطيين قبل مقتله . أي أن التحالف الجديد ربما يكون مجرد امتداد للتحالف القديم .

^٤ انظر ذلك في : ييفوليفسكي . العرب على حدود بيزنطة ، ص ٢٠٩ .

^٥ ييفوليفسكي . العرب على حدود بيزنطة ، ص ٢٠٥ .

(الحارث بن جبلة) ، مما يعني أنه قد أرسل رسولاً بصفته عاملاً للبيزنطية على فلسطين (CIH 541/91-92) .

ولنحسب أننا لا نستطيع أن نجزم هنا بما ذهبت إليه بيغوليفسكيا ، نظراً لعدم امتلاكنا الوثائق التي تؤكد ذلك . فنقش (أبرهة) يمكن أن نستشف منه أن (أبا كرب بن جبلة) كان زعيماً للعرب في ولاية فلسطين في عام (٥٤٣ م) المؤرخ به النقش . لكننا لا نعرف منه ولا من غيره ، كيف وصل إلى تلك الزعامة ؟ ولا متى بالتحديد ؟ وبالتالي فنحن لا نستطيع القول إن ذلك قد تم إثر طرد (قيس) . لأنه من غير المستبعد أن يكون (أبو كرب) مجرد بديل اتخذ البيزنطيون بعد أن فقدوا (قيس) ، لموته مثلاً . أو على الأقل بعد أن أدركوا عجز (قيس) عن أداء المهمة التي أنيطت به بسبب ضعف الكنديين ، في وسط الجزيرة العربية ، نتيجة للضربات الموجعة التي وجهها إليهم (المنذر الثالث) ، مما أدى إلى تمرد معد على الكنديين وميلها إلى صف المناذرة كما عرفنا ذلك في الفصل المنصرم ، وذلك من خلال دراستنا للنقش (Ry 506) الذي يصف خروج (أبرهة) في حملة على معد ، إثر تمردهم على حكمه عام (٦٦٢ ح / ٥٤٧ م) . ولا نستبعد أن يكون التمرد المعدي قد بدأ منذ مدة سابقة لهذا التاريخ ، ولكن (أبرهة) كان عاجزاً عن تأديبهم ، نظراً لإنشغاله بتأمين الأوضاع الداخلية في جنوب الجزيرة كما عرفنا ذلك من النقش (CIH 541) . وحتى بعد حملة (أبرهة) على معد ، فإنه قد اضطر أن يولي عليها (عمرو بن المنذر اللخمي) ، مما يؤكد ارتباط القبائل المعديّة بالدولة اللخمية - خلال هذه الفترة - وانتهاء النفوذ الكندي على هذه القبائل . وهذا يعني أن دولة كنده كانت قد قاوت حينئذ ، أو أصبحت على الأقل في مرحلة الاحتظار .

آل الجون ورحيل كنده إلى الجنوب :

إننا عندما نتحدثنا عن دولة كنده - فيما سبق - إنما قصدنا تلك الدولة ، التي تسلسل ملوكها من عمرو بن حجر وابنه الحارث . أما ذلك الفرع الآخر من كنده الشمالية ، المنتمي إلى (معاوية بن حجر) المعروف بالجون - الذي ذكرنا أنه تولى

على اليمامة بعد وفاة أبيه ، بينما تولى أخوه عمرو عرش المملكة الكندية^١ - فقد استطاع أن يسطر سلطانه على مدينة هجر الهامة ، في إقليم البحرين . حيث اعتمد سلطان آل الجون هناك على أباء قبيلة كنده الذين استوطنوا تلك المنطقة ، واستطاعوا أن يمارسوا بعض السيطرة على العرب الشماليين المجاورين لهم^٢ .

أما العلاقة التي ربطت آل الجون بفرع المملكة الرئيسي المنتمي إلى عمرو المقصور . فنحن لا نعرف عنها شيئاً نظراً لسكوت المصادر العربية عن ذلك ، والأرجح أنهم كانوا مواليين للملك الكندي^٣ .

وقد ظهر بنو الجون مرة أخرى في المصادر العربية ، عندما ذكرهم وهي تتحدث عن بعض أيام العرب ، خصوصاً يوم شعب جيلة ، ويوم ذي لجب . وستقتطف من أحداث هذين اليومين ما يخص آل الجون . فبالنسبة ليوم شعب جيلة فقد جاء في المصادر أن (لقبط بن ررارة التميمي) قد عزم على غزو بني عامر بن صعصعة لشار بينهما ، فبينما هو يتجهز أتاه الخبر بحلف بني عيس وبني عامر ، فلم يطمع في القوم ، فأرسل إلى كل من كان بينه وبين عيس ثار يسأله الحلف ، فاجتمعت إليه قبيلتي أسد وغطفان ، وكذلك (عمرو بن الجون) و (معاوية بن الجون)^٤ ، وساروا جميعاً بعد أن عقد (معاوية الجون) الألوية^٥ . وتم لهم جمع لم يكن في الجاهلية أكثر منه ، فلم تشك العرب في هلاك عيس وبني عامر^٦ .

وكان الخبر قد وصل إلى بني عامر وعيس بمصر القوم إنهم ، فالتجئوا إلى شعب جيلة ، وحصنوا النساء والذراير والأموال في رأس الجبل ، ومنعوا الماء عن الإبل وعندما وصلت تميم ومن معها إلى موضع الماء ، أخرجت بني عامر عليهم الإبل العطاش ، فخرجت تحطم كل شيء تمر به . وحملت عيس وعامر على بني تميم ومن

^١ انظر ص ٧٩ من هذا المصطلح

^٢ أولستر . ملوك كنده ، ص ١٨٢ ، ١٨٣ ، ١٨٧ ، ١٩٩

^٣ المصدر نفسه ، ص ١٨٢

^٤ الأمراء الجنوبيين المذكورين هنا هم من سلالة (معاوية الجون) (عمرو المقصور) أما عقد (معاوية بن الجون) للألوية فيمر عن المكانة الخاصة التي كانت لأموال مصر الكندي ، بين رعاة القبائل العربية انظر : (أولستر . ملوك كنده ، ص ١٨٦ ، ١٨٧ ، ٢٠٠)

^٥ ابن الأثير . الكامل ، ج ١ ، ص ٣٥٥ ، ٣٥٦ - جاد المولى (وآخرون) . أيام العرب ، ص ٣٥٦ .

معهم ، فاقتلوا قتلاً شديداً ، حتى انهزمت تميم وأحلافها ، وكثر القتل في صفوفهم ، وكان أول من قتل من رؤسائهم هو (عمرو بن الجون) ، بينما أسر (معاوية بن الجون) على يد (عوف بن الأحوص العامري) الذي حر ناصيته وأعتقه ، ولكن (قيس بن زهير العبسي) لقي (معاوية) بعد إطلاقه فقتله^١ .

أما يوم ذي نجب ، فقد كان سببه أن بني عامر لما أصابوا من تميم ما أصابوا في يوم شعب جبلة ، رعبوا في استصالحهم . فكاتبوا (حسان بن كبشة الكندي)^٢ ، وطلبوا منه أن يغزو معهم بني حنظلة التميمية . فأقبل إليهم بصنائه^٣ ، ومن كان معه ، فاقتلوا مع بني يربوع ، وبني حنظلة ، حيث قُتل (حسان الكندي) ، وبعض زعماء عامر ، وانهزمت بنو عامر ، وصنائع ابن كبشة . وكان يوم ذي نجب بعد يوم شعب جبلة بعام واحد^٤ .

هذا خبر يومي شعب جبلة وذي نجب . حيث نلاحظ أن السدائرة — في كلا اليومين — قد دارت على الطرف الذي يقف فيه الكنديين من آل الجون ، الذين فقدوا زعمائهم أثناء المعارك ، الأمر الذي لا شك أنه قد فت في عضدهم ، وأضعف شوكتهم . ولعل ذلك هو الذي جعل الحمداني^٥ يعد مقتل زعمائهم في يوم شعب جبلة ، هو الذي أدى إلى رحيل قبيلة كندة من مناطق شمال الجزيرة إلى حضرموت اليمن ، حيث يقول :
 " وفي حضرموت سكنت كندة بعد أن أجلت عن البحرين والمشرق وغمر ذي كندة في الجاهلية ، بعد قتل ابن الجون ، وكان الذي نقل منهم عن هذه البلاد إلى حضرموت ، نيفاً وثلاثين ألفاً^٦ .

^١ ابن الأثير . الكامل ، ج ١ ، ص ٣٥٦ — حاد المولى (وآخرون) ، أيام العرب ، ص ٣٥٥ ، ٣٥٦ ، ٣٦٠ .

^٢ حسان بن كبشة : هو ملك كندة في هجر ، واسمه (حسان بن معاوية) وكبشة اسم أمه ، وهو ابن معاوية بن الجون الذي لقي حتفه في يوم شعب جبلة . (ابن الأثير . الكامل ، ج ١ ، ص ٣٦٣ — أولندر . ملوك كندة ، ص ٢٠٤ ، ٢٠٥)

^٣ الصنائع هي خواص الخيل الذين يعطسهم من العرب ، وقد كاتب صنائع آل الجون في هجر ، المصصة لحماية مدينتهم وسوقهم الشهير . وكذلك حماه ارتباطاتها التجارية مع الأقطار المحيطة بالخليج الفارسي (العربي) . (أولندر . ملوك كندة ، ص ٢٠٥ — سلم العرب قبل الإسلام ، ص ٢٣٢) .

^٤ ابن الأثير . الكامل ، ج ١ ، ص ٣٦٣ — حاد المولى (وآخرون) ، أيام العرب ، ص ٣٦٥ ، ٣٦٦ .

^٥ الصمة ، ص ١٧١ .

^٦ من الطبيعي أن هذا العدد — إن صح — إنما يشمل كل كندة ، بما في ذلك النساء والدراري . لأنه لو كان يقتصر على الرجال المقاتلين فقط لما صعدت كندة .

أما عدم إشارة الهمداني إلى يوم ذي نجب الذي اشترك فيه الكنديون بعد يوم شعب جبلة ، فذلك ربما لأنه عدّه امتداداً ليوم شعب جبلة نظراً لارتباطه به ، إلى جانب عدم أهمية يوم ذي نجب مقارنة بيوم شعب جبلة ، الذي يوصف بأنه أعظم أيام العرب ، وأن الجمع المشترك فيه لم يكن في الجاهلية أكثر منه^١. وكذلك لا نستبعد أن وقعة يوم شعب جبلة قد أنزلت ضرراً بليغاً بمية أمراء كندة ، فكانت أول سبب لانحلال أمرهم^٢.

ولعل ما ذكره ابن حبيب البغدادي^٣ يوضح لنا ما أجهم عند الهمداني ، حيث قال : " وانخرق ملك كندة ، فقام (عمرو أقحل بن أبي كرب بن قيس بن سلمة بن الحارث الملك) فقال : يا معشر كندة ، إنكم قد أصبحتم بغير دار مقام ، وقد ذهب أشرافكم ، وانخرق ملككم ، ولا آمن العرب عليكم ، فالحقوا بقومكم . فرحلوا ، فالحقوا بحضرموت " . وإسناد ابن حبيب البغدادي أمر القيام بعودة كندة - إلى مواطنها الأولى في حضرموت اليمن - إلى عمرو أقحل سليل الحارث بن عمرو ، قد يؤكد ما ذهبنا إليه آنفاً ، من تأثير كندة بمقتل الزعماء الكنديين من آل الحون ، في يومي شعب جبلة ، وذي نجب ، وافتقارهم إلى القيادة الحكيمة التي تدبر أمرهم وتمنعهم من هجمات القبائل العربية المجاورة لهم. ويفهم ضمناً من قول (عمرو أقحل) " ولا آمن العرب عليكم " أنه ربما لاحظ بوادر تحركات من القبائل العربية الشمالية للإجهاز على من تبقى من كندة ، في منطقة شمال الجزيرة العربية ، مستغلة الضعف الذي آلت إليه قبيلة كندة ، مدفوعة برغبة الانتقام من كندة ورعماها الذين حكموا هذه القبائل فترة من الزمن .

وبالرجوع إلى تاريخ يوم شعب جبلة ، الذي يربط الهمداني أمر عودة كندة إلى حضرموت به ، نجد أن المصادر العربية قد اختلفت في تحديد تاريخه ، بين قائل : إنه

^١ ابن حيد وج - المقد الفريد ، ج ٥ ، ص ١٤١ .

^٢ أولمير - ملوك كندة ، ص ١٩٠ .

^٣ الفهرست ، ص ٣٧٠ .

كان قبل مولد النبي ﷺ بسبع عشرة سنة ، وقاتل إنه كان في العام الذي ولد فيه النبي ﷺ ، وثالث يعيده إلى عهد الملك اللخمي النعمان بن المنذر (النعمان الثالث)^١ .

ويرى البعض أن عودة كندة إلى حضرموت قد ارتبطت بسلاحتلال الفارسي لليمن ، لأن كندة الموجودة في هجر والمشقر ، كانت حليفة للفرس ، ومعتمدة عليهم اعتماداً كاملاً . ولذلك فهي ربما هلت للتوسع الفارسي نحو اليمن ؛ لأنه سيسهل لها أمر عودتها إلى منازلها الأولى في جنوب الجزيرة ، خصوصاً بعد ما أصابها من شذائد في شمال الجزيرة^٢ . أما عن فترى أنه من الصعوبة بمكان وضع تاريخ محدد لعودة كندة إلى اليمن ، وكل ما يمكننا قوله بهذا الخصوص ، أن تلك العودة قد حدثت في وقت ما من النصف الثاني للقرن السادس الميلادي .

ويمكننا هنا موافقة أحد الباحثين في تصويره لمراحل طريق العودة الذي سلكته كندة ، والذي يجعل انتقال الكنديين ابتداء من غمر ذي كندة إلى المشقر وهجر في البحرين ، ومن هناك اندفعوا صوب الجنوب إلى حضرموت^٣ . حيث انضموا إلى أبناء قبيلتهم الذين فضلوا البقاء في الجنوب ، ولم يهاجروا مع من هاجر إلى الشمال^٤ . ويفهم من الهمداني^٥ ، أن بني الحارث بن عمرو بن حجر قد سكنوا في دمون من أرض كندة .

وستطيع القول أن ليس كل الكنديين عادوا إلى الجنوب ، وأن بعض الجماعات الصغيرة من أبناء هذه القبيلة ، قد بقيت في منطقة شمال الجزيرة العربية ، ولم ترحل مع من رحل نحو الجنوب ، خصوصاً تلك الجماعات التي تمكنت من فرض سيطرتها على موضع ما في منطقة الشمال . فهذا هي المصادر العربية تحدثنا أن الذي كان متمكناً على دومة الجندل عند ظهور الإسلام إنما هو أحد الكنديين ، ويدعى (أكيدر بن عبد

^١ عن هذه الاختلافات ، انظر : (أولندر . ملوك كندة ، ص ١٩٠ ، ١٩٦ ، ١٩٧) . أما النعمان الثالث فقد حكم على الأرجح بين عامي (٦٠٥-٥٨٣) . (السيرة . العرب القدم ، ص ٢٠٤) .

^٢ أولندر . ملوك كندة ، ص ٢٠٧ .

^٣ لا أحمد . سامي سعيد . تاريخ الخليج العربي ، البصرة ، ١٩٨٥ م ، ص ٣٧٥ .

^٤ الرأي الغالب أن الجزء الأكبر من قبيلة كندة ، قد وصلوا الماء في مواضعهم الجنوبية (أولندر . ملوك كندة ، ص ١٩٠ - يغوليفسكا . العرب على حدود بيزنطة ، ص ١٧٩ .

^٥ الصفحة ، ص ١٦٨ .

الملك بن السكون . وكان نصرانياً ، حيث صالحه الرسول ﷺ — أثناء خروجه لغزوة تبوك — على دفع الجزية^١.

ومن الطبيعي ونحن نتحدث عن عودة كندة الشمالية إلى الجنوب ، أن نحاول معرفة العلاقة التي كانت تربط الدولة الكندية في شمال الجزيرة بأبناء قبيلة كندة الذين بقوا في حضرموت اليمن . وفي إطار ذلك نستطيع القول أن الكنديين الذين بقوا في اليمن كانوا يخضعون خضوعاً مباشراً لسلطة الدولة المركزية في اليمن مثلهم مثل بقية قبائل جنوب الجزيرة .

ومن غير الممكن الحديث عن امتداد سلطة الدولة الكندية لتشمل أبناء قبيلة كندة المقيمين في جنوب الجزيرة^٢. وإن كان ذلك لا يمنع استمرار العلاقات الاجتماعية بين أبناء القبيلة الواحدة ، سواء وجدوا في جنوب الجزيرة أو شمالها^٣. وذلك ما يمكننا استنباطه من شعر لأمرئ القيس بن حجر — حفيد الحارث بن عمرو — يذكر فيه زيارته وترحله في ديار كندة من أرض اليمن . فقد جاء في إحدى قصائده هذا البيت :

كأني لم أله بدمون مرة ولم أشهد الغارات يوماً بعندل^٤

ويذكر البعض أن كندة بعد أن التأم شمالها في حضرموت مرة أخرى ، قد تمكنت من تأسيس دولة جديدة لنفسها هناك^٥. لكن الشواهد التاريخية تنفي ذلك ، وتؤكد أن كندة خلال هذه الفترة لم تكن إلا قبيلة من القبائل ، حتى وإن كانت ذات عدد وقوة ، وحمل رؤسائها لقب ملك^٦.

وقد استمرت زعامة قبيلة كندة — بعد التأم شمالها — في أيدي زعمائها الجنوبيين^٧. ولعل المصادر العربية كانت تشير إلى هذه الفترة عندما تحدثت عن خروج

^١ بن هشام . السيرة ، مج ٢ ، ج ٤ ، ص ٢٩٣ .

^٢ بيغوليسكا . العرب على حدود بيزطة ، ص ١٧٩ — أولدر . ملوك كندة ، ص ١٨١ .

^٣ بيغوليسكا . العرب على حدود بيزطة ، ص ١٧٩ .

^٤ احمداني . القصبة ، ص ١٦٧ . ودمون وعندل مدن لكندة في منطقة حضرموت .

^٥ بيغوليسكا . العرب على حدود بيزطة ، ص ١٧٩ .

^٦ أولدر . ملوك كندة ، ص ٧٠ . لم يكن ملك الزعماء الكنديين إلا ملك إسمي ، فلم يعد ملكهم الزعماء قبيلتهم . إلى جانب ظهور أكثر من زعيم للقبيلة في وقت واحد ، جميعهم يحمل لقب ملك . (الشماخ . ليس في صدر الإسلام ، ص ٤٤) .

^٧ أولدر . ملوك كندة ، ص ١٨٢ .

ملك كندة من يد بني آكل المرار إلى بني الحارث بن معاوية ، على يد (قيس بن معدي كرب بن معاوية بن جبلة بن عدي بن ربيعة بن معاوية بن الحارث بن معاوية)^١ .
وقد قُتل (قيس) هذا في موقعة حربية مع قبيلة مراد ، قبيل البعثة الحميرية بجوالي خمس سنوات . فخلفه ابنه (الأشعث بن قيس) على زعامة كندة^٢ . وهو الذي وفد على رسول الله ﷺ مسلماً على رأس كندة ، في السنة العاشرة للهجرة في ثمانين ركباً من قومه^٣ .

ويجبرنا ابن هشام^٤ ، أن (الأشعث بن قيس) قد انتسب أمام الرسول ﷺ إلى بني آكل المرار . ويعلق المؤلف على ذلك بقوله : إنه إنما ينتسب إلى بني آكل المرار عن طريق أمه ، وليس عن طريق أبيه . ونحن نرى أن انتسابه إلى بني آكل المرار ، إنما يعد من قبيل المفاخرة ، نظراً لشهرة بني آكل المرار بين العرب ، ويتضح ذلك من قول الأشعث بن قيس لرسول الله ﷺ " نحن من بني آكل المرار ، وأنت ابن آكل المرار " مع أنه يعلم نسب الرسول ﷺ ، ولكنه أراد أن يمدحه بذلك . ولقد فهم رسول الله ﷺ ما رمى إليه (الأشعث) فتبسم ﷺ لقوله ، وقال له : " ناسبوا بهذا النسب العباس بن عبد المطلب وربيع بن الحارث " ، ويعلق المؤلف على ذلك قائلاً : " وكان العباس وربيع رجلين تاجرين ، وكانا إذا شاعا في بعض العرب فسلا من هما قالا : نحن بنو آكل المرار ، يتعززون بذلك ، وذلك أن كندة كانوا ملوكاً " .

ونفهم من ذلك ما كان لبني آكل المرار من علو مكانة ، وذووع صيت ، استمرت حتى بعد انتهاء دولتهم . فها هما العباس وربيع فضلاً الإحتماء وراء ذلك الاسم ، رغم المكانة المحترمة التي كانت لقيبتهم قريش بين القبائل العربية الأخرى ، بصفتهم حماة الحرم الذي تحج إليه العرب .

^١ علي - لفصل ، ج ٣ ، ص ٣٥٧ . وعن الاسم الكامل قيس - انظر (ابن حزم الأندلسي - جمهرة نساب العرب ، ص ٤٢٥) .

^٢ البغدادي - انظر ، ص ٢٤٤ ، ٢٤٥ - الشجاع - الجس في صدر الإسلام ، ص ٤٥ .

^٣ ابن هشام - السيرة ، مج ٢ ، ج ٤ ، ص ٣٣٣ - الشجاع - قيس في صدر الإسلام ، ص ١٧٤ .

^٤ السيرة ، مج ٢ ، ج ٤ ، ص ٣٣٣ .

وقد ولي الرسول ﷺ على كندة (زياد بن ليد الياضي الأنصاري) وجعل (سيف بن قيس) أخا (الأشعث بن قيس) مؤذنًا لقومه . وهذا أصبحت كندة جزءاً من الدولة الإسلامية^١.

ويذكر ابن هشام^٢، أن الرسول ﷺ تزوج امرأتين من كندة ، ولم يدخل بهما ، وهما (أسماء بنت النعمان الكندية ؛ تزوجها فوجد بها بياضاً ، وردّها إلى أهلها " ، وكندية أخرى هي بنت عم لأسماء (يقال إن رسول الله ﷺ دعاها ، فقالت : إنا قوم نؤتي ولا نأتي ، فردّها رسول الله ﷺ إلى أهلها " .

أما ابن حبيب البغدادي^٣، فيذكر أن الرسول ﷺ تزوج ثلاث نساء من كندة هن : أسماء بنت النعمان بن الأسود بن الحارث بن شراحيل بن كندي بن الجسون . والجنونية الكندية ، وهي غير أسماء ، ولكن لم يدخل بهما بسبب تعودهما منه بمكيدة من بقية نسائه . أما الثالثة فهي ، قبلة ، أخت الأشعث بن قيس ، التي زوجها له (الأشعث) بعد فراقه لأسماء ، وذهب إلى حضرموت حتى يجهزها له ، ولكنه علم بوفاة الرسول ﷺ قبل أن يرسلها إليه .

وبهذا ننهي دراستنا عن دولة كندة بصفة عامة ، وعلاقتها باليمن بصفة خاصة ، حيث نستطيع القول إن العلاقة التي ربطت بين كندة في دهرها الثاني واليمن تشبه تلك العلاقة التي ربطت المناذرة مع الفرس ، والغساسنة مع البيزنطيين^٤ . وقد فرض الحميريون بواسطة الدولة الكندية سلطتهم على القبائل المعديّة في وسط الجزيرة العربية^٥ . وإن كان ذلك لم يجمع الكنديين من إقامة علاقة مباشرة مع الفرس والبيزنطيين كما لاحظنا ذلك في ثنايا هذا الفصل ، خصوصاً في فترات ضعف الدولة الحميرية ، الأمر الذي جعل الكنديين يبحثون لهم عن حلفاء جدد من الفرس والبيزنطيين ، الذين كانوا بدورهم يرحبون بمثل تلك العلاقة ، نظراً لسيطرة الدولة الكندية على منطقة

^١ الشجاع ، ليس في صدر الإسلام ، ص ١٧٧ .

^٢ السيرة ، مج ٢ ، ج ٤ ، ص ٣٧٥ .

^٣ الحبر ، ص ٩٤ ، ٩٥ .

^٤ أولسر ، ملوك كندة ، ص ٧٠ - زيفان - العرب قبل الإسلام ، ص ٥٢١ .

^٥ عاحدا ، حوب الجزيرة موحدة ، ص ١٨٩ .

وسط الجزيرة العربية ، خصوصاً بعد أن مدت سيطرتها على أراضي واسعة ، امتدت من حدود الدولة الحميرية جنوباً ، إلى حدود الدولتين الفارسية والبيزنطية شمالاً^١ (اليمامة ، نجد ، الحجاز ، البحرين) . واستطاعت كندة بذلك أن توحد — لأول مرة في التاريخ — عرب وسط الجزيرة ، تحت زعامة واحدة^٢ . وقد مهد ذلك لاجتماع القبائل العربية المختلفة — بعد فترة — في إطار الدولة الإسلامية الناشئة^٣ . وكان من ضمن هذه القبائل قبيلة كندة نفسها التي كان لها دورها الملموس في الفتوحات العربية الإسلامية^٤ .

^١ من حدود الدولة الكندية . انظر : (معاتب . إيلاف قريش ، ص ١٦٠) .

^٢ حتى تاريخ العرب ، ص ١٢٧ — هـو . العرب قبل الإسلام ، ص ١٣٧ — سليمان . مجتمع قريش ، ص ١٥

^٣ عويدي . اعصابيوس . محاصرات في تاريخ اليمن والجزيرة العربية قبل الإسلام ، ترجمة / إبراهيم السامرائي ، بيروت ، ١٩٨٦ م ص ٤٣ .

^٤ الشجاع . اليمن في صدر الإسلام ، ص ٢٩٢ — ٣٣٠ .

الفصل الرابع

أيام العرب وأثرها على النفوذ اليمني
في شمال الجزيرة العربية

تمهيد :

قبل الدخول في تفصيل الأيام التي تناولها ، سنقدم هذه اللوحة الموجزة عن أيام العرب بصفة عامة .

وأيام العرب هي تلك الحروب والمناوشات التي شهدتها منطقة الجزيرة العربية ، سواء كانت بين القبائل العربية بعضها البعض ، أو بين القبائل العربية والفرس . وقد أُصطلح على تسمية هذه الحروب بالأيام ، أو أيام العرب^١ ، لأن معارك تلك الأيام كانت في الغالب لا تطول غير يوم واحد ، فأما أن تنتهي بانتصار أحد الفريقين وفرار الآخر ، وأما أن يفصل بينهم الليل ، فيفترقون تاركين القتال إلى يوم آخر^٢ .

وقد حفظت لنا بعض كتب الأدب والتاريخ والبلدان عدد غير قليل من أيام العرب^٣ ، خاصة الأيام التي دامت مدة طويلة ، مثل (حرب البسوس) و (حرب داحس والغبراء) التي دامت كل منها حوالي أربعين عاماً ، أو تلك التي كان لها أهمية خاصة في تاريخ العرب (كيوم ذي قار) .

وتجدر الإشارة إلى أن الإخباريين العرب ، اهتموا بسرد أخبار تلك الحروب أكثر من اهتمامهم باستبطائ أسبائها ، وضبط زماها ، وتسلسلها التاريخي ، ورصد خلفياتها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية . إلا أن ابن الأثير^٤ قد تميز عن غيره من الإخباريين ، بأنه أثبت في كتابه (الكامل في التاريخ) أياماً كثيرة ، وحاول أن يسردها وفقاً لتسلسلها التاريخي قدر الإمكان .

أما عن أسماء أيام العرب ، فإن معظمها قد أُسميت بأسماء المواضع التي قامت فيها أو قريباً منها ، مثل يوم السلان ، ويوم خزاز ، ويوم الكلاب ، ويوم أواردة ، وغيرها .

^١ مهرا ن - الخعصرة العربية ، ص ١٦٣ - هيو . العرب قبل الإسلام ، ص ١٨٠ .

^٢ البستاني . بطرس ، الشجر المأهلي ، بيروت ، ١٩٨١ م ، ص ٣٣ ، ٣٤ .

^٣ ابن عبد ربه . المعتمد الفريد ، ج ٥ ، ١٩٤٦ م ، ص ١٢٣ وما بعدها - ابن الأثير . الكامل ، ج ١ ، ص ٢٩٨ وما بعدها - السويدي

لمية الأرب في عرب الأدب ، ج ١٥ ، القاهرة ، ١٩٥٥ م ، ص ٣٣٨ وما بعدها .

^٤ ابن الأثير . المصدر السابق ، ص ٢٩٨-٤٢٢ .

وقد تسمى بعض هذه الأيام بأسماء من تسبب في نشوبها ، مثل حرب البسوس ، وحرب داحس والغبراء ، أو بالمناسبة التي حدثت فيها مثل حرب الفجار^١.

ولقد تعددت الأسباب المؤججة لهذه الأيام ، بين أسباب سياسية ، واقتصادية ، واجتماعية ، مع تفاوت في أهمية هذه الأسباب بين يوم وآخر ، حيث حظيت بعض هذه الأسباب بالوجاهة والعقولة ، بينما تميز بعضها بالفاحشة والسذاجة^٢.

ولم تكن تلك الأيام متساوية في أهميتها ، حيث يقتصر القتال في بعضها على مناوشات صغيرة ، بينما يحتدم في بعضها الآخر احتداماً شديداً . وقد يطول الزمن ببعضها لتدوم سوات طويلة ، ولذلك فقد كانت أهمية كل يوم تتحدد بناءً على حدة معاركه ، وشموها ، ومدتها ، والنتائج المتوخاة عنها^٣.

ويحدد بعض الدارسين القرن السادس الميلادي زمناً لأيام العرب بصورة عامة^٤. إلا أننا سنلاحظ من خلال حديثنا عن الأيام التي سندرسها ، أن زمن معظم أيام العرب قد امتد من أواخر القرن الخامس الميلادي إلى مطلع القرن السابع الميلادي^٥. وعلى الرغم من ذلك فلا يزال من الصعب ترتيب هذه الأيام ترتيباً زمنياً ، وتحديد زمن كل يوم منها . وذلك لقلة معارفنا عن المساهمين فيها ، والمؤججين لنارها^٦.

وتشكل هذه الأيام مصدراً أساسياً مهماً عن أحوال القبائل العربية ، وعاداتها ، وتقاليدها ، وأحلاق أفرادها ، وطبيعة العلاقة التي كانت تربط بين هذه القبائل في الفترة التي سبقت ظهور الإسلام^٧. نظراً لأن مادتها تُعد من أقدم مصادر الشرح العربية ،

^١ ساء - عبد العزيز ، العرب قبل الإسلام ، ص ٣٧٦

^٢ مهرا - المرجع السابق ، ص ١٦٥ ، ١٦٦ - هيو . المرجع السابق ، ص ١٨١

^٣ هيو . العرب قبل الإسلام ، ص ١٨٠ ، ١٨١ .

^٤ المرجع نفسه ، ص ١٨٠ .

^٥ نقصد بمعظم الأيام ، تلك الأيام المتلاحقة التي بدأت يومئذ السلان ، وعزاز ، الصف الثاني من القرن الخامس الميلادي ، وانتهت بحروب الأوس والخزرج التي أُلغيت عنها حجة الرسول ﷺ إلى يثرب مطلع القرن السابع الميلادي . وذلك لا يمنع وجود أيام متفرقة يعود إلى قبل ذلك التاريخ . كيوم طسم وجديس الذي يعود إلى مطلع القرن الخامس الميلادي ، ويوم حذيفة الأبرش والزياد الذي يعود إلى القرن الثالث الميلادي

^٦ مهرا - اختصار العربية ، ص ١٦٤

^٧ هيو . العرب قبل الإسلام ، ص ١٨٠ ، ١٨١ - مهرا . الحضارة العربية ، ص ١٦٤ ، ١٦٥ .

وأكثرها قيمة بعد الشعر الجاهلي^١، بما حفظته لنا من تفاصيل أمينة وصادقة، عن حياة العرب قبل الإسلام، ما كان لسهل العثور عليها في غيرها من المصادر^٢، كما أنها تعكس جوانب من أحوال العرب، وعاداتهم، وأسلوب حياتهم، ونظرتهم إلى الحرب والسلم، وصبرهم في القتال، وصمودهم، وبسالتهم عند اللقاء، وتقاليدهم في معاملة الأسرى، ودية القتل ومقدارها. ومع ذلك تظل صحة الأخبار الواردة في أيام العرب موضع نظر، لتباعد المسافة بين تاريخ أحداثها، وتاريخ تدوينها^٣. وكذلك طغيان الطابع الأسطوري على بعض أحداثها^٤، وتغيز بعض رواها بالتعصب لأقوامهم، وبعدهم عن الحيدة التاريخية^٥.

ويبدو أن بعض هذه الأيام قد دخله مبالغات فيما بعد، كما أن بعضاً آخر منها وضعته الأجيال التي عاشت في العهد الإسلامي، وقد توصل إلى مثل هذا الاستنتاج الطبري، كبير المؤرخين المسلمين، الذي لم يذكر في تاريخه سوى يوم ذي قار، وذلك إما لأن الأيام الأخرى لم تثبت في رأيه، وإما لأنه لم ير لها من الأهمية الكافية لتدوينها في كتابه^٦.

وقد اختلف المهتمون بدراسة أيام العرب حول عددها، وذلك لأهمية بعضها، وتفاهة البعض الآخر^٧. فقد روي أن أبا عبيد ألف كتابين عن أيام العرب، أحدهما صغيراً حوى على خمس وسبعين يوماً، والآخر كبيراً اشتمل على ألف ومائتي يوم. أما أبو الفرج الأصفهاني فقد جمع منها في كتابه المخصص لها، ألفاً وسبعمائة يوم^٨. ولكن مع الأسف الشديد فإن تلك الكتب فقدت، وكل ما وصل إلينا عن أيام العرب عبارة عن روايات منتشرة في كتب الأدب والتاريخ. فهذا هو ابن الأثير يورد في ختام الجزء

^١ أولدر - ملوك كندة، ص ٤٠. ارتبط الشعر الجاهلي في مجله وتفصيله ارتباطاً تاماً بهذه الأيام، وخاصة ما كان منه في العصر والحماة والرياء والمساء. (سعد المولى [وآخرون]، أيام العرب، ص: ط).

^٢ بيمولفسكي - العرب على حدود بيزنطة، ص ٢١.

^٣ أولدر - ملوك كندة، ص ٤٠.

^٤ بيمولفسكي - المرجع السابق، ص ١٧٦.

^٥ مهرا - الحصار المرية، ص ١٦٤.

^٦ فروخ - حمر، تاريخ الجاهلية، بيروت - ١٩٦٤م، ص ٨٩.

^٧ هيو - العرب قبل الإسلام، ص ١٨١.

^٨ حاجي خليفة - كشف الظنون عن أسماء الكتب والفنون، ج ١، استانبول، ١٩٤١م، ص ٢٠٤.

الأول من كتابه الكامل في التاريخ^١. ذكر لثمان وستون يوماً، يصفها بقوله : " ونحن نذكر الأيام المشهورة والوقائع المذكورة التي اشتملت على جمع كثير ، و قتال شديد ولم أعرج على ذكر غارات تشتمل على نفر اليسير ؛ لأنه يكثر ويخرج عن الحصر " . وقد ألف بعض الدارسون المحدثون كتاباً خصص لأيام العرب ، جمعوا فيه — حسب قولهم — الأيام المشهورة التي وصلت إليهم تفاصيل حوادثها ، وذكر أسبابها ، ورواية أشعارها . وقد بلغت لديهم ثلاثاً وستين يوماً^٢.

وتقسم أيام العرب عادة إلى أربعة أقسام رئيسية هي : أيام بين العرب والفرس ، وأيام بين القحطانيين والعدنانيين ، وأيام بين القحطانيين بعضهم البعض ، وأيام بين العدنانيين بعضهم البعض ، ويتفرع من القسم الأخير أقسام جرنية عديدة ، نظراً لكثرة الأيام التي تدخل ضمن هذا القسم ، مقارنة له مع الأقسام الأخرى^٣.

ورعنا يتبادر إلى الذهن من أول وهلة ، أن الأيام التي سندرسها في هذا الفصل ، هي تلك الأيام التي دارت رحاها بين قبائل قحطانية من جهة ، وقبائل عدنانية من جهة أخرى ؛ وذلك للاعتقاد السائد بأن القحطانيين هم سكان جنوب الجزيرة ، والعدنانيين هم سكان شمال الجزيرة . لكن ذلك لن يكون هو المنهاج الذي سنتبعه في دراسة الأيام الداخلة ضمن هذا الفصل . للأسباب التالية :

— الشك في وجود هذا التقسيم أصلاً في عصر ما قبل الإسلام^٤. مع رفض بعض المؤرخين لفكرة الأصل الجنوبي (القحطاني) لبعض قبائل شمال الجزيرة التي قبل إنها قحطانية^٥. إلى جانب اختلاط تلك القبائل — إن أمناً بقحطانياتها — مع حاراتها العدنانية ، وتكلمها بلغة عرب الشمال^٦، واقتصار علاقتها مع الدولة اليمنية ، على تلك العلاقة ، التي ربطت قبائل

^١ ج ١ ، ص ٢٩٨ ، ٢٩٩ .

^٢ معاد المولى (وآخرون) . المرجع السابق ، ص : ج — ل .

^٣ انظر : المرجع نفسه ، ص : ج — ح — مهراون . الحاضرة العربية ، ص ١٦٦ ، ١٦٧ .

^٤ لمزيد من التفاصيل حول ذلك انظر . أبو النيث . العلاقة ، ص ٤٠ .

^٥ ريدان . العرب قبل الإسلام ، ص ٢٠٥ — علي . الفصل ، ج ١ ، ص ٢٤٩ ، ٢٥٠ .

^٦ هو . العرب قبل الإسلام ، ص ١٦٤ — ١٦٦ .

شمال الجزيرة بصفة عامة مع تلك الدولة ، بغض النظر عن أصلها القحطاني أو العدناني^١ .

— إن الأيام التي دارت بين قبائل قحطانية وعدنانية ، لم تختلف عن بقية الأيام الأخرى ، ولم يكن لكثير منها علاقة بجنوب الجزيرة ، فهي حروب قبلية كغيرها من حروب الأيام الأخرى . فالعصية القبلية هي التي تحرك الفرقاء المتحاصمين فيها. ويكون المم الأول لأفراد كل قبيلة هو الانتصار لقبيلتهم ، سواء كانت ظالمة أو مظلومة ، باغية أم مغي عليها . أما الشعور بالانتماء إلى العرق الواحد أو الأمة الواحدة فلم يكن له وجود^٢ . بل إن الأيام التي تصف قحطانية — قحطانية ، كانت في أصلها حروب شمالية لا علاقة لمعظمها بالجنوب . كذلك الأيام التي دارت بين المناذرة والغساسنة ، أو بين الأوس والخزرج^٣ .

— إن أشرس أيام العرب وأطولها وأبقاها ذكراً ، إما دارت في إطار الفرع الواحد (قحطاني أو عدناني) . مثل حرب داحس والغبراء بين عيس وذيان التي كانت في إطار الفرع القيسي العدناني . وحرب البسوس بين بكر وتغلب ، وكلا القبيلتين تنتمي إلى قبائل ربعة العدنانية . وكذلك ما أشرنا إليه من حروب القحطانية فيما بينهم (الغساسنة مع المناذرة ، والأوس مع الخزرج) .

وبعد فإذا كنا هنا لن ندرس الأيام التي دارت بين القحطانيين والعدنانيين بالمصطلح الشائع لهذا التقسيم ، فما هي الأيام التي سندرسها إذا ؟ وإجابة على ذلك نقول إننا سنقتصر على دراسة تلك الأيام التي أثرت على نفوذ الدولة اليمنية في منطقة شمال الجزيرة سلباً أو إيجاباً ، والتي كان أحد طرفيها مرتبطاً بتلك الدولة بصورة أو

^١ استثنى من ذلك كندة التي كان لها وضع خاص سبقت الإشارة إليه في الفصل للتصريح

^٢ هو العرب قبل الإسلام ، ص ١٨١ — مهرداد . الحصاراء العربية ، ص ١٦٥ .

^٣ حاد للولي (وآخرون) . أيام العرب ، ص ٤٢ — ٨٥ .

بأخرى بغض النظر عن القسم الذي ينتمي إليه ذلك اليوم ، وفق الأقسام الأربعة ، التي وضعت لأيام العرب .

ويجب أن نضع نصب أعيننا ، أننا سنجد لبعض الأيام أكثر من رواية ، قد يكون لإحداها فقط علاقة بمنهجنا المتبع في دراسة الأيام ، بينما لا يكون للرواية أو الروايات الأخرى أي علاقة بذلك المنهج . وفي مثل هذه المواقف فإننا سدرس الرواية التي تعيننا ، مع الإشارة إلى وجود روايات أخرى لهذا اليوم لا ترتبط بموضوع بحثنا . وسيكون من ضمن منهجنا — ونحن ندرس الأيام التي نخصنا — استبعاد تلك التفاصيل التي لا يؤثر استبعادها على سياق الموضوع ، ولا على المعنى الذي يراد استنباطه من أخبار اليوم . وسيكون مما نستبعده تلك الأشعار الكثيرة التي قيلت في هذه الأيام ، ولن نثبت منها إلا ما تميز بإيراد مدلولات تاريخية ، يمكن أن تفيدنا في إيضاح شيء غامض ، أو تأكيد معلومة غير مثبتة في سياق أخبار اليوم .

يوم طسم وجديس:

سبق حديثنا عن هذا اليوم ، الذي ذكرت المصادر العربية أن أحداثه دارت بين قبيلتي طسم وجديس القاطنتين في منطقة العروض (اليمامة والبحرين) . وكان ملك طسم المسمى (عمليق) ، موالياً للدولة الحميرية ، وامتد ملكة ليشمل قبيلة جديس أيضاً ، التي لقيت منه ذلاً وهواناً . وقد جعلها ذلك تغدر بطسم وملكها (عمليق) . الأمر الذي أعضب الملك الحميري حسان بن أسعد (حسان يهأس بن أبي كرب أسعد) ، وجعله يسير إلى جديس على رأس جيش كبير ، فأفناهم جميعاً^١ . ويبدو أن قبيلة طسم ، وملكها هي التي كانت تمثل الهوذ اليماني الحميري في منطقة شمال الجزيرة . ولذلك فإن انتهاء هذه القبيلة قد جعل الدولة الحميرية تفكر في وحوود بديل لها بحيث تمثل ذلك البديل في قيام دولة كندة — في دهرها الثاني — التي رجحنا ارتباط قيامها بحملة الملك الحميري (أبي كرب أسعد) وابنه (حسان يهأس) ، أو يزمن قريب منها .

^١ لرصد من التفاصيل انظر الفصل الأول ، ص ١٢ وما بعدها .

وفي كل الأحوال فإن حملة الملك الحميري هذه ، لم تكن إلا امتداداً طبعياً لحملات الملوك الحميريين السابقين له خلال القرن الرابع الميلادي ، بل وحملات الملوك السبئيين خلال القرن الثالث الميلادي ، التي شكلت البدايات الأولى لامتداد النفوذ العسكري لليمن نحو مناطق شمال الجزيرة^١ .

يوم البضاء (البداء) :

البضاء ، هو اسم المكان الذي دارت فيه المعركة في هذا اليوم^٢ ، ويسمى أيضاً بالبيداء^٣ . وكان سببه أن قبيلة مذحج اليمنية انطلقت صوب قمامة الحجاز ، طلباً للتوسع في المعاش فتضايقت القبائل المعديّة الموجودة في قمامة من قبيلة مذحج ، التي بدأت تنافسها في الكلا والمرعى ، وكان على رأس تلك القبائل ، قبيلة (عدوان)^٤ ، وأميرها يومئذ (عامر بن الطرب) الذي رفع راية التصدي لمذحج^٥ . واستطاع أن يوحد القبائل المعديّة كلها — تحت قيادته — لمواجهة مذحج ، وكانت تلك هي المرة الأولى التي تجتمع فيها معد تحت راية واحدة^٦ . ويفترض البعض أن ذلك التجمع المعدي ربما كان في مواجهة جيش يمني مساند لقبيلة مذحج^٧ .

وعلى الرغم من قول المؤرخين أن يوم البضاء قد انتهت بهزيمة الجانب اليمني على يد القبائل المعديّة^٨ ؛ إلا أننا يجب أن نأخذ ذلك القول بحذر ، نظراً للقول الشائع بين الدارسين بأن يوم خزاز ، هو أول يوم استنصفت فيه معد من اليمن ، وكانت

^١ انظر أبو العيث . الملاقة ، ص ١٥١ - ١٠٦ .

^٢ هني . الفصل ، ج ٥ ، ص ٣٤٦ .

^٣ اليمدادي . الحبر ، ص ٢٤٦ .

^٤ عدوان : بطن من قبيل هلال ، من العدنانية . وسمي جندهم هذا الاسم (عدوان) لأنه هنا هلى أمية (فهم) فقتله ، وكانت مآرهم بالطائف ، ثم خلبتهم عليها (تحيف) فخرجوا إلى قمامة (الفلقندي . نهاية الإرب ، ص ٣٥٤) .

^٥ ريدان . العرب قبل الإسلام ، ص ٢٥٤ - هو . العرب قبل الإسلام ، ص ١٨٣ .

^٦ ريدان . المرجع السابق ، ص ٢٥٤ - علي . الفصل ، ج ٥ ، ص ٣٤٦ . وقد ساعدت الصفات الشعبية لظفر بن الظرب على التلم ذلك ، لانضاف المعدي حوله فهو كما يذكر اليمدادي واحداً من أشهر الحكام والفضة الذين وضعوا في عصومات القبائل العربية ، إلى جانب أنه كان من العرب الجاهليين الذين حرموا الخمر على أنفسهم (الحبر ، ص ١٣٥ ، ١٨١ ، ٢٣٧ ، ٢٣٩) .

^٧ ريدان . العرب قبل الإسلام ، ص ٢٥٤ .

^٨ ريدان . العرب قبل الإسلام ، ص ٢٥٤ - علي . الفصل ، ج ٥ ، ص ٣٤٦ .

معد قبل يوم خزاز لا تتصف من اليمن^١. ونحن نعرف أن يوم البيضاء سابقاً ليوم خزاز ، فيوم البيضاء يوصف بأنه أول وقعة بين قمامة واليمن^٢. إلى جانب كونه أقدم يوم يحفظه لنا التاريخ من حروب العدنانيين في هذه الأيام^٣. ويؤرخه البعض بم منتصف القرن الرابع الميلادي^٤. ونحن وإن كنا لا نستطيع تأكيد ذلك أو نفيه ، إلا أننا يمكن أن نستشف من بعض المصادر العربية قدم هذا اليوم بالفعل ، فهذا هو ابن حزم يذكر أن (عامر بن الظرب) قائد المعدين في يوم البيضاء كان معاصراً لسعد بن بكر بن هوازن ، الأب الثامن للحارث بن يعمر ، الذي تزوج إحدى بنات العباس بن عبد المطلب المعاصر للرسول ﷺ . وبحساب فارق السنين بين الأجيال فإنه من المفترض أن يكون (عامر بن الظرب) قد عاش قبل ظهور الإسلام ، بحوالي قرنين من الزمان ، أي في مطلع القرن الخامس الميلادي على وجه التقريب . وذلك هو الزمن الذي تحركت فيه كندة مرة أخرى نحو مناطق نجد واليمامة ، بدعم من الملوك الحميريين لتقيم دولتها الثانية . فهل كان تحرك مذحج نحو قمامة الحجاز مصاحباً للتحرك الكندي ، بغرض فرض السيطرة اليمنية على منطقة شمال الجزيرة ، كندة في الوسط والشرق ، ومذحج في الغرب ؟ قد يكون ذلك . خصوصاً أن القبيلتين كانتا شريكتين في إقامة الدولة الكندية الأولى . وسبق الترجيح بأن عودة القبيلتين إلى الجنوب كانت في وقت واحد ، بعد أن طردتهما (امرؤ القيس بن عمرو) من منطقة شمال الجزيرة في مطلع القرن الرابع الميلادي^٥.

^١ حاد امروى (وآخرون) . أيام العرب ، ص ١٠٩ - علي . الفصل ، ج ٣ . ص ٣٥٥ - مهدي . الحصار للحرية ، ص ١٨٢

^٢ ابن الأثير . الكامل ، ج ١ ، ص ٣١٢ .

^٣ ريدان . العرب قبل الإسلام ، ص ٢٥٤ .

^٤ المرجع نفسه ، والصحة نفسها

^٥ جمهرة الأنساب ، ص ٢٦٤ ، ٢٦٥ .

^٦ لمزيد من المعلومات عن دولة كندة في دهرها الأول ، وصعودها مع مذحج إلى جنوب الجزيرة . انظر : (أبو العيث . العالقة ،

ص ٥٦ - ٦٢ ، ٨٩) .

يوم السلان :

تجدر الإشارة في بداية الحديث عن هذا اليوم أن هناك روايتين متناقضتين عنه الأولى تجعله بين بني عامر والنعمان بن المنذر^١. وهذه الرواية لا نأخذها وفق المنهج المتبع لدينا في دراسة الأيام . أما الرواية الثانية فتجعل هذا اليوم بين معد وأهل اليمن^٢ وهي التي سنتبعها هنا .

أما سبب هذا الاختلاف بين الروائين ، فرعاً يعود إلى حدوث تداخل بين المصادر العربية . ولعل كل رواية كانت تتحدث عن يوم منفصل ليس له علاقة بالآخر ، خصوصاً وأن الاسم هو للمكان الذي دارت فيه المعركة ونحن نعرف أن هناك أكثر من موضع في جزيرة العرب يحمل اسم السلان ، لكون الاسم في الأصل يطلق على " بطون من الأرض غامصة ، ذات شجر ، ثم سميت بها بعض المواطن " .

ولعل ما جاء عند ابن الأثير ، يؤكد حدوث مثل ذلك التداخل ، فعلى الرغم من إيراد الرواية الأولى كرواية منفردة تحت عنوان (يوم السلان)^٣ ، إلا أنه في موضع آخر من الكتاب ، ونحت عنوان (الأيام بين بكر وتغلب)^٤ . يتطرق إلى الرواية الثانية ، في إطار حديثه عن الثلاثة نفر الذين اجتمعت عليهم معد قبل الإسلام . حيث يذكر أن الأول هو (عامر بن الظرب)^٥ والثاني (ربيعة بن الحارث [الحارث] بن مرة بن زهير) ... وكان قائد معد يوم السلان ، بين أهل اليمامة واليمن^٦ .

وبدكر البعض أن هذا التوحد المعدي من وراء (ربيعة التغلبي) إنما كان في تلك الحرب الموجهة ضد (زهير بن حناب الكلبي)^٧ الموالي

^١ ابن الأثير الكامل ، ج ١ ، ص ٣٩١ ، ٣٩٢

^٢ البهتدي - المهر ، ص ٢٤٩

^٣ عن تسمية السلان ، انظر - حاد المولى (وأمهرون) . أيام العرب ، ص ٩٠٧

^٤ الكامل ، ج ١ ، ص ٣٩١

^٥ المصدر نفسه ، ص ٣١٢ ، ٣١٣

^٦ هذا هو ما يذكره ابن حبيب البغدادي أيضاً ، ويضيف عليه بأن (ربيعة) هذا كان من الخوارج العرب . (المهر ، ص ٢٤٩)

^٧ زهير بن حناب الكلبي هو أحد الخوارج العرب ، وينتمي إلى قبيلة قضاعة (البغدادي - المهر ، ص ٢٥) عدياً بأ - السامريون يتخلعون حول قصاعة يوهل هي من اليمن ثم من معد (ابن حزم الأندلسي - جمهرة الأنساب ، ص ٧ ، ٨)

لليمن^١. وهي الحرب التي يشير إليها ابن الأثير^٢ في موضع ثالث من كتابه تحت عنوان (حرب زهير بن جناب الكلبي مع غطفان وبكر وتغلب وبني القين) ، حيث يعدد ثلاثة أيام لزهير : الأولى ضد غطفان، والأخيرة ضد بني القين ، من غير أن يشير إلى أي ارتباط لزهير باليمن ، لكنه أثناء حديثه عن حروب (زهير) ضد بكر وتغلب ، يشير إلى ارتباط (زهير) باليمن حيث يقول : " وأما حربه [يقصد زهير] مع بكر وتغلب وبني وائل ، فكان سببها أن (أبرهة) حين طلع إلى نجد أتاه (زهير) ، فأكرمه وفصله على من أتاه من العرب ، ثم أمره على بكر وتغلب ... فاشتد عليهم ما يطلب منهم من الخراج ، فأقام بهم (زهير) في الحرب ، ومنعهم من الجعة^٣ ، حتى يؤدوا ما عليهم ، فكادت مواشيهم تموت " . فحاول أحد رجالهم قتله وهو نائم ، ولكن زهير نجا من تلك المحاولة . لما كان منه إلا أن جمع " من قدر عليه من أهل اليمن ، وغزا بكر وتغلب ، وكانوا علموا به ، فقاتلهم قتالاً شديداً انهزمت به بكر ، وقاتلت تغلب بعدها ، فانهمزمت أيضاً . وأسر (كليب) و (مهلهل) ابنا ربيعة ، وأخذت الأموال ، وكثرت القتلى في بني تغلب ، وأسر جماعة من فرسانهم ووجوهم^٤ .

ويُرجح بعض الدارسين أحداث هذا اليوم إلى منتصف القرن الخامس الميلادي^٥. وهو ما يتفق مع سياق الأحداث التاريخية ، لأننا نعرف أن (ربيعة التغلبي) ، قائد معد في هذا اليوم قد عاش فترة من الزمن قبل يوم خزاز — اللاحق ليوم السلان — الذي قاد معد فيه ابنه (كليب) . وكان كليب قد عاش بعد يوم خزاز ، زماناً طويلاً في قومه . وذلك قبل أن يطفى عليهم ، ويلقى حتفه على يد (جساس بن مرة البكري)^٦ في العقد الأخير من القرن الخامس الميلادي^٧. وتلك الأحداث التي

^١ هجر . العرب قبل الإسلام ، ص ١٨٣ .

^٢ الكامل ، ج ١ ، ص ٣٠٠ ، ٣٠١ .

^٣ الجعنة هي طلب الكلال في موضعه . والتنعج : المنزل في طلب الكلال (مختار الصحاح ، مادة [ج ع]) .

^٤ ابن الأثير . الكامل ، ج ١ ، ص ٣٠٠ ، ٣٠١ .

^٥ رعدان . العرب قبل الإسلام ، ص ٢٥١ ، ٢٥٢ .

^٦ ابن الأثير . المصدر السابق ، ص ٣١٣ .

^٧ مثلاً : توتندر . ملوك كسفة ، ص ٩١ .

وقعت قبل مقتل كليب في التاريخ المذكور ، تجعلنا نطمئن إلى الرأي السابق الذي يُرجع يوم السلان إلى منتصف القرن الخامس الميلادي .

أما الخلط الذي وقع فيه ابن الأثير ، بإرجاعه أحداث الحرب بين (زهير بن جناب) وقبائل بكر وتغلب إلى عهد (أبرهة الحبشي) ، فهو واضح للعيان ؛ لأن (أبرهة) لم يصبح حاكماً لليمن إلا بعد موت (كليب وائل) بحوالي أربعين عاماً^١ . ومع ذلك فهناك أبيات شعرية للمسيب بن الرقيل أحد أحفاد زهير بن جناب ، تشير إلى أن (أبرهة) قد أقر جدّه (زهيراً) على بني وائل (بكر وتغلب) ، والتي يقول فيها :

وأبرهة الذي كان اصطقانا	وسوّسنا وتاجُ الملكِ عالي
وقاسم نصف إمرته زهيراً	ولم يكُ دونه في الأمر والي
وأقره على حيّ معسّد	وأقره على الحيّ المعالي
على ابني وائل لهما مُهيناً	يردّهما على رُغم السّيال ^٢

ويغلب الظن لدينا أن (زهيراً) قد أدرك عهد (أبرهة) ، فقدم له الولاء . فأراد (أبرهة) أن يستفيد من خيرة (زهير) في التعامل مع قبيلتي بكر وتغلب ، فولاه عليهما . نقول ذلك مستأنسين بقول المصادر بأن عُمر (زهير) قد طال كثيراً حتى أن بعضها تبالغ في ذلك وتجعله (٢٥٠ سنة) أو (٤٥٠ سنة)^٣ .

ختاماً فإن الخلاف حول يوم السلان يظل أمراً قائماً ، حتى أن أحد المؤرخين يرى أن هذا اليوم ما هو إلا مجرد تسمية أخرى ليوم خزاز^٤ . معتمداً على ما ذكره ياقوت الحموي^٥ بأن جبل السلان " كان فيه يوم بين حمير ومذحج وهمدان ، وبين ربيعة ومصر . وكانت هذه القبائل من اليمن بالسلان ، وكانت تزار على خزاز ، وهو جبل يازاء السلان ، وهو فيما بين الحجاز واليمن ، والله أعلم " .

^١ نقول أبرهة حكم اليمن ما بين علمي (٥٣٢-٥٣٥) تقريباً (كويشانوف . الشمال الشرقي الأفريقي ، ص ١١٣)

^٢ مكّي . الطاهر . امرؤ القيس حياته وشعره ، القاهرة ، ١٩٧٤ م ، ص ١٣١ .

^٣ ابن الأثير . الكامل ، ج ١ ، ص ٢٩٩ .

^٤ بافقيه . السعيدة ، ج ٢ ، ص ٢٧٨ .

^٥ الحموي . ياقوت . معجم البلدان ، بيروت ، ١٩٥٧ م ، (مادة السلان) .

وعلى الرغم من وجاهة هذا الاستدلال إلا أننا نذكر بما سبق أن ذكرناه من تعدد المواطن التي تحمل اسم السلان في جزيرة العرب وكذلك القول المتواتر في المصادر العربية ، الذي يجعل (ربيعة) والد كليب من الثلاثة نفر الذين اجتمعت عليهم معد ، بناء على قيادته لها في يوم السلان . بينما لم يرد لربيعة هذا ذكر في المصادر العربية أثناء حديثها عن يوم خزاز .

يوم خزاز (خزازي)^١:

تضاربت الروايات حول هذا اليوم تصارباً كبيراً^٢. لكن أشهر تلك الروايات هي التي يوردها ابن الأثير^٣، ومقادها " أن ملكاً من ملوك اليمن كان في يديه أسارى من مضر وربيعة وقضاعة " فوفد عليه وفد من وجوه بني معد ... فكلّموا الملك . في الأسارى فوهبهم لهم . . فاحتبس الملك عنده بعض الوفد رهية ، وقال للباقيين انتوني برؤساء قومكم لآخذ عليهم الموائيق بالطاعة لي ، وإلا قتل أصحابكم ، فرجعوا إلى قومهم فأخبروهم الخبر ، فبعث (كليب بن وائل) إلى ربيعة فجمعهم واجتمعت معد عليه وهو أحد نفر الذين اجتمعت عليهم معد ... فلما اجتمعوا عليه سار بهم ، وجعل على مقدمته (السفاح التغلبي) ... وأمرهم أن يوقدوا على خزاز ناراً ليهتدوا بها ... وقال له : إن غشيك العدو فأوقد نارين . فبلغ مذحجاً اجتمع ربيعة ومسيرها ، فأقبلوا بجمعهم ، واستنفروا من يليهم من قبائل اليمن ، وساروا إليهم . فلما سمع أهل قمامة بمسير مذحج انضموا إلى ربيعة ، ووصلت مذحج إلى خزاز ليلاً ، فرفع (السفاح) نارين ، فلما رأى (كليب) النارين أقبل إليهم بالجموع فصحبهم ، فالتقوا بخزار ، فاقبلوا قتالاً شديداً ، أكثروا فيه القتل ، فانقرضت مذحج وانقضت جموعها^٤ .

وتشير هذه الرواية بعض التساؤلات ، فهي لم تذكر لنا من أين أتى هؤلاء الأسرى المعديين إلى الملك اليمني ؟ فهل كانوا من أسرى اليوم السابق لهذا اليوم ؟

^١ خزاز أو خزازي . جبل في نجد من ضمن ديار قتاتل ربيعة . ويقع ما بين الحيرة ومكة (المسعودي - الصفحة ٢٣٦ ، ٢٣٩) .

^٢ على المنعزل ، ج ٥ ، ص ٣٤٩ .

^٣ الكامل ، ج ١ ، ص ٣١٠ ، ٣١١ .

ونقصه به يوم السلان الذي كان في عهد (ربيعة) والد (كليب) ، ذلك أمر غير مستبعد .

وبالرغم من قول الرواية — في مطلعها — أن معداً قد اجتمعت على كليب منذ البداية ، إلا أنها تجعل مسير كليب إلى ميدان المعركة بقبائل ربيعة فقط ، ولم تنضم إليه قبائل هامة إلا بعد أن علمت بمسير مذحج لملاقمتهم . ويتضح من الرواية أن انضمامها إلى صف ربيعة تم بصورة تلقائية لا تنبئ عن اتفاق مسبق بين الطرفين . وقد يكون سبب ذلك الانضمام هو رغبة تلك القبائل في مهاجمة مذحج ، خصوصاً وقد علمنا أن الصدامات الأولى لقبية مذحج في منطقة شمال الجزيرة إنما كانت مع قبائل هامة ، وذلك في يوم البيضاء .

أما بخصوص القبائل اليمنية التي قاتلت إلى جانب مذحج في يوم خزاز ، فقد أهملت الرواية ذكرها ، واكتفت بالقول أن مذحج قد استغفرت من يليها من قبائل اليمن . ومع ذلك فإننا يمكن أن نعرف هذه القبائل ، وذلك من خلال أبيات شعرية متفرقة تنسب لشعراء شاركوا في هذا اليوم . فهذا هو (مهلهل بن ربيعة) أخو كليب ، يذكر لنا أن القبائل اليمنية المشاركة في هذا اليوم هي (حمير ، ومذحج ، وهمدان) :

إذا أقبلت حمير في جمعها ومذحج كالعارض المستحقيق
وجمع همدان له لجة وراية قوي هوى الأنوق^١

أما الشاعر اليمني (عمرو بن زيد) — الذي كان ممن شهد هذا اليوم — فقد أضاف إلى ما ذكره (مهلهل) بعض قبائل قضاعة وهي (هذ ، وجرم ، وخولان) :

وحمر قومنا سارت مقاولها ومذحج الغز سارت في تعانيتها
والحي من صيد همدان بها شنف يفري القراء ويقمى من يناديها
ومن قضاعة حياً بأسها نزلاً هذ وجرم وخولان تواتيها^٢

^١ ابن الأثير - الكامل ، ج ١ ، ص ٣١٤ .

^٢ الحميري . الاكلیل ، ج ١ ، تحقيق / محمد بن علي الأكوع ، بيروت ، ١٩٨٦ م ، ص ٢٢١ ، ٢٢٢ .

وقد اشترك الشاعر عمرو بن أم كلثوم في هذه الحروب ، وأشار إليها في معلقته قائلاً :

ولمحن غداة أوقد في خزازي وفلنا فوق وفد الرافدين^١

وبعد أن عرضنا الرواية التي نعتقد أنها الرواية الحقيقية لهذا اليوم ، سوف نتحدث عن الرواية الأخرى التي تربط هذا اليوم بكندة . وملخصها يتمحور حول ما سبق أن ذكرناه عن توزيع (الحارث بن عمرو الكندي) لأبنائه ، وتعليكهم على القبائل العربية الشمالية^٢ ، ثم تذكر هذه الرواية أن هذه القبائل قد ثارت على أبناء الحارث وقتلتهم جميعاً ، ولم يبق منهم غير (سلمة بن الحارث) ، الذي جمع جموع اليمن — وعلى رأسهم قبيلة مذحج — وسار ليقول نزاراً ، فبلغ الخبر (كليب وائل) الذي تمكس من جمع قبائل ربيعة (بكر وتغلب) إلى جانب بني عامر بن صعصعة ، حيث التقى الجمعان بخزار فاقتلوا قتلاً شديداً ، وانقرضت جموع اليمن^٣ .

إن هذه الرواية — ليوم خراز — وإن كانت تختلف مع الرواية الرئيسية ، في البدايات الأولى المسببة لهذا اليوم ، إلا أنها تتفق معها في طبيعة النهاية التي انتهت بها ، وهي في كلا الروايتين ، فوز القبائل المعادية على جموع اليمن . ويبدو واضحاً بعد أحداث هذه الرواية عن الحقائق التاريخية التي سبق وتناولناها ، وعرفنا منها أن (كليب وائل) قد عاش في النصف الثاني من القرن الخامس الميلادي ، أما أحداث ثورة القبائل على أبناء الحارث الكندي فإنما كانت بعد وفاة الحارث عام (٥٢٨ م) ثم أن ليس كل أبناء الحارث سقطوا قتلى على أيدي القبائل العدنانية حتى يخرج (سلمة) منتقماً لهم ، بل إن أحدهم — وهو شرحبيل — قد سقط قتيلاً في معركة كان طرفها الآخر هو أخوه (سلمة) نفسه إلى جانب ذلك فإن قبيلتي

الزوربي ، أبو عبد الله الحنفي بن أحمد بن الحنف : شرح اللغات الجع ، تحقيق / محمد علي محمد طه ، بيروت ، ١٩٥٨ م ، ص ١٣٠ .

^٢ انظر - الفصل الثالث من هذا البحث ، ص ٨٩ .

^٣ جاد ملول (وآخرون) ، أيام العرب ، ص ١٠٩ ، ١١٠ .

بكر وتغلب كانت في هذه الآونة على طرفي نقيض ، وكان كل منهما يتقاتل الأخرى^١.

ختاماً نشير إلى رواية ثالثة لهذا اليوم . وهي تلك التي تحمله بين (المندر بن ماء السماء) ومعه قبيلة تغلب من جهة ، وبين بني آكل المزار الكنديين ومعهم قبيلة بكر من جهة أخرى^٢.

ويتصحح على هذه الرواية ، خلطها بين يوم خزاز ، ويوم أواراة الأول ، الذي ستحدث عنه في الفقرة التالية .

— أيام هزينة بالكنديين :

سوف نتناول تحت هذا العنوان أيام (الكلاب الأول ، وأواراة الأول ، وشعب حبله ، ذي نجب) وقد جمعناها هنا في فقرة واحدة ، لأننا قد سبق أن تناولناها في الفصل المخصص لكندة ، وذلك لارتباطها بموضوع الدولة الكندية ، ولكننا سنعيد التذكير بها هنا بصورة موجزة ، نظراً لتأثيرها السلبي على النفوذ اليميني في منطقة شمال الجزيرة العربية ، ممثلاً بالنفوذ الكندي .

ويأتي يوم الكلاب الأول في طليعة هذه الأيام ، الذي يعد من أكثر أيام العرب شهرة وذبوع صيت. وقد دارت أحداثه بين الأخوين (سلمة) و (شرحبيل) ابني الحارث بن عمرو ، وكانت تغلب في صف الأول وبكر في صف الثاني وقد انتهى اليوم بمقتل (شرحبيل) ، وتغرد قبيلة تغلب على سلطة (سلمة) ، والتعاقبها بالمندر الثالث . أما (سلمة) فقد التجأ إلى قبيلة بكر التي كانت تحت إمرة أخيه القليل ، وقد فضلت هذه القبيلة الخضوع لسلمة — بحكم ارتباطها بالكنديين — الأمر الذي أثار عليها نقمة (المندر) الذي سار إليها بجيوشه ، وقتل منها أعداداً كبيرة في الموقعة التي عُرفت بيوم أواراة الأول ، نسبة إلى اسم الجبل الذي دبح على قمته الأسرى البكرين^٣.

^١ انظر الفصل الثالث من هذا البحث ص ٧٤ ، ٨٨

^٢ ص ٣٥٥ ، ج ٣ ، الفصل

^٣ أما عن تاريخ اليومين ، فمن الصعب إرجاعه إلى علم عدد ، والأفضل إرجاع ذلك إلى فترة قريبة من حلاك (حمر بن الحارث) ، الذي كان قريباً من مهند أمية عام (٥٢٨ م) (أولندر ملوك كندة ، ص ١٤٨)

وقد لعبت النتائج المترتبة على هذين اليومين ، دوراً بارزاً في انحذار النفوذ اليمني الكندي عن منطقة شمال الجزيرة^١، نظراً لتفريق كلمة الكنديين ، وضياح قوتهم في حروبهم الداخلية ، إلى جانب الضعف الذي لحق بقبيلة بكر ، حليفهم الاستراتيجي في منطقة شمال الجزيرة ، من جراء القتل الذي حل بهم على يد المذر^٢.
أما يومي شعب جبلة وذئ نجب ، فعلى الرغم من أن أحدهما قد دارت أصلاً بين قبائل عربية عدنانية (تميم من جهة وعيس وبني عامر من جهة أخرى) إلا أن اشتراك ملوك هجر — من آل الجون الكنديين — في صف هذا الطرف أو ذاك ، ثم دوران الدائرة على الطرف الذي يقفون في صفه ، قد أدى إلى فقدانهم لزعمائهم الذين قتلوا في معارك اليومين ، الأمر الذي أضعف شوكتهم ، ودفعهم إلى الرحيل نحو منطقة حضرموت اليمن ، حيث انتهت بذلك دولتهم في شمال الجزيرة العربية ، وانتهى معها ما تبقى من نفوذ لليمن هناك .

— يوم الكلاب الثاني: —

لما أوقع كسرى (خسرو الثاني) بني تميم في يوم الصفقة ، بسبب تعرضهم لقافلته المتجهة إلى اليمن^٣، ارتحلت تميم إلى موضع ماء يقال له الكلاب (بين الكوفة والبصرة) ، بفرص الاختفاء عن أنظار القبائل الأخرى ، حتى تتمكن من تصميد جراحها ، وتستعيد قوتها . فسمعت مذبذب يحير تميم ، وما حل بها من خسارة ، وما آلت إليه من ضعف فجمعوا جموعهم مع من تبعهم من قبائل اليمن وقضاة^٤، وخرجوا صوب الكلاب ، رغبة في اغتنام الأموال التي بأيدي تميم^٥.

ولما سمع التميميون بذلك اتبعوا مشورة حكيمهم (أكثم بن صيفي) ، التي فصلت إثبات أهم ما حاء فيها ، نظراً للمعاني المفيدة التي لا تزال تحملها حتى اليوم ،

^١ أوتيسر صوك كلفة ، ص ١٣٩ .

^٢ من لنا الحديث عن العلاقة الخاصة التي وصلت قبيلة بكر بالدولة الكندية ، ص ٧٦ ، ٧٧ ، ٨١ وما بعدها من الفصل الثالث .

^٣ ثارت بعض حروب أبناء العرب نتيجة للتعرض لقوافل العرب أو حلفائهم النعمير ، انضحت إلى اليمن أو العكس منها كحروب الصعاليك في يوم الصفقة ، وقد سبق أن تناولنا ذلك في الفصل الثاني ، أثناء عرضنا للعلاقات في عصر الاحتلال الفارسي لليمن .

^٤ سمع جمع مذحج ومن معها ، في هذا اليوم ، ثمانية آلاف رجل ، ويقال أنه لا يعلم جيش في الجاهلية أكثر منه باستثناء جيش كسرى في يوم ذي قار ، وحديث تميم وأحلافها في يوم شعب جبلة [بك (وآخرون) . ليلام العرب ، ص ١٢٦] .

^٥ المرجع نفسه ، ص ١٢٤-١٢٦ هـ . هو . العرب قبل الإسلام ، ص ١٩١ ، ١٩٢ .

وقد جاء فيها قوله : " أقلوا الخلاف على أمرائكم ، ودعوا كثرة الصياح في الحرب ، فإنه من الفضل ... كونوا جيعاً في الرأي ، فإن الجميع معزز للجميع ، وإياكم والخلاف فإنه لا جماعة لمن اختلف ، ولا تلبثوا ولا تسرعوا ، فإن أحزم الفريقين الركين (الرزين) ، ورب عجلة قلب ريثاً ، وإذا عز أخوك فهن ... والثبات أفضل من القوة ... ولا ترهوا الموت عند الحرب ، فإن الموت من ورائكم ، وحب الحياة لدى الحرب زلل " ^١ .

وعند وصول مذحج وأحلافها إلى موقع الكلاب ، اقتتلوا قتالاً شديداً مع قبائل تميم (سعد والرباب) ، حتى إذا كان آخر النهار قُتل (النعمان بن حساس) زعيم تميم ، وظن أهل اليمن أن بني تميم سينهزمون جراء ذلك ، ولكنه لم يزداهم إلا جراءة ، حيث تولى قيادتهم (قيس بن عاصم النخري) ، وحملوا على أهل اليمن حملة صادقة ، فانهمزت مذحج ومن معها ، وما زال بنو تميم في إثرهم يقتلون ويأسرون حتى أسروا (عبد يغوث بن الحارث بن وقاص الحارثي) رئيس مذحج ^٢ ، فقتل بالنعمان بن حساس ^٣ .

وقد قال عبد يغوث قصيدة يرثي بها نفسه ، نقبس منها الأربعة الأبيات الأولى :

ألا لا تلوماني كفى اللوم ما يا	فما لكما في اللوم نفع ولا يا
أم تعلمنا أن الملامة نفعها	قليل وما لومي أخى من شأيا
فيا راكباً إما عرضت فبلغن	نداماي من فجران أن لا تلاقيا
أبا كرب والأيهمين كلامها	وقيساً بأعلى حضرموت اليمانيا

^١ ابن الأثير . الكامل ، ج ١ ، ص ٣٨٠ .

^٢ هو من أجداد بني العرب عند البطاني . انظر (الحبر ، ص ٢٥١) .

^٣ ابن الأثير ، المصدر السابق ، ص ٣٨٠ ، ٣٨١ — بك (وآسرون) ، أيام العرب ، ص ١٢٧ ، ١٢٨ .

^٤ ابن الأثير . الكاس ، ج ١ ، ص ٣٨١ ، ٣٨٢ . أما (أبو كرب) المذكور في القصيدة فهو بشر بن عصفية بن الحارث ، و (الأيهمين) هما : الأسود بن علفمة ابن الحارث ، والعاث بن عبد المسيح بن الأيخ ، أما (قيس) فالمقصود به ، قيس بن معدى كرب الكندي والد الأشعث بن قيس ، ورعوا أن قيساً قال : لو جعلني أول القوم لأفنديته بكل ما أملاك .

أما تاريخ يوم الكلاب الثاني ، فهو تالياً ليوم الصفقة ، الذي كان بعد مبعث الرسول ﷺ وهو ما يزال بمكة لم يهاجر^١، أي في مطلع القرن السابع الميلادي . وفي هذه الفترة كانت كندة قد اجتمعت من جديد في حضرموت ، وكانت اليمن تعيش في ظل الاحتلال الفارسي ، لكن ذلك لا يعني أن ما قامت به مذحج يدخل في ظل النشاط الفارسي ؛ لأن الفرس خلال هذه الفترة لم تكن سلطتهم الفعلية تتعدى مدينتي صنعاء وعدن وما جاورهما . أما بقية مناطق اليمن فقد كانت كل قبيلة تفرض سيادتها المستقلة على منطقتها وتخضع لزعامة رئيس القبيلة ، وكان لكل قبيلة علاقاتها المحددة مع القوى الأخرى ، ولم يكن الفرس إلا قوة من تلك القوى^٢.

— يوم فيف الرياح :

نختم حديثنا عن أيام العرب — التي اشتمل عليها هذا الفصل — بالحديث عن يوم فيف الرياح . وكان خبره أن قبيلة عامر بن صعصعة كانت تنتجع في مكان يقال له فيف الرياح^٣، فخرج إليهم الحصين بن يزيد بن شداد الحارثي (ذو الغصة) بقبيلة الحارث بن كعب المذحجية، واستعان عليهم بجعفة ، وزبيد ، وسعد العشيرة ، ومراد ، وصداء ، ونهد ، وخنعم ، وشهران ، وناهس^٤. وقد كان معهم النساء والذراري حتى لا يفروا^٥.

وعندما التقى الفريقان ، اقتتلوا^٦ قتالاً شديداً ، ثلاثة أيام يعاودهم القتال بفيف الرياح ... وأسرع القتل في الفريقين جميعاً ، ثم إنهم افرقوا ، ولم يشتغل بعضهم عن بعض بغنيمة ، وكان الصبر فيها والشرف لبني عامر^٧ .

أما تاريخ هذا اليوم فقد كان قريباً من يوم الكلاب الثاني ، وذلك لأن (عامر ابن الطفيل) قائد بني عامر في يوم فيف الرياح كان من المعاصرين لهجرة الرسول ﷺ ،

^١ ابن الأثير . الكامل ، ص ٣٧٩ .

^٢ عن وضع الفرس في اليمن خلال هذه الفترة . انظر : الشعاع . اليمن في صدر الإسلام ، ص ٢٨ .

^٣ موضع بأعلى نجد . انظر : بك (وآخرون) أيام العرب ، ص ١٣٢ .

^٤ هذه بطون من مذحج وقصاعة وكهلان . انظر - المرجع نفسه ، والصفحة نفسها .

^٥ ابن الأثير . الكامل ، ج ١ ، ص ٣٨٧ — بك (وآخرون) . أيام العرب ، ص ١٣٢ ، ١٣٣ .

^٦ ابن الأثير . المصدر السابق ، ص ٣٨٧ .

حيث تحكي كتب السيرة عنه أنه هو الذي تبني عملية قتل أربعين داعية — وقيل سبعين — من المسلمين ، في الموقع المعروف ببئر معونة ، كان رسول الله ﷺ قد بعث بهم إلى نجد ، يدعون أهلها إلى الإسلام ، في العام الثالث للهجرة^١.

— وقفة أخيرة : —

ولعله من الضروري — ونحن نتهي حديثاً عن العلاقات السياسية بين جنوب الجزيرة وشمالها قبل الإسلام — أن يكون لنا وقفة أخيرة نحاول فيها معرفة النظرة التي كانت تنظر بها قبائل شمال الجزيرة إلى حكم التابعة لهم ، وامتداد نفوذ الدولة الحميرية إلى مناطقهم .

وبذلك الخصوص سنلاحظ أن الدول التي قامت في جنوب الجزيرة العربية — والتي ورثتها الدولة الحميرية — مثلت بحق أكبر الدول التي عرفت فيها شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام . وذلك بعكس منطقة شمال الجزيرة التي لم تعرف الوحدة السياسية قبل الإسلام^٢. ولذلك فقد خضع عرب الشمال لنفوذ اليمن وللدولة الحميرية بخاصة^٣، ورسخ في اعتقادهم — بتوالي الأجيال — أن الإذعان لدولة حمير فرض واجب^٤. حيث ذكرت المصادر العربية أن ملك العرب كان في التابعة من أهل اليمن^٥ الذين كانوا لهم بمنزلة الخلفاء للمسلمين^٦، خصوصاً أن القبائل المعديّة كانت تتحاسد وتتازع فيما بينها ، ولا يسلم بعضها لبعض بالزعامة^٧.

وعلى الرغم من أن الدولة الحميرية قد سادت في عهد التابعة على الغالبية العظمى من مناطق شبه الجزيرة العربية^٨ ، إلا أن ذلك لم يمنع قبائل شمال الجزيرة من

^١ ابن هشام - السيرة ، مج ٢ ، ح ٣ ، ص ٧٢ ، ٧٣ — العراقي . قفه السيرة ، ص ٢٩٨ ، ٢٩٩ .

^٢ يونس . تاريخ العلم ونظرة حول المادة ، التاريخ العربي القديم ، القاهرة ، ١٩٥٦ م ، ص ٣٩ ، ٤٠ — موسكاوي . الخصارات السنية القديمة ، بيروت ، ١٩٨٦ م ، ص ٢٠١ .

^٣ هيو . العرب قبل الإسلام ، ص ١٨٣ .

^٤ ريدان . العرب قبل الإسلام ، ص ٢٥٢ .

^٥ ابن خلدون . العرب ، مج ٢ ، ١٩٧٧ م ، ص ٥٣٩ .

^٦ ابن الأثير . الكامل ، ج ١ ، ص ٣٠٤ .

^٧ علي . لنصل ، ج ٤ ، ص ١٧٦ ، ح ٥ ، ص ٣٤٥ .

^٨ باعنية . اليمن القديم ، ص ١٦٤ — الجاسر . مدينة الرياض ، ص ٣٣ .

الانتفاض على سلطة تلك الدولة ، عندما أُسْتُ منها ضعفاً ، بسبب إضطراب أحوالها ، وظهور الصراعات الداخلية في إطارها . وكانت بداية تلك الانتفاضة ممثلة بيومي السلان وخزاز خلال النصف الثاني من القرن الخامس الميلادي^١ هذا وقد سقطت الدولة الحميرية بعيد ذلك على يد الأقباش الذين أصبحوا حكاماً لليمن إلى أن أحلهم الفرس وحلوا بدلاً عنهم ، وظلوا كذلك إلى أن ظهر الإسلام في مطلع القرن السابع الميلادي ، حيث اجتمعت قبائل الجزيرة العربية كلها تحت رعاية الدين الجديد ودولته الناشئة ، التي استطاعت أن توجه هذه القبائل في الوجهة الصحيحة ، وأصبح أولئك المتحاربون من أجل تفاهات دنيوية لا قيمة لها ، هم أنفسهم رجال الجهاد والفتوح من أجل نشر دين الله في مشارق الأرض ومغاربها . لتبدأ بذلك مرحلة جديدة من تاريخ الجزيرة والعالم ، لسا معين بالحديث عنها في هذا البحث .

١ باقر السعيد ، ج ٢ ، ص ٢٨٠ ، ٢٨١

الخلاصة

الخاتمة

تشتمل هذه الخاتمة على خلاصة للدراسة ، تضمنها أهم النتائج والملاحظات التي توصل إليها البحث أو ساعد في تأكيدها وإثباتها :

بدأ بعهد الملك أبي كرب أسعد (أسعد الكامل) ، عهد جديد في تاريخ العلاقات بين جنوب الجزيرة العربية وشمالها ، أصبح فيه الأعراب يدخلون مباشرة ضمن اللقب الملكي للملك الحميري (ملك سبأ ودي ريدان وحضرموت وعمانة وأعراسهم طوداً وقحمة) .

وتعكس الإضافة الأخيرة إلى لقب الملك الحميري (وأعراسهم طوداً وقحمة) الخطوات التي أدت إلى مزيد من التقارب بين سكان الجزيرة العربية ، كما تعكس ازدياد دور القبائل البدوية في إطار الدولة الحميرية ، التي أصبحت منذ ذلك الحين دولة مزدوجة التركيب القبلي ، باشتغالها على عدد كبير من القبائل العربية الشمالية المتبدية ، التي بدأت تحتل بالقبائل الجنوبية المتحضرة . وبذلك بلغت الدولة الحميرية أقصى امتداد لها ، بعد أن شملت معظم أنحاء الجزيرة العربية ، وكان الملك (أسعد الكامل) — عندما اتخذ ذلك اللقب الطويل — إنما أراد أن يقول بأنه أصبح ملكاً لكل الجزيرة العربية جنوباً وشمالاً .

وتأتي إضافة الأعراب إلى اللقب الملكي — غالباً — بعد الحملة التي ذكرت النقوش أنه قام بها بالاشتراك مع ابنه (حسان يهأمن) ضد مناطق شمال الجزيرة ، والتي كانت بمثابة الامتداد الطبيعي لحملة ملوك الدولة السبئية الحميرية ضد تلك المناطق ، خلال القرنين الثالث والرابع الميلاديين ، وفي سياق الأهداف نفسها ، والتي تمثلت في تأمين الطرق التجارية المارة عبر الجزيرة العربية ، إلى جانب حماية السكان المتحضرين في الجنوب من هجمات البدو المتكررة عليهم .

وعلى الرغم من سكوت نقوش ابنه الملك (شرحبيل يعفر) عن العلاقات مع شمال الجزيرة ، إلا أن ذلك لا يعني — على ما يبدو — انقطاع تلك العلاقة ؛ بقدر ما

يعني أن الأمور قد استتب للحميريين في شمال الجزيرة ، أي أن (شرحيل يعفر) إنما كان يعني ثمار الجهود الحربية لأبيه وأخيه (حسان) .

أما بعد عهد الملك (شرحيل يعفر) فقد امتد الغموض ليشمل تاريخ الدولة الحميرية برمتها ، التي دخلت في فترة غموض شديدة ، وقد شمل ذلك الغموض — من ضمن ما شمل — معلوماتنا عن العلاقات التي ربطت بين الدولة الحميرية في جنوب الجزيرة مع مناطق شمال الجزيرة ، واستمر ذلك الغموض حتى مطلع القرن السادس الميلادي ، عندما ظهرت لنا نقوش الملك الحميري (معدي كرب يعفر) لتحدثنا عن حملة عسكرية أخرى قادها هذا الملك نحو شمال الجزيرة العربية ، دعماً لقبيلة كندة والقبائل الأخرى المتحالفة معها ، والتي كانت تتعرض لضغط من قبل الملك اللخمي (المنذر الثالث) .

وقد أدت تلك الحملات الحميرية على شمال الجزيرة ، إلى خضوع عرب الشمال لنعوذ الدولة الحميرية ، ورسخ في اعتقادهم بتوالي الأجيال ، أن الإذعان لدولة حمير فرض واجب ، حيث ذكرت لنا المصادر العربية أن مُلك العرب كان في التبعية من أهل اليمن ، الذين كانوا لهم بمحولة الخلفاء للمسلمين .

وعلى الرغم من سيادة الدولة الحميرية — في عهد التبعية — على معظم أنحاء الجزيرة العربية ، إلا أن ذلك لم يمنع قبائل شمال الجزيرة من الانتفاض على سلطة تلك الدولة ، عندما أنست منها ضعفاً . وقد تمثلت بداية تلك الانتفاضة بيومي السلان وحرّاز ، خلال النصف الثاني من القرن الخامس الميلادي

وقد تداخلت العوامل السياسية مع العوامل الاقتصادية والاجتماعية لتؤجج حروب هذين اليوميين ، وعبرهما من الأيام اللاحقة لهما ، والتي شغلت القرن السادس الميلادي ، وامتدت إلى مطلع القرن السابع الميلادي ، عندما ظهر الإسلام وأطلقاً حروبها المشتعلة .

أما في عهد الاحتلال الحبشي لليمن ، فالملاحظ أن (أبرهة) قد تشبهه بتبابعة اليمن ، وحرص على إرسال حملات عسكرية نحو شمال الجزيرة ، وكان أبررها تلك الحملة التي ذكرها النقوش ، والتي تدخل ضمن الصراع الدولي بين بيروطة وفارس ،

حيث توجهت نحو مناطق وسط الجزيرة العربية ، للقضاء على ثورة القبائل هناك ، والحد من النفوذ المتزايد للمنذر الثالث ، الموالي للفرس . وكان توسع (المنذر) هذا على حساب نفوذ الدولة الكندية التي كانت تعيش فترات الاحتضار في هذه الأثناء .

أما حملة أصحاب الفيل المذكورة في القرآن الكريم — وهي في الغالب حملة أخرى ليس لها علاقة بالحملة المذكورة في النقوش — فقد تمثل سببها المعلن في الغيرة الدييعة لكبيسة (أبرهة) التي دنسها أحد الأعراب ، إلا أن ذلك السبب في حقيقة الأمر كان يخفي من ورائه أسباب أخرى (سياسية واقتصادية) كانت بمثابة المحرك الفعلي لانطلاق هذه الحملة نحو مكة . وقد تمثلت هذه الأسباب بالرغبة في السيطرة على تجارة الحجاز — خصوصاً تجارة إيلاف قريش — ومن ثم التحكم بطرق التجارة التي تربط الشام باليمن ، والتواصل مباشرة مع البيزنطيين الموجودين في بلاد الشام . إلا أن هذه الحملة انتهت بالفشل الذريع ، وتخلص عنها احتكار العرب — خصوصاً قريش — للطريق التجاري المار عبر الحجاز ، وكذلك ازدياد دور مكة قريش ، بين سائر قبائل العرب ، فبدلاً مما كان (أبرهة) يرغب فيه من إضعاف مكة ، أصبحت هزيمته فيها من عوامل ازدياد شهرتها .

أما الفرس فإنهم — باحتلالهم لليمن — أصبحوا يفرضون نفوذهم على معظم أنحاء الجزيرة العربية ، وقد استغلوا ذلك النفوذ ، وعملوا على تسيير القوافل التجارية المباشرة بين اليمن وبلاد الفرس ، عبر الحيرة ، وحاولوا بذلك ضرب الاحتكار المكسي لطرق القوافل . وعلى الرغم من عدم إرسالهم لحملات عسكرية مباشرة من اليمن نحو شمال الجزيرة العربية ، أسوة بأسلافهم الأحباش ، إلا أن ذلك لم يمنعهم من معاقبة بعض القبائل العربية الشمالية — بطريقة أو بأخرى — في حال قديد هذه القبائل للمصالح الفارسية في جزيرة العرب ، كما حدث مع قبيلة تميم في يوم الصفقة

أما بخصوص العلاقة التي ربطت الدولة القائمة في جنوب الجزيرة مع الدولة الكندية في دهرها الثاني ، فالملاحظ أن العلاقة التي ربطت بين الجاسين ، كانت شبيهة بتلك العلاقة التي ربطت المناذرة مع الفرس ، والغساسنة مع البيزنطيين . وقد فرض الحميريون بواسطة كندة سلطتهم على القبائل المعدية في وسط الجزيرة العربية ،

وكانت كندة عادة ما تستعين باليمن عندما تشتد عليها الأزمات وتحيط بها المصاعب ، وإن كان ذلك لم يمنعها من إقامة علاقات مباشرة مع الفرس والبيزنطيين ، خصوصاً في فترات ضعف الدولة الحميرية . وقد رحب البيزنطيون والفرس بمثل تلك العلاقة مع كندة ، نظراً لسيطرة الدولة الكندية على قبائل وسط الجزيرة العربية ، التي توحدت تحت السيطرة الكندية لأول مرة في تاريخها . وقد مهد ذلك لاجتماع القبائل العربية المختلفة — بعد ذلك — في إطار الدولة الإسلامية الناشئة .

وبالمقابل فإن العلاقة الخاصة للدولة اليمنية مع كندة ، لم يمنعها من إقامة علاقة مباشرة مع زعماء الدول العربية الشمالية الأخرى ، خصوصاً بعد أن بدأ الضعف يدب في أوصال الدولة الكندية ، وكان أبرز تلك العلاقات ، هي تلك العلاقة التي ربطتها بالدولة اللخمية ، في عهد ملكها القوي (المنذر الثالث) الذي تراوحت علاقته مع زعماء الدولة اليمنية في جنوب الجزيرة (معدي كرب ، ذي نواس ، أبرهة) بين الودية تارة ، والعدائية تارة أخرى ، بناء على قوة الزعماء في كلا الجانبين . وقد كان للمنذر هذا دور بارز في إضعاف الدولة الكندية الموالية لليمن ، الأمر الذي أدى إلى إنتهاء هذه الدولة في نهاية المطاف ، ومن ثم رحيل أبناء القبيلة الكندية عن شمال الجزيرة العربية ، إلى مواطنهم الأولى في جنوب الجزيرة ، حيث انضموا هناك إلى أبناء عموماتهم من أبناء القبيلة الكندية الذين فضلوا البقاء في حضرموت ، ولم يهاجروا مع من هاجر نحو الشمال في فترة سابقة .

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر العربية :

- القرآن الكريم .
- * ابن الأثير . أبو الحسن علي بن أبو الكرم الشافعي
- الكامل في التاريخ ، بيروت ، ١٩٨٣ م .
- * الأزرقي . محمد بن عبد الله بن أحمد .
- أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار ، مستعمل — عوتن ، ١٨٥٨ م ، أعادت طبعه مكتبة خياط ، بيروت .
- * الأصفهاني . حمزة .
- تاريخ سي ملوك الأرض والأسياء ، تحقيق / يوسف يعقوب مسكوي ، بيروت ، ١٩٦١ م .
- * الأصفهاني . أبو الفرج .
- الأعالي . طبعه دار الكتب ، القاهرة ، ١٩٧٠ م — وطبعه دار الفكر العربي ، بيروت ، ١٩٧٠ م .
- * البغدادي . أبو جعفر محمد بن حبيب بن أمية بن عمرو الهاشمي .
- كتاب الخمر ، اعتنت بتصحيحه / إيلزه ليحن شينر ، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، (٥ . ت) .
- كتاب المسق ، تحقيق / حورشيد أحمد فاروق ، حيدر آباد ، ١٩٦٤ م .
- * البلاذري . أحمد بن يحيى بن جابر .
- أنساب الأشراف ، تحقيق / محمد حميد الله ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٥٩ م .
- * حاجي خليفة .
- كشف الطون عن أسماء الكتب والفنون ، طبع بعناية وكالة المعارف الحبية ، استاسول ، ١٩٤١ م .
- * ابن حزم الأندلسي . علي بن أحمد بن سعيد .
- جمهرة أنساب العرب ، بيروت ، ١٩٨٣ م .

- * الحموي . شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله .
- معجم البلدان ، بيروت ، ١٩٥٧ م .
- * الحميري . نشوان بن سعيد .
- ملوك حمير وأقبال اليمن : قصيدة نشوان بن سعيد الحميري وشرحها ، تحقيق /
علي بن إسماعيل اللويد وإسماعيل بن أحمد الجراقي ، بيروت ، ١٩٧٨ م .
- * ابن خلدون . عبد الرحمن .
- كتاب العبر ، بيروت ، ١٩٦٥ م ، ١٩٧٧ م .
- * الدينوري . أحمد بن داود .
- الأحبار الطوال ، تحقيق / عبد النعم عامر ، مراجعة / جمال الدين الشيبان ،
القاهرة ، ١٩٦٠ م .
- * الرازي . محمد بن أبي بكر بن عبد القادر .
- مختار الصحاح ، الطائف ، ١٩٧١ م .
- * الزوزني . أبو عبد الله الحسن بن أحمد بن الحسين .
- شرح المعلقات السبع ، تحقيق / محمد علي حمد الله ، بيروت ، ١٩٥٨ م .
- * ابن سعيد الأندلسي . علي بن موسى بن محمد بن عبد الملك .
- بشوة الطرب في تاريخ حامية العرب ، تحقيق / بصرت عبد السرحم ، عمان ،
١٩٨٢ م .
- * الطبرسي . الفضل بن الحسن بن الفضل .
- مجمع البيان في تفسير القرآن ، بيروت ، ١٩٦١ م .
- * الطبري . محمد بن جرير .
- تاريخ الأمم والملوك ، طعة دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٧ م - وطبعة
مؤسسة الأعلمي للطباعة ، بيروت ، ١٩٨٩ م .
- * ابن عبد ربه . أحمد بن محمد المرواني الأندلسي .
- العقد المرید ، تحقيق / أحمد أمين (وآخرون) ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة
والنشر ، طبعة ١٩٤٦ م ، وطبعة ١٩٦٥ م .

- * العسكري . أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل .
- الأوائيل ، تحقيق / محمد المصري ووليد قصاب ، دمشق ، ١٩٧٥ م .
- * ابن فهد . النجم عمر .
- اتخاف الوري بأحجار أم القرى ، تحقيق / فهم شلتوت ، القاهرة ، ١٩٨٣ م .
- * القلقشندي . أبو العباس أحمد .
- نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ، تحقيق / إبراهيم الإياري . القاهرة — بيروت ، ١٩٨٠ م .
- * المالكي . أبو الطيب تقي الدين محمد بن علي الفاسي المكي .
- شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام ، بيروت ، (د . ت) .
- * ابن الماور .
- صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز ، تصحيح وسط / أوسكار لوفحرون ، ليدن — ١٩٥١-١٩٥٤ م .
- * ابن منبه . وهب .
- كتاب التيجان في ملوك حمير ، تحقيق / مركز الدراسات والأبحاث اليمنية ، صنعاء ، ١٩٧٩ م .
- * النويري . شهاب الدين .
- نهاية الأرب في فنون الأدب ، القاهرة ، ١٩٥٥ م .
- * ابن هشام . أبي محمد عبد الملك .
- السيرة النبوية ، تحقيق / محمد شحاتة إبراهيم ، القاهرة ، ١٩٩٠ م .
- * الهمداني . أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب .
- كتاب الإكليل ، ح ١ ، تحقيق / محمد بن علي الأكوع ، بيروت ، ١٩٨٦ م .
- صفة جزيرة العرب ، تحقيق / محمد بن علي الأكوع ، صنعاء ، ١٩٩٠ م ،
- * اليعقوبي . أحمد بن أبي يعقوب .
- تاريخ اليعقوبي ، بيروت ، ١٩٦٠ م .

ثانياً : المراجع العربية والمعرية :

- * الأحمد . سامي سعيد .
- تاريخ الخليج العربي من أقدم الأزمنة حتى التحرير العربي ، البصرة ، ١٩٨٥ م .
- * أحمد . عظيم الدين .
- منتخبات في احبار اليمن ، من كتاب شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم
لنشوان الحميري ، صنعاء — دمشق ، ١٩٨١ م .
- * الإررياني . مطهر علي .
- في تاريخ اليمن : نقوش مسندية وتعليقات ، صنعاء ، ١٩٩٠ م .
- * الأفغاني . سعيد .
- أسواق العرب في الجاهلية والإسلام ، القاهرة ، ١٩٩٣ م .
- * الأنصاري . عبد الرحمن الطيب .
- أصواء حديدة على دولة كعدة من خلال آثار قرية الفاو ونقوشها ، دراسات تاريخ
الجزيرة العربية ، الكتاب الأول ، ج ١ ، الرياض ، ١٣٩٩ هـ .
- قرية الفاو صورة للحصارة العربية قبل الإسلام ، الرياض ، ١٩٨٢ م .
- * الأنصاري . عبد الرحمن الطيب (وآخرون) .
- نقشا وادي مأسل الجمع ، مأسل ، مطوعة علمية تُعنى بدراسة الكتابات العربية
القديمة في جزيرة العرب ، الرياض ، ١٩٩٩ م .
- * الأنصاري . عبد القدوس .
- الكعدة : أسماء وعمارات ومعبد لا معبوداً وتاريخاً قبل الإسلام ، دراسات تاريخ
الجزيرة العربية ، الكتاب الثاني ، الرياض ، ١٩٧٩ م .
- * أولندر . جونار .
- مبوك كعدة من مي آكل المرار ، ترجمة/ عبد الحار المظلي ، بغداد ، ١٩٧٣ م .
- * يافقيه . محمد عبد القادر .
- موجز تاريخ اليمن قبل الإسلام ، مختارات من النقوش اليمنية القديمة ، تونس ،
١٩٨٥ م .

- تاريخ اليمن القلم ، بيروت ، ١٩٨٥ م .
- عودة إلى نقش عبدان الكبير ، مجلة ريدان ، العدد ٥ ، ١٩٨٨ م .
- في العربية السعيدة ، صنعاء ، ج ١ ، ١٩٨٧ م ، ج ٢ ، ١٩٩٣ م .
- * بافقيه . محمد عبد القادر (وآخرون) .
- مختارات من النقوش اليمنية القديمة ، تونس ، ١٩٨٥ م .
- * بافقيه . محمد عبد القادر — روبان . كرستيان .
- أهمية نقوش المعال ، مجلة ريدان ، العدد ٣ ، ١٩٨٠ م .
- * برو . توفيق .
- تاريخ العرب القلم ، دمشق ، ١٩٨٢ م .
- * البستاني . بطرس .
- الشعر الجاهلي ، بيروت ، ١٩٨١ م .
- * البستاني . فؤاد أفرام .
- الروائع : امرؤ القيس ، بيروت ، ١٩٣٣ م .
- * يستون (وآخرون) .
- المعجم السبئي ، لوفان الجديدة — بيروت ، ١٩٨٢ م .
- * يغلوفسكي . لينا فكتورفنا .
- العرب على حدود بربطة وإيران من القرن الرابع إلى القرن السادس الميلادي ،
- ترجمة / صلاح الدين عثمان هاشم ، الكويت ، ١٩٨٥ م .
- * بيوتروفسكي . م . ب .
- مسحة عن الملك الحميري أسعد الكامل ، ترجمة / شاهر جمال آغا ، صنعاء ،
- ١٩٨٤ م .
- اليمن قبل الإسلام والقرون الأولى للهجرة ، تعريب / محمد الشعبي ، بيروت ،
- ١٩٨٧ م .
- * جاد المولى بك . محمد أحمد (وآخرون) .
- أيام العرب في الجاهلية ، دار الفكر ، مصر ، (د . ت) .

- * الجاسر . حمد .
- مدينة الرياض عبر أطوار التاريخ ، الرياض ، ١٩٦٦ م .
- * الجرو . أسهمان سعيد .
- موجر التاريخ السياسي القديم لحوب شبه الجزيرة العربية : اليمن القديم ، إربد ، ١٩٩٦ م .
- * جليان . عطاء الله .
- مجتمع قريش السياسي والديني في عام الفيل ، بيروت ، ١٩٨٧ م .
- * الجمعية الجغرافية السعودية .
- دليل المواقع الحضرية بالمملكة العربية السعودية ، الرياض ، ١٩٩٨ م .
- * حتى . فلييب .
- تاريخ العرب ، ترجمة / أدورد حرجي وجبرائيل حور ، بيروت ، ١٩٧٤ م .
- * الحمادي . محمد عبد الله سيف .
- أنظمة التاريخ في النقوش السبئية ، رسالة ماجستير غير مشورة ، جامعة اليرموك ، معهد الآثار ، ١٩٩٧ م .
- * ربيع . حسنين محمد .
- دراسات في تاريخ الدولة الليزنطية ، القاهرة ، ١٩٨٦ م .
- * روبان . كوستيان .
- انتشار العرب البداة في اليمن من القرن الثاني إلى العاشر الميلادي ، ترجمة / علي محمد زيد ، مجلة دراسات بحنية ، العدد ٢٧ ، صعاء ، ١٩٨٧ م .
- * زيدان . جورج .
- العرب قبل الإسلام ، تعليق / حسين مؤنس ، القاهرة ، (د . ت) .
- * سالم . السيد عبد العزيز .
- دراسات في تاريخ العرب ، ج ١ (تاريخ العرب قبل الإسلام) الاسكندرية (د . ت) .

* سحاب . فكتور .

- إيلاف قريش رحلة الشتاء والصيف ، بيروت - الدار البيضاء ، ١٩٩٢ م .

* سيد . عبد المنعم عبد الحليم .

- البحر الأحمر وظهيره في العصور القديمة ، الاسكندرية ، ١٩٩٣ م .

* الشجاع . عبد الرحمن عبد الواحد .

- اليمن في صدر الإسلام ، دمشق ، ١٩٨٧ م .

* شرف الدين . أحمد حسين .

- تاريخ اليمن الثفالي ، ج ٣ ، القاهرة ، ١٩٦٧ م .

الشريف . أحمد إبراهيم .

- مكة والمدينة في الجاهلية وعصر الرسول ، القاهرة ، ١٩٦٥ م .

* شهيد . عرفان .

- حملة امرؤ القيس على نجران : المصادر غير المنشورة ، دراسات تاريخ الجزيرة

العربية ، الكتاب الأول ، ج ١ ، الرياض ، ١٣٩٩ هـ .

* الشيبه . عبد الله حسن .

- دراسات في تاريخ اليمن القديم ، تعز ، ٢٠٠٠ م .

- محاضرات في تاريخ العرب القديم ، صنعاء ، ١٩٩٥ م .

- مدن يمنية (١) ، مجلة اليمن الحديث ، العدد ١٢ ، السنة ١٧ ، صنعاء ، ١٩٨٨ م .

* الصلوي . إبراهيم .

- قصة أصحاب الأندلس ، رسالة ماجستير غير منشورة ، الجامعة اللبنانية ، كلية

الآداب والعلوم الإنسانية ، ١٩٨٠ م .

* ضيف . شوقي .

- تاريخ الأدب العربي ، ج ١ (العصر الجاهلي) ، القاهرة ، ١٩٩٦ م .

* عاقل . نبيه .

- تاريخ العرب القديم وعصر الرسول ، بيروت ، ١٩٨٣ م .

- * عبد الكريم . خليل .
- قريش من القبيلة إلى الدولة المركزية ، القاهرة ، ١٩٩٣ م .
- * عبد الله . يوسف .
- أوراق في تاريخ اليمن وآثاره ، بيروت — دمشق ، ١٩٩٠ م .
- * العقيلي . محمد أحمد .
- سوق عكاظ في التاريخ ، أبها ، ١٩٨٤ م .
- * علي . جواد .
- المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، بيروت — بغداد ، ١٩٧٦ م .
- * العلي . صالح أحمد .
- محاضرات في تاريخ العرب ، ج ١ ، بغداد ، ١٩٥٥ م .
- * العمري . حسين (وآخرون) .
- في صمة بلاد اليمن عبر العصور من القرن السابع قبل الميلاد إلى نهاية القرن التاسع عشر للميلادي ، بيروت ، ١٩٩٠ م .
- * عنان . زيد .
- تاريخ حضارة اليمن القديم ، القاهرة ، ١٣٩٦ م .
- * غاجدا . ايفونا .
- حروب الحرية العربية موحداً تحت راية حمير ، اليمن : في بلاد ملكة سبأ ، باريس — دمشق ، ١٩٩٩ م .
- * الغزالي . محمد .
- فقه السيرة ، القاهرة ، ١٩٧٦ م .
- * غنيمه . يوسف رزق الله .
- الحيرة للمدينة والمملكة العربية ، بغداد ، ١٩٣٦ م .
- * غويدي . اغناطيوس .
- محاضرات في تاريخ اليمن والجزيرة العربية قبل الإسلام ، ترجمة / إبراهيم السامرائي ، بيروت ، ١٩٨٦ م .

- * أبو الغيث . عبد الله عبده إسماعيل .
- علاقة جنوب الجزيرة العربية بشمالها خلال القرنين الثالث والرابع للميلاد ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة صنعاء ، كلية الآداب ، قسم التاريخ ، ١٩٩٨ م .
- * فروخ . عمر .
- تاريخ الجاهلية ، بيروت ، ١٩٦٤ م .
- * كويشانوف . يوري ميخائيلوفتش .
- الشمال الشرقي الأفريقي في العصور الوسيطة المبكرة وعلاقته بالحريرة العربية ، ترجمة / صلاح الدين هاشم ، عمان ، ١٩٨٨ م .
- * لوندين . أ . ج .
- اليمس إبان القرن السادس الميلادي ، ترجمة / محمد علي الحر ، مراجعة / محمد أحمد علي ، مجلة الإكليل ، الحلقة الأولى ، العدد الثالث ، ١٩٨٨ م ، الحلقة الرابعة ، العدد الأول ، ١٩٩٠ م ، صنعاء .
- * مجموعة مؤلفين .
- اليمس : في بلاد ملكة سبأ ، ترجمة / بدر الدين عرودكي ، مراجعة / يوسف محمد عبد الله ، باريس - دمشق ، ١٩٩٩ م .
- * مكّي . الطاهر أحمد .
- امرؤ القيس . حياته وشعره ، القاهرة ، ١٩٧٤ م .
- * مهران . محمد بيومي .
- مصر والشرق الأدنى القديم ، ح ٧ (الحصار العربية القديمة) ، الاسكندرية ، (د . ت) .
- * موسكاني . مبيتو .
- الحضارات السامية القديمة ، ترجمة / السيد يعقوب بكر ، بيروت ، ١٩٨٦ م .
- * الناصري . سيد أحمد علي .
- الروم والشرق العربي ، القاهرة ، ١٩٩٣ م .

- * ناجي . خليل يحيى .
 - نشر نقوش سامية قديمة من جنوب بلاد العرب وشرحها ، القاهرة ، ١٩٤٣ م .
 * بيلسن . ديتلف .
 - تاريخ العم وبطرة حول المادة ، التاريخ العربي القلم ، ترجمة / فؤاد حسين عني ،
 القاهرة ، ١٩٥٦ م .
 * هبو . أحمد أرحيم .
 - تاريخ العرب قبل الإسلام السياسي والحصاري ، دمشق ، ١٩٩٠ م .
 * ولير . دونالد .
 - إيران ماضيها وحاضرها ، ترجمة / عبد العليم محمد حسين ، القاهرة — بيروت ،
 ١٩٨٥ م .
 * ولفنسون . إسرائيل .
 - تاريخ اللغات السامية ، بيروت ، ١٩٨٠ م .
 * يعقوب الثالث . اغناطيوس .
 - الشهداء الحميريون العرب في الوثائق السريانية ، دمشق ، ١٩٦٦ م .

ثالثاً : المراجع الأجنبية :

- * **B eeston . A .**
 - Notes on the Mureighan Inscription , BSOAS 16, (1954) , pp. 389-392 .
- * **Caskel . W .**
 - Entdeckungen in Arabien , köln und opladen , (1954) .
- * **Corpus Inscription um semiticarum , pars quarta,**
 - Inscriptions himyariticas et sabaicas Continens, Tomus 1.11.111. parisiis (1889), (1911), (1929) .
- * **Esin . E .**
 - Mecca the blessed and Medinah the radiant, London , (1963) .
- * **Fakhry . A .**
 - An Archaeological Journey to Yemen, Part 11 . Epigraphical texts , by G.Rykmans, Cairo (1970) .
- * **Garbini . G .**
 - antichita Yemenite , 11, AION 30,(1970) , pp.537-548 .
 - Una Nuova iscrizione di šarahbil Ya'fur , AION 29 , (1969) , pp.559-566 .
- * **Jamme . A .**
 - Inscriptions des alentours de Māreb (Yemen) , dans Cahiers de Byrsa, V , paris, (1955) .
 - Sabaean and Hasaeen Inscriptions from Sudi Arabia , (studi Semitci 23), Roma, (1966) .
 - Sabaean Inscriptions from Mahram Bilqis (Marib) , Baltimore , (1962) .
- * **Kister . M . J .**
 - The campaign of Huluban , Anew Light on the Expedition of Abraha , Le Muse'on 78,(1965), pp.425-436 .
- * **Kitchen . K . A .**
 - Documentation for Ancient Arabia, part 1 , Chronological Framework and historical Sources, Liverpool, (1994) .
- * **Nöldeke . T .**
 - Geschichte der Perser und Araber Zur Zeir der Sassaniden, Leiden , (1879) .
- * **Procopius .**
 - History of the wars , London , (1961) .

- * **Re'prtoire d'E'pigrphie Se'mitique** , Tome V.V1. V11. V111. Paris (1929) , (1935) , (1950) , (1968) .
- * **Robin . C . J .**
 - L' Inscription du Wadi 'Abadan , Ridan 6 , (1994) .
- * **Ryckmans . G .**
 - Inscriptions Sud-arabes, Dixie'me se'rie, le Muse'on 66, (1953) pp.267-317 .
 - Inscriptions Sud-arabes, Douzie'me s'rie , Le Muse'on 68, (1955) pp.297-312 .
- * **Shahid . I .**
 - Byzantino – Arabica : The conference of Ramla, A.D. 524, JNES 23,(1964) , pp. 115-131 .
 - The Martyrs of Najran New Documents , Bruxelles, (1971) .
 - Two Qur'anic sūras : Alfil and Qurayš, studia Arabica et Islamica, Festschrift for Ihsān ' Abbas, Edited by wadād al Qāḍi , Beirut, (1981) pp. 429-436 .
- * **AL- Sheiba .A .**
 - Die Ortsnamen in den Altsüdarabischen Inshriften, Mainz, (1987) .
- * **Smith . S .**
 - Events in Arabia in the 6-th Century A .D . BSOAS 16, (1954) , pp. 425-468 .
- * **Vasiliev . A . A .**
 - Justin I (518-527) and Abyssinia, Byzantinische zeitschrift 33 , (1933) .
- * **Wissmann . H . V .**
 - Himyar Ancient History , Le Muse'on 77 , (1964) , pp. 429-498 .

فهرست المحتويات

فهرست المحتويات

رقم الصفحة	الموضوع
	• الإهداء .
	• قائمة الاختصارات .
١	• المقدمة .
١	• مدخل .
٦	• الفصل الأول: امتداد نفوذ الدولة الحميرية نحو شمال الجزيرة خلال عصر التبابعة الثاني.
٧	< تمهيد .
٨	< في عهد أبي كرب أسعد (أسعد الكامل) .
١٥	< في عهد حسان يمان بن أبي كرب أسعد .
١٧	< في عهد شرحبيل يعفر بن أبي كرب أسعد ، وخلفائه .
١٩	< في عهد معدي كرب يعفر .
٢٥	< في عهد يوسف أسار يثار (ذي نواس) .
٣٤	• الفصل الثاني : امتداد نفوذ الدولة في جنوب الجزيرة نحو شمالها خلال عصر الاحتلالين الحبيشي والفارسي .
٣٥	< تمهيد .
٣٧	< في عهد سيفع أشوع .
٣٨	< في عهد أبرهة الحبشي .
٤٨	< حملة أصحاب القيل .
٥٩	< في عهد يكسوم ومسروق إبن أبرهة .
٦٠	< في عهد سيف بن ذي يزن .
٦٢	< في عهد الولاة القرمس .
٦٧	• الفصل الثالث : دولة كندة في دهرها الثاني وعلاقتها باليمن .
٦٨	< تمهيد .
٦٩	< في عهد حجر بن عمرو (آكل المرار) .
٧٤	< في عهد عمرو بن حجر (المقصور) .
٧٦	< في عهد الحارث بن عمرو .
٨٦	< في عهد أبناء الحارث .

٩٠	◀ في عهد قيس الكندي .
٩٥	◀ آل الجون ورحيل قبيلة كندة إلى الجنوب .
١٠٤	• الفصل الرابع أيام العرب وأثرها على النقود اليمن في شمال الجزيرة العربية .
١٠٥	◀ عهد .
١١٠	◀ يوم طسم وجديس .
١١١	◀ يوم البيضاء (البيضاء)
١١٣	◀ يوم السلان .
١١٦	◀ يوم خزاز (خزازي) .
١١٩	◀ أيام مرتبطة بالكنديين .
١٢٠	◀ يوم الكلاب الثاني .
١٢٢	◀ يوم ليف الريح .
١٢٣	◀ وقفه أخيرة .
١٢٥	• الخاتمة .
١٣٠	• المصادر والمراجع .
١٤٣	• فهرست المحتويات .